



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
مخبر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر

أطروحة دكتوراه

مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث (LMD)
الشعبة: علوم إنسانية- تاريخ
التخصص: تاريخ حديث

العنوان: علاقة السلطنة العثمانية بالقبائل الجزائرية في بايلك الشرق ما بين 1671-1837م

إعداد الطالب: قويدر زية

إشراف: الدكتور محمد الحاكم بن عون

نوقشت أمام لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
نجوى طوبال	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيساً
محمد الحاكم بن عون	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	مشرفاً
موسى بن موسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشاً
رشيد قسيبة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشاً
أحمد دركوش	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	مناقشاً
عبد القادر حليس	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجلفة	مناقشاً

السنة الجامعية: 1446-1447 هـ / 2024-2025 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

بداية أهدي هذا المجهود العلمي المتواضع

إلى روح أبي الغالي بن زاهية رحمة الله عليه

إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها وحفظها لنا

إلى العائلة الكريمة كل باسمه

إلى طلبة الدكتوراه من جامعة حمّ لخضر ومن خارجها

إلى زملائي الأساتذة والإداريين كلّ باسمه

وإلى كلّ من ساهم في هذا العمل من قريب أو من بعيد.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبرحمته تنزل البركات، والصلاة والسلام على سيدنا وقُدوتنا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) سيد الأولين وخاتم الأنبياء والمرسلين أمّا بعد:

أتقدّم بجزيل الشّكر والامتنان لأستاذنا المشرف الدكتور محمد الحاكم بن عون كعرفان منّا بالجميل نظير مرافقته لنا في إنجاز هذا العمل منذ بداياته وحتى الانتهاء منه بنصائحه وملاحظاته القيّمة وبمختلف توجيهاته الهادفة والبناءة، ودعمه لنا من أجل مواصلة العمل فيه، ومساعدته لنا على تجاوز الصّعوبات والعراقيل.

وكذلك الشّكر موصول لأساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الشهيد حمّـه لخضر وعلى رأسهم الدكتور عمّار غرايسة والدكتور بن خيرة أحمد والدكتور علال بن عمر والدكتور عبد الكامل عطية والدكتور معاذ والدكتورة نجوى طوبال والدكتور رشيد قسيبة على دعمهم لنا، ووقوفهم إلى جانبنا في مسيرتنا هذه.

قائمة المختصرات¹

المختصرات	ما يوافقها
...	كلام مبتور
ت	توفي
د.ن	دون دار نشر
د.د	دون دولة النشر
R A	Revu Africaine
V	Volume
T	Tome
S.D	Sans date

¹ سأتجاوز في أطروحتي هذه الكلمات المعروفة مثل م: ميلادي، ص صفحة... وسأعرض الاختزالات المتعلقة ببحثي فقط.

مقدمة

التعريف بالموضوع:

اعتُبر التواجد العثماني من أهم الفترات وأبرزها في تاريخ الجزائر؛ حيث أسس في المنطقة نظام حكم مميز مكن من بروز دولة قوية مترامية الأطراف شاملة بذلك أقاليم عدة، ويعدّ بايلك الشرق من أكبر الأقاليم مساحة، و المعروف بكونه متعدد الثروات وبطابعه القبلي، حيث تتنوع فيه القبائل من حيث أصولها وعلاقتها مع السلطة العثمانية، والتي يتركز وجودها في أرياف البايك، كما لعبت دوراً محورياً في سياسة السلطة مما جعل هذه الأخيرة توليها اهتماماً بالغاً حتى تحكم سيطرتها على الإقليم. من هذا المنطلق تحدّد موضوع هذه الدراسة حول هذا النوع من العلاقة في فترة زمنية هامة في التاريخ الحديث للمنطقة.

لذلك اندرج موضوع الدراسة هذه بعنوان "علاقة السلطة العثمانية بالقبائل الجزائرية في بايلك الشرق ما بين 1671-1837م، فارتأيت التطرق بهذا الموضوع لأبرز مظاهر التواصل والولاء في علاقة سلطة البايك بالقبائل المحلية في هذا الإقليم، وما قابلها من مظاهر القطيعة والتمرد، ومن خلالها يمكن فهم طبيعة العلاقة بين السلطة والقبائل، فهي تعكس الواقع المعاش حينها، ومن خلالها أيضاً يزاح ولو القليل من الغموض على أحد أهم المواضيع في تاريخ الجزائر الحديث، والتي تستدعي من الباحث تقصي الحقائق واستخلاصها من مصادر متنوعة، فهي تعتبر من المواضيع الجديرة بالدراسة والبحث.

الأهمية العلمية للموضوع:

يكتسي هذا الموضوع أهمية خاصة تتمثل في معالجة حيثيات وأحداث هامة أثرت في جميع مجالات الحياتية، وتعلّقت بأحد فترات تاريخ بايلك الشرق، فهي فترة حساسة ومؤثرة من الحكم العثماني، فهو يعالج جوانب مختلفة حول طبيعة العلاقة التي ربطت سلطة البايك بالقبائل المحلية، كما يسلط الضوء على مختلف السياسات التي انتهجتها السلطة وما قابلها من مواقف وردود أفعال القبائل المحلية.

عوامل اختيار الموضوع:

يعود اختيار هذا الموضوع إلى مجموعة من العوامل التي نذكرها فيما يلي:

أ/ العوامل الذاتية:

تمثلت في اهتمامي الخاص بدراسة تاريخ الجزائر الحديث، ومحاولة لإثراء رصيد المكتبة الوطنية بهذا النوع من الدراسات، وتشجيع أستاذي المشرف بالقيام بهذا النوع من الدراسات الأكاديمية.

ب/ العوامل الموضوعية:

تمثلت في أخذ نظرة شاملة على الإطار العام لبابك الشرق في الفترة الزمنية محل الدراسة، ومعرفة القبائل المحلية بالمنطقة وعلاقتها بسلطة البابك، ودراسة مختلف الجوانب المتعلقة بها وأهم مظاهرها وانعكاساتها، والقيام بدراسة تحليلية في الموضوع، وإعادة فحص وقراءة الكتابات السابقة حول هذه المنطقة وقبائلها، واستخلاص الأفكار منها وبعثها في شكل دراسة أكاديمية.

الإطار الزمني والمكاني للدراسة:

شملت حدود الدراسة هذه الفترة الزمنية الممتدة ما بين 1671م وحتى 1837م، أي منذ بداية عهد الدايات وحتى سقوط عاصمة بابك الشرق قسنطينة، فكان اختيار هذا الإطار له دلالاته وانعكاساته، فيمثل التاريخ الأول بداية عهد جديد في الجزائر العثمانية، حيث تولّى الدايات الحكم بعد صراعٍ على السلطة، أما التاريخ الثاني فكان لسقوط عاصمة البابك، أما الإطار المكاني لهذه الدراسة فشمّل المجال الجغرافي لبابك الشرق.

الإشكالية العامة للدراسة:

من أجل الخوض في هذا الموضوع ودراسته تمّ طرح الإشكالية الأساسية التالية:

أين يظهر التواصل والولاء والقطيعة والتمرد في العلاقة بين سلطة بابيك الشرق والقبائل المحلية منذ بداية حكم الدّايّات 1671م إلى غاية سقوط قسنطينة عاصمة هذا البابيك سنة 1837م؟

التساؤلات الفرعية:

وقد تفرّعت عن تلك الإشكالية المطروحة مجموعة من التساؤلات وجّبت الإجابة عليها وهي:

- ما هو المجال الجغرافي لبابيك الشرق، وأبرز ممثلي السلطة فيه؟
- فيم تمثّلت الأوضاع العامة في بابيك الشرق قبل حكم الدّايّات؟
- ما هي أبرز القبائل المحلية المتواجدة ببابيك الشرق، وأنواعها من حيث علاقتها بالسلطة العثمانية؟
- ماهي أهم مظاهر التواصل والولاء في علاقة السلطة بالقبائل المحلية وأبرز أوجهها؟
- أين تبرز مظاهر القطيعة والتمرد في علاقة السلطة بالقبائل المحلية في هذا البابيك؟

هيكل الدّراسة:

إن الإجابة على هذه التساؤلات اقتضى تقسيم هذه الدراسة إلى مقدّمة وثلاثة فصول وخاتمة.

فالمقدّمة هي للتعريف بموضوع الدراسة ودواعي اختياره والإطار الزماني والمكاني له، وأهميته العلمية، وأهداف هذه الدراسة وإشكاليّتها العامة، ثم المنهج المتبع والدراسات السابقة، وأيضا هيكل الدّراسة والوقوف على أهم المصادر والمراجع، والدراسات السابقة وكذلك الصعوبات التي تعرضت لها.

أما الفصل الأول فقد عالج الإطار العام لبايك الشرق، فكان شقُّه الأول يعرض تأسيسه ويُعرِّف بمجّاله الجغرافي، وتنظيماته المختلفة وأوضاعه العامّة، حيث تمّ الإشارة إلى حدوده الجغرافيّة وكيفيّة تأسيسه وتنظيماته الإداريّة، ومختلف أجهزته الإداريّة والدينيّة الشرعيّة، وجميع وحداته العسكريّة، وأيضاً أوضاعه العامّة قبل سنة 1671م. أما شقُّه الثاني فقد خصّص لمفهوم القبيلة وأنواعها، ومختلف القبائل المحليّة في البايك مع تحديد أصنافها من حيث تواجدها وعلاقتها بالسلطة.

أمّا في الفصل الثاني فتّم تسليط الضّوء على علاقة السلطة بالقبائل المحليّة ببايك الشرق في الفترة ما بين 1671م - 1837م من حيث أهمّ مظاهر التّواصل والولاء التي تشرّح تلك العلاقة المبنية على مختلف سياسات وأساليب السلطة، والتي استطاعت من خلالها كسب ودّ القبائل المحليّة واستقطاب زعمائها ممّا انعكس ذلك عليها إيجاباً، فأصبحت داعمة ومساندة لها في العديد من المناسبات، وقد شملت تلك المظاهر مختلف المجالات.

أمّا الفصل الثالث فقد خصّص لعلاقة سلطة البايك بالقبائل المحليّة في هذا البايك ما بين 1671م - 1837م من حيث أهمّ مظاهر القطيعة والتمرد، ومن خلالها تمّ إبراز مختلف السياسات والأساليب للسلطة العثمانية التي أرادت من خلالها إخضاع القبائل الجزائريّة وتأديب بعضها، والتي عُرفت بنزعتها التمردية وكثرة عصيانها وامتناعها عنها وفي بعض الأحيان إعلانها عدم تبعيّتها للسلطة، وقد شملت هي الأخرى مختلف المجالات.

أمّا الخاتمة فكانت على شكل حوصلة عامّة للموضوع محلّ الدّراسة على هيئة استنتاجات لما ورد في الفصول أخذت شكل إجاباتٍ عن التّساؤلات الواردة في الإشكاليّات الفرعيّة، ومن خلالها حاولنا قدر المستطاع إزالة اللبس وشرح الغموض حول مختلف أوجه العلاقة بين سلطة بايك الشرق والقبائل المحليّة خلال الفترة المدروسة، ومعرفة مظاهر تلك العلاقة وأهمّ عواملها ونتائجها على الطّرفين.

المنهج المتبع:

نظراً لأهمية الموضوع وخصوصيته، فقد تمّ اتباع المنهج التاريخي القائم على الوصف لسرد مختلف الأحداث التاريخية بشكلٍ منظمٍ زمنياً، وعلى التحليل والمقارنة بهدف معرفة المفاهيم والمعاني وكذلك على التدقيق والاستخلاص للوصول إلى مختلف الحقائق التاريخية، وبُغية بناء موضوع يهتم بالعلاقة بين السلطة والقبائل المحلية في هذا البابك.

الدراسات السابقة:

اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من الدراسات التاريخية الأكاديمية التي تميّزت بمعالجة موضوع العلاقة بين السلطة والقبائل عامة في الإيالة الجزائرية أو جزء منها، ومن بين من تناول موضوع العلاقة بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية نجد الباحثة فلة موساوي القشاعي في رسالتها لنيل شهادة الماجستير، فقد عالجت أحد أبرز مظاهر العلاقة الاقتصادية بين السلطة والقبائل الجزائرية ببايلك الشرق ممثلاً في النظام الضريبي ومختلف ردود الفعل حوله في الفترة الممتدة ما بين 1771-1837م، وقد استفدت منها في ما يخص أنواع الضرائب والقائمين على تحصيلها، وكذلك أهم ثورات القبائل الممتنعة عن دفعها، وموقف السلطة من ذلك .

ومن الباحثين في هذا الموضوع نجد أيضاً جهيدة بوعزيز في مذكرتها لنيل شهادة الماجستير بجامعة قسنطينة والموسومة بالصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني 1771-1837م، فقد استفدت من دراستها حول بنية المجتمع الريفي وعلاقته بالسلطة وأهم سياسات البايات خاصة النظام الضريبي.

أما الباحثة خديجة دوالي فقد عالجت موضوع علاقة السلطة العثمانية بالقبائل الجزائرية وذلك من خلال الوثائق العثمانية رقم 1642 في الفترة الممتدة ما بين 1826-1830م (بايلك الشرق انموذجاً) والتي طبعته ككتاب أكاديمي، فقد استفدت من دراستها ما تعلق بأحمد باي وعلاقته بقبائل المخزن وكذلك مع القبائل الحليفة والطائفة، وبعض أساليبه المعتمدة في إخضاع القبائل المتمردة وبعض حملاته العسكرية.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تتبع العلاقة بين سلطة البايك والقبائل المحلية في إقليم بايلك الشرق منذ تولي الدايات الحكم سنة 1671م إلى غاية سقوط قسنطينة 1837م في قبضة المستعمر الفرنسي والوقوف على أهم مظاهرها، ومعرفة واقعها والقوى القبليّة المؤثرة. وكذلك لإبراز مدى التواصل والولاء في علاقة السلطة بالقبائل المحلية بالبايلك، ولتسليط الضوء على مظاهر القطيعة والتمرد في تلك العلاقة خلال الفترة المدروسة نفسها، وللاطلاع على فترة حساسة من تاريخ بايلك الشرق، والتي كانت آخر عهود العثمانيين في إيالة الجزائر.

المصادر والمراجع:

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على عددٍ وافرٍ من المصادر والمراجع التاريخية المختلفة؛ منها المحليّة والأجنبيّة المعاصرة لتلك الفترة المدروسة، مستغلين كُتُبَ أهمّ الرّحلات والقناصل والأسرى والأطباء وغيرهم، وبالتالي تُعتبرُ مصادرَ هامة لا يمكن الاستغناء عنها في هذه الدّراسة التّاريخيّة كونها تزودنا بمختلف المعلومات التاريخية التي عايشوها، وتمكّن لنا استنباط وفهم مظاهر العلاقة القائمة بين الطرفين خصوصاً ما تعلّق بالثورات وسياسة الإخضاع المنتهجة من قبل السلطة وفيما يلي أهم تلك المصادر والمراجع العربية منها والأجنبية:

أ. المصادر العربية والمترجمة المطبوعة:

1- بن العنتري محمد الصالح: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، وهو من المصادر الهامة في تاريخ بايلك الشرق، فقد احتوى على معلومات وأحداث سياسيّة وعسكريّة تعلّقُ بالحُكم والقبائل، فهذا المصدر سمح لي بفهم الواقع السياسي وقتئذ، وتفسير بعض الأحداث والوقائع على ضوء ذلك.

2- هابنسترايت ج او: رحلة العالم الألماني ج او هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، حيث استفدت منه فيما يخص استخلاص مظاهر العلاقة السياسية والعسكرية بين السلطة والقبائل.

3- الورثاني الحسين بن محمد: الرحلة الورثانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المجلد 1 و2، والذي أفادني ببعض الأفكار حول العلاقة بين السلطة والقبائل في نهاية القرن 17م.

ب. المصادر الأجنبية:

ومنها نذكر:

1- Shaw : Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc, de cet état.

فقد استفدت منه فيما تعلق بالقبائل الممتعة ببابيك الشرق وأسلوب حياتها، وأبرز الثورات والتمردات بهذا الإقليم وموقف سلطة البابيك منها.

2-Rinn Louis: Le royaume d'Alger sous le dernier dey.

وقد استفدت منه كثيرا فيما يخص القبائل الجزائرية ومختلف أعراسها في بابيك الشرق، فقد تميز بنوع من التدقيق، والذي أفادني كثيرا في الفصل الأول من هذه الدراسة.

3- Personnel et Desfontaines: Voyages dans Les régences de Tunis et d'Alger, T1.

وقد استفدت منه فيما تعلق بالمحلة ومجال بابيك الشرق، وكيفية تعامل السلطة مع بعض القبائل الجزائرية.

ج. المراجع العربية والمترجمة:

1- معاشي جميلة: الأسر المحلية الحاكمة في بابيك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)، والذي أفادني بمعلومات قيمة حول المشيخات الوراثية في هذا البابيك، فقد ركز على الأسر الحاكمة ومن خلاله استخلصت بعض مظاهر العلاقة محل الدراسة.

2- فايس أوجان: تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1517-1837م، تر أحمد سيساوي، وقد استفدت منه كثيرا فيما يخص تأسيس البابيك ونظام الحكم فيه، وقد

استخلصت منه العديد من مظاهر التواصل والقطيعة في علاقة البايات بالقبائل المحلية، فقد احتوى على معلومات دقيقة حول البايلك لم تتوفر حتى في المصادر العربيّة المتخصّصة.

3- كُتِبَ ناصر الدين سعيدوني كورقات جزائرية والنظام المالي وتاريخ الجزائر في العهد العثماني، فقد استقدت منها فيما يخص بعض مظاهر العلاقة التي ربطت بين السّلطة والقبائل المحلية، وكذلك أنواع القبائل في الجزائر، وقد أعانني كثيرًا في الدراسة هذه.

المقالات:

كانت عديدة ومن بينها يمكن أن نذكر:

1- سعيدوني ناصر الدين: "دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر"، والذي أفادني في شرح العلاقة بين هذه القبائل والسّلطة العثمانية من حيث التواصل والولاء.

2- شكري معمر رشيدة: قبيلة عبد النور بالجزائر بين العهد العثماني والاحتلال الفرنسي، وقد استخلصت من هذا المقال بعض مظاهر العلاقة السياسية والعسكرية كالتّمرّدات والثّورات.

الصعوبات:

أما عن صعوبات البحث فلا يخلو أي بحث علمي من صعوبات وعراقيل، ومن أهمها نذكر:

- صعوبة التحكم في الموضوع نظرًا لكونه موضوعًا واسعًا من حيث أفكاره وكثرة معلوماته التي تحتاج إلى عملية الاستخلاص والتحليل والمقارنة.
- مشقّة الوصول إلى وثائق أرشيفية جديدة تنثري هذا الموضوع.
- تعسّر الفصل بين الكثير من المعلومات وتشابّوها عند المعالجة، وذلك لارتباطها بعناصر أخرى.
- ندرة الوثائق الأرشيفية التي تتناول الموضوع نهاية القرن 17م، وكذلك قلة المصادر التاريخية.

وبالرغم من هذه المعوقات إلا أنني قمت بالمضي قُدماً من أجل استكمال هذا العمل وذلك بمعية الدكتور محمد الحاكم بن عون الذي كان لي نِعَمَ السند والداعم في كلّ مراحل بحثنا هذا، فضلاً عن توجيهاته الهادفة والبناءة، والتي تركت أثرها في إنجاز هذه الأطروحة، فله منّي كلّ التقدير والاحترام.

وفي الأخير أرجو من الله أن أكون قد وفّقت في هذه الدراسة، وأن تلقى قبولا عند أستاذنا المشرف والسادة أعضاء لجنة المناقشة، وسأكون كلّّي آذان صاغية للقيام بكلّ التّصويبات والتّصحّيات المطلوبة منّي بإذن الله.

الفصل الأول:

الإطار العام لبايك الشرق (التأسيس
والمجال، التنظيمات، الأوضاع العامة،
القبائل) ما بين 1671-1837م.

المبحث الأول: تأسيس بايك الشرق ومجاله الجغرافي وتنظيماته المختلفة
وأوضاعه العامة.

المبحث الثاني: القبائل الجزائرية في بايك الشرق وأنواعها.

تمهيد:

يعد بايلك الشرق من أكبر أقاليم إيالة الجزائر، فهو من أوسع البايكات مساحة وتنوعها من حيث التضاريس، كما يتميز بكثرة ثرواته وخصوبة تربته وبطابعه القبلي، كل هذا أكسبه طابعاً مميزاً عن بقية البايكات الأخرى، وجعله محل اهتمام الجغرافيين والمؤرخين وكذلك الرحالة وغيرهم. وقد مرّ هذا الإقليم على فترات مختلفة طيلة الوجود العثماني في الجزائر، فمنذ تأسيس هذا البايك أضحى له مكانة مرموقة في إطار الإيالة خاصة في نهاية العهد العثماني بها وحتى سقوط عاصمته في يد الاستعمار الفرنسي سنة 1837م.

وبما أن موضوع الدراسة هذا يتناول العلاقة بين سلطة البايك والقبائل المحلية به ارتأيت أن أعالج في هذا الفصل الإطار العام لبايك الشرق في الفترة الممتدة ما بين 1671-1837م، وذلك من حيث تأسيسه ومجاله الجغرافي وتنظيماته المختلفة وأوضاعه العامة، ومعرفة القبائل الجزائرية المستقرة في بايلك الشرق وتحديد أنواعها من حيث علاقتها بالسلطة العثمانية.

فتم التركيز في المبحث الأول على المجال الجغرافي لهذا البايك لمعرفة امتداده وحدوده السياسية، ولتشكل لنا رؤية واضحة حول القبائل الجزائرية التي لها علاقة مع السلطة. كما تم الإشارة إلى مختلف الآراء حول تأسيسه وتواجد السلطة العثمانية فيه، ومختلف تنظيماته، وإلقاء نظرة سريعة على مختلف الأوضاع العامة التي شهدتها البايك قبل عهد الدايات؛ لما لها من تأثيرات على مختلف أوجه الحياة على المستويين الداخلي والخارجي.

أما في المبحث الثاني من هذا الفصل فوجدت أنه من الواجب لدراسة موضوع البحث الخوض في مفهوم القبيلة وأنواعها من حيث العلاقة مع السلطة الحاكمة في البايك، ثم تحديد قبائل بايلك الشرق حسب نوع علاقتها مع السلطة.

المبحث الأول: تأسيس باييك الشرق ومجاليه الجغرافي وتنظيماته المختلفة وأوضاعه العامة.

1. تأسيس باييك الشرق:

هناك تباينٌ حول تاريخ أول تواجدٍ للعثمانيين بإقليم قسنطينة، فنجد فايست يذكر أن أول تواجد لهم في هذا الإقليم كان سنة 1517م¹، غير أن مرسِّي Mercier يجد أن أول ظهور لهم فيه في الفترة الممتدة ما بين 1519م وحتى 1522م²، وهذا ما أكّده هايدو وآبي (Fray Diego de Haedo, abbé de Fromesta) بقولهما: «...في سنة 1520 أخضع بربروس القلّ³...وفي العام التالي أخضع أيضا قسنطينة⁴».

أما صاحب الفريدة المنسية محمد الصالح بن العنتري فجعل دخول العثمانيين وتواجدهم الفعلي في هذا الإقليم سنة 1050هـ/1640م وذلك بقوله: «...وكان دخول التّرك في قسنطينة عام ألف وخمسين بعد أن مضت من ولاية يوسف باشا عامين (كذا) ونصف»⁵

¹ فايست أوجان: تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1517-1837م، تر أحمد سيساوي، مر وتق هارون حمادو، ط1، كنوز يوغرطة للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر، 2019، ص44.

² Mercier Ernest: **Histoire de Constantine**, E.Marle et F.Biron imprimeurs editeurs, Constantine, 1903, p191.

³ القلّ: إحدى المدن الكبيرة الموجودة على الساحل المتوسطي، والتي بناها الرومان، كما تتميز بكون الكثير من أراضيها جبال وبشجاعة رجالها. ينظر: الوزان حسن بن محمد (ليون الأفريقي): وصف إفريقيا، ج1، ط2، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 198، ص53.

⁴ Haëdo Fray Diègo de, Fromesta abbé de: **Histoire des rois d'Alger**, Traduite et annotée par H.-De Grammont, Adolphe Jourdan libraire- éditeur, Alger, 1881, p37.

⁵ بن العنتري محمد الصالح: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مر وتح يحي بوعزيز، ط خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص46.

غير أن محقق كتاب العنتري يحيى بوعزيز يجد أن عام 1514م هو أول ظهور للعثمانيين بهذا الإقليم بعد أن افتك عروج وخير الدين مدينة جيجل من الجنوئين الإيطاليين¹.

وأمام هذا التباين الواضح في آراء الباحثين والمؤرخين حول زمن دخول العثمانيين في هذا الإقليم، ذهب الباحث الدراجي بلخوص إلى وضع مراحل تلخص كيفية ظهورهم بالمنطقة، فجعل المرحلة الأولى من 1500م - 1519م وهي مرحلة الاتصال بالعثمانيين خير الدين وإخوته الذين ذاع صيتهم في البحر المتوسط، فكان أول الاتصال بهم سنة 1512م لما استجد بهم كبار سكان بجاية، فبادر عروج بتلبية النداء ليتوجه بعدها الى مدينة جيجل سنة 1514م².

أما المرحلة الثانية فكانت - حسب رأيه - لوضع الحاميات وكانت بدايتها سنة 1514م لما دخل العثمانيون مدينة جيجل، ليبدؤوا بالتوغل بإقليم قسنطينة، ليصل خير الدين مدينة القلّ وأنشأ بها حامية عسكرية سنة 1521م، ثم مدينة عنابة لينصب حامية أخرى سنة 1522م وكذلك بمدينة قسنطينة، لتأتي المرحلة الأخيرة ليتوجّ تواجدهم ببداية الحكم المباشر على هذا الإقليم، وذلك باعتبار تعيين الفضل قاسم الفكون من طرف العثمانيين قاضيًا على سكان قسنطينة سنة 948هـ/1541م بمثابة علامات الاتصال مع سكان قسنطينة وفي هذه المرحلة تم إرسال رسالة من سكان مدينة قسنطينة³ إلى السلطان العثماني في شأن صالح رايس سنة 963هـ/1555م، ليأتي بعدها حسن بن خير الدين حيث قام

¹ العسلي بسام: خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470م-1548م، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م، ص 89، وينظر: بن العنتري محمد الصالح: المصدر السابق، ص26.

² بلخوص الدراجي: الوضعية الاجتماعية ببابك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون في القرنين 10هـ-11هـ/16م-17م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، اشراف مختار حساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2019/2018، ص ص 21، 22. وينظر: العسلي: نفسه، ص75.

³ للمزيد حول مضمون الرسالة ينظر: سعيدوني ناصر الدين: الشرق الجزائري بابك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف ومراسلات وتقاييد ومذكرات وتقارير، ط1، البصائر للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، 2014، ص ص 33-36.

بأعمال كبيرة ساعدته على استتباب الأمن والقضاء على المعارضين، لتكون مدينة قسنطينة تحت سلطة العثمانيين فعلياً¹، ومن هنا نجد أن التواجد العثماني هو سابق للتأسيس.

وبالتالي فقد تأسس باييك الشرق سنة 974هـ / 1567 م، وعاصمته مدينة قسنطينة ويعود تقسيم الجزائر لمقاطعات إلى حسن باشا بن خير الدين 950هـ - 959هـ / 1544م - 1552 م²، وقد تم تعيين أول باي لهذا البايك سنة 1567م من طرف البيلرباي محمد بن صالح ريس على هذا الإقليم الذي شهد ظروفًا صعبة والعديد من المشاكل. لقد تباينت الآراء حول تاريخ الحكم العثماني للشرق الجزائري، ومرد ذلك لصعوبة تثبيت العثمانيين لحكمهم بالمنطقة، فقد وجدت السلطة العثمانية نفسها بين السكان من جهة، وبين الدولة الحفصية من جهة أخرى، وذلك لأن الجهة الشرقية كانت تحت حكم الحفصية حتى سنة تنصيب علي بوعكاز بن الصخري شيخ العرب - اللقب الرسمي الجديد - في ظل السلطة العثمانية وزوال لقب الأمير في العهد الحفصي سنة 936هـ/1592م³.

¹ بلخوص: المرجع السابق، ص ص 22-25.

² بن ميمون الجزائري محمد: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق وتح محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1981، ص 36. وينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 30.

³ قشوان عبد الرزاق: السلطة المحلية في باييك قسنطينة (936-1253هـ/1592-1837م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث تخصص الدولة والمجتمع في العصر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 1430-1431هـ/2009-2010م، ص 43.

2. المجال الجغرافي لبايك الشرق:

بايك الشرق عبارة عن إقليم يشمل الشرق القسنطيني¹، وهو من أبرز بايلكات الجزائر² ومدينة قسنطينة³ هي عاصمة هذا البايك الذي يحمل هو الآخر اسمها⁴. وقد اشتهر هذا البايك⁵ بكونه أهم بايلكات الجزائر؛ ويبرز ذلك من خلال العمق الذي يضربه جنوبه الصحراوي، وشساعة إقليمه وضخامة مقوماته المتنوعة التي يزخر بها، كامتلاكه لأخصب الأراضي، وانتشار زراعة النخيل ذات الإنتاج الجيد في جزئه الجنوبي⁶.

¹ بن العنتري: فريدة منسية ...، المصدر السابق، ص17. وينظر: عيد عاطف، حداد حليم ميشال: قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس-الجزائر، ج21 و22، ط1، منشورات Creps.INT، بيروت، 1998-1999، ص121.

² فارس محمد خير: تاريخ الجزائر من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط1، دن، دمشق، سوريا، 1979، ص74. وينظر:

Hachette Fourquet d: **Guerres d'Afrique. Constantine expéditions françaises (1836-1837)**, imprimerie de poussielgue, Paris, 1852, p3.

³ قسنطينة: تقع مدينة قسنطينة فلكياً على خط عرض 36°-23° شمالاً، وخط طول 35° و7° شرقاً، أما موقعها الجغرافي فهي تقع في الشمال الشرقي للجزائر، وهي تحتل منطقة متميزة بالنسبة لإقليم الشرق الجزائري، وتبعد حوالي 87 كم عن مدينة سكيكدة، وهي قريبة من مدينة عنابة، وهما من أهم المدن الواقعة على ساحل البحر المتوسط شمالاً، كما أنها غير بعيدة عن مدينة سطيف. ينظر: لعروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة -دراسة جغرافية العمران-، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 1984، ص14. للمزيد ينظر: دوالي خديجة: علاقة السلطنة العثمانية بالقبائل من خلال ملفات الوثائق العثمانية رقم 1642 1242 هـ-1245 هـ/1826 م-1830 م (بايك الشرق انموذجاً)، ط1، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، جبل الجزائر، 2022، ص ص 39-40.

⁴ هابنسترايت ج او: رحلة العالم الألماني ج او هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، تق وتغ وتر ناصر الدين سعيدوني، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، 2014، ص83.

⁵ البايك: اسم لمنطقة جغرافية إدارية، وهو أحد المصطلحات العثمانية التي تعبر عن إقليم في الإيالة الجزائرية. ينظر: حموش مصطفى أحمد: فقه العمران الإسلامي للأرشفيف العثماني الجزائري (956 هـ/1246 هـ-1549 م-1830 م)، ط1، دار البحوث والدراسات الإسلامية للنشر، دبي الإمارات المتحدة، 1421 هـ/2000 م، ص270.

⁶ صديقي بلقاسم و بن يطو عبلة: الإدارة المركزية والإقليمية بالجزائر العثمانية (1519-1830)، مجلة المفكر، المج السابع، ع الأول، ذو القعدة 1444 هـ/جوان 2023 م، ص426.

كما تميّز باييك الشرق بكونه أكبر المقاطعات في الجزائر ذات الامتداد الواسع، فهو يمتد إلى الحدود التونسية شرقاً¹؛ والتي حُدِّت بوادي صراط عن طريق معاهدة² سنة 1022هـ / 1614م بين الإيالتين التونسية والجزائرية، غير أنها لم تُحترم من طرف القبائل الواقعة على الحدود، ممّا جعل أحد الباحثين الفرنسيين أندري نوشي (A. Nouschi) يصف تلك الحدود بأنها غير ثابتة ومتحركة³، كما يمتد حتى بلاد القبائل غرباً ويحده من ناحية الشمال البحر المتوسط أما من الجنوب فنجد حدّه الصحراء⁴ أي جنوب سلسلة الأطلس الصحراوي.

وممّن كتبوا حول هذا الإقليم نجد الدكتور شو (Dr Shaw)، فقد أورد بأنّ حدّ باييك الشرق البحر المتوسط من الشمال وذلك بشريط ساحلي يبدأ من دلس إلى بونة، ومن الشرق فهناك إيالة تونس، أما من ناحية الغرب فحده مقاطعة الجزائر، ويعتبر المجرى المائي بوبراك هو الحد الغربي له، أما من ناحية الجنوب فحدّ هذا البايك الزّاب⁵، ويُقدّر امتداده

¹ بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص63. وينظر: الزهار أحمد الشريف: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تح أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 48.

² اتفاقية الحدود: وأهم ما جاء فيها أن كل الأراضي الواقعة غرب وادي صراط هي أراضي للإيالة الجزائرية، كما يتم تمديد أراضي القبائل الخاضعة لبايك الشرق الجزائري في عمق التراب التونسي. ينظر: جداوي يمينة و بوقرو ناصر:

اتفاقيتي ترسيم الحدود بين الجزائر وتونس عامي 1614م و1628م، مجلة رؤية تاريخية للأبحاث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 4، ع 2، جويلية 2023، ص 147.

³ معاشي جميلة: الأسر المحلية الحاكمة في باييك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 2014، ص14.

⁴ بوحوش: نفسه، ص63.

⁵ إقليم الزّاب: هو إقليم يتميز بحرارته المرتفعة وكثرة رماله، كما يلاحظ عليه قلة المياه وضآلة المساحة الصالحة لزراعة الحبوب، وبه حدائق النخيل، وهو يشمل المدن الآتية: بسكرة، البرج، نفطة، طولقة، دوسن ومدن أخرى. ينظر: الوزان حسن بن محمد (ليون الأفريقي): وصف إفريقيا، ج2، ط2، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983، ص138. أما بالنسبة لحدود هذه المنطقة فيحدها من الشمال مدينة قسنطينة ومن الشرق تونس ومن الجنوب بلاد الجريد ومن الغرب باييك التيطري ويبلغ امتدادها من الشمال الى الجنوب 75 فرسخا (225كلم) ومن الشرق الى الغرب 100 فرسخا (300كلم) ينظر: =

من الشرق الى الغرب حوالي 95 فرسخا¹(458.85كلم)، ومن الشمال إلى الجنوب 58 فرسخا(278.4كلم)، وهذا كأقصى طول من الجهتين². وهذه الحدود التي وضعها الرحالة توماس شو (Dr Shaw) لبايك الشرق -أو كما ورد في كتابه بمصطلح مقاطعة قسنطينة- فيظهر بأنه اكتفى بذكر منطقة الزّاب كحد للبايك من الجنوب دون ذكر منطقة جنوب بسكرة ووادي سوف وتقرت وجنوبها، لأنها كانت تحت سلطة بني جلاب.

في حين يحدّده الرحّالان بايسونال وديفونتان (Personnel et Desfontaines) بأنّ امتداد بايك قسنطينة يبلغ حوالي مئة فرسخ(300كلم) من الشرق الى الغرب ويحدّه البحر المتوسط من الشمال أما جنوبا فحدوده الصحراء الكبرى³.

كما يؤكّد نقيب الأشراف الشريف الزّهّار أنّ حدود البايك شرقاً تونس، وهذا ما أكّده لوجي دو تاسي (LAUGIER DE TASSY) أيضاً⁴، وأنّه يمتدّ حتى وطن حمزة وأن هذا الأخير يدخل ضمن أراضي البايك⁵، ويذكر أيضاً أن وطن قسنطينة إقليم واسع جداً بقوله:

= Shaw : **Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc, de cet état**, traduit de l'anglais par J.Mac Carthy, chez marlin éditeur, Paris 1830, p392.

¹ الفرسخ: مسافة معلومة وهي ثلاثة أميال أو ستة. ينظر: ابن المنظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، ط ج، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص3381.

² Shaw: **ibid**, p 325.

وينظر: قشوان عبد الرزاق: **الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري (1219-1282هـ/1804-1871م)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف عبد المجيد قدور، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، السنة الجامعية 1438هـ-1439هـ الموافق ل 2017م-2018م، ص15.

³ Personnel et Desfontaines: **Voyages dans Les régences de Tunis et d'Alger**, publiés par Dubeau de La Malle, T1, Librairie de Gide, Paris, 1838, P269.

⁴ Tassy Laugier d : **Histoire du royaume d'Alger**, chez Henri du Sauzet, Amszterdam, S.D, p128.

⁵ الزهار: المصدر السابق، ص 48.

«...أما وطن قسنطينة فإنه كبير جدًا. حتى العارفين بالأرض قالوا أن وطن قسنطينة يلزمه أربع بايات»¹. ويُستنتج من قوله هذا أن بايلك الشرق ذو امتداد واسع وغني بالخيرات المتنوعة بحيث أنه من الواجب وضع أربعة بايات لتسييره وتنظيمه وأن بايات قسنطينة كل في عهده تمكّنوا من فرض سلطتهم على هذا الإقليم، وهذا ما جعل لهؤلاء البايات مكانة عند دايات الجزائر.

أما العنترى فيورد حدود البايك كالتالي «... تمتد من البحر شمالاً إلى ما وراء بسكرة ووادي سوف، في حوض ريغ، وايغرغر جنوباً، ومن الحدود التونسية شرقاً إلى ما وراء إقليم ونّوغة وبرج حمزة (البويرة)، وسفوح جبال جرجرة غرباً»، وقد احتوى بايلك الشرق على العديد من المناطق كجبال البيان وحوض الصومام والسهول العليا القسنطينية ووحدات الصحراء الشمالية الشرقية كبسكرة وورقلة وتقرت وحتى واحات ميزاب ببلاد الشبكة². وهذه الحدود قد حافظ عليها بايلك الشرق حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر³. ويُفهم مما ذكره العنترى أن هذا البايك قد وصل امتداده حتى منطقة وادي ميزاب إلا أن هذه المنطقة لم تكن خاضعة لبايات قسنطينة، والشيء نفسه بالنسبة للجلالبة في وادي ريغ.

ومما يؤكد ذلك أنه عند تولّي الباشا حسن الدولاتلي (1791م-1798م) إيالة الجزائر كان لباي الشرق صالح باي (1771م-1791م) خلافت مع بني ميزاب المستقرين بعاصمة البايك قسنطينة بسبب الضرائب المسلّطة عليهم، فقد أمر بمصادرة ممتلكاتهم وطردهم من المدينة. وعلى إثر ذلك طلب صالح باي من الباشا حسن الدولاتلي توسيع سلطته لتشمل وادي ميزاب أيضاً لجباية الضرائب منهم، وبالتالي تحولت منطقة وادي ميزاب من سيطرة دار السلطان إلى باي بايلك الشرق صالح باي. فتخوّف أهل المنطقة من صاحب بايلك

¹ الزهار: المصدر السابق، ص 47.

² بن العنترى: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 17.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 14.

الشرق آنذاك الذي عُرف بعدائه لهم وبفرضه للضرائب الضخمة عليهم، فأرسلوا إلى الباشا حسن ثلاثة رسائل باسم جموع بني ميزاب السّلطة المحلية هناك، وكانت قد كُتبت من طرف أحد الشيوخ وهو إبراهيم بن بيحمان استعطافًا منهم للباشا حتى يتراجع عن قراره فيما يخص منحه لصالح باي منطقة وادي ميزاب تحت نفوذه وتبعيته¹، فأهل ميزاب لم يرفضوا السلطة المحلية ببابك الشرق بل فضلوا خضوعهم للسلطة المركزية مباشرة.

ومما جاء في توطئة الرسائل مايلي: «...ولمّا وقع في سنة ستة ومائتين وألف من بعد هجرة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- من أمور عظام، وأهوال جسام، ومن جملتها أن عدو الله والمسلمين البائي + كذا + صالح صاحب الولاية الشرقية عليه اللعنة (...) قد دخل بلد الجزائر واشترى من المولى حسن الدولاتلى بلاد بني ميزاب أن يكون أميرًا عليهم بعدة ألوف لا تحصى، وأن يجعل أمورهم بيده وجّهز له ما جهّز ممّا لا يعدّ ولا يستقصى، وقد تمّنى ذلك اللعين وترجّى أسرهم وسبّي النساء والصغار وحَدّث به نفسه آناء الليل والنهار»². ومن خلال هذه الرسائل تتّضح لنا نظرة أهل المنطقة السلبية على شخص صالح باي، وكونه مستبدًا في نظرهم، وهذا ما لم يذكره أهل بابك الشرق أنفسهم عن هذا الباي.

ومما يذكر أن بني ميزاب كان ردّ فعلهم كالتالي: «... فرفعوا شؤونهم إلى إبراهيم بن عبد الرحمان، مريدين منه كتابا يكتبه لهم في ذلك الشأن، إلى ذلك السلطان العالي القهرمان

¹ بالحاج ناصر: النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية 1433هـ-1434هـ/ 2013م-2014م، ص ص101-102.

² نفسه، ص102.

الغالي، فامتثل ما أتوا به إليه في الساعة والحين»، وبذلك تمّ الاتصال بالباشا حسن الدولاتلي عن طريق أمينهم إلى وكيل الخرج وتمّ العدول عمّا أقرّه الباشا لصالح باي¹.

ويُستنتج من خلال ما ورد في توطئة الرسائل أن الباشا حسن قد قبل طلب صالح باي في توسيع حدود بايلك الشرق، فاستحوذ هذا الباي على منطقة وادي ميزاب وذلك لاستخلاص الضرائب منهم، لذلك تحرّك أعيان بني ميزاب لإبعاد الخطر عنهم خاصّة وأنّ صالح باي يترصّدهم، فكان لهم العدول عن ذلك بطلب منهم للباشا حسن الدولاتلي. ومن هذا يمكن القول أنّ منطقة ميزاب لم تكن تحت نفوذ بايلك الشرق كما أورد العنتري.

وقد ساعد الموقع الجغرافي هذا على تميّز بايلك الشرق عن باقي الأقاليم الأخرى في الجزائر نظراً لشساعة مساحته وخصوبة تربته وكذلك لطول شريطه الساحلي الذي تمتد حدوده من دار السلطان غرباً إلى القالة شرقاً التي بدورها تعتبر آخر رقعة من أراضي هذا البايك القريبة من مدينة طبرقة التونسية².

ويضاف إلى ذلك تميّز بايلك الشرق بتباين تضاريسه وتنوع أقاليمه، كما يعتبر مجالاً حيويًا مكّن الجزائر من ربط علاقات تجارية مختلفة مع عدة أقاليم عربيّة وإسلاميّة وخاصّة مع الدول الأوروبيّة، كما تميز بكثافة غاباته وتنوع أشكاله التضارسيّة خاصّة الجبال واشتماله

¹ بالحاج: المرجع السابق، ص 102.

² شاعو كمال: بايلك قسنطينة من خلال بعض وثائق المجموعة 1641 المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية 1171هـ-1757م/1207هـ-1792م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف مختار حساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004/2005، ص ص 10-11.

على العديد من السّهول التي تواجدت بها مدن عديدة ذات أهميّة بالغة كجاية¹ وجيجل وعنابة². وكان لهذا البائلك تقسيم إداري منظم.

3. التقسيم الإداري للبائلك:

قسّمت السّلطة العثمانية أراضي الإيالة الجزائيّة إلى أربعة أقاليم وهي: دار السلطان والتيطري وقسنطينة ووهران، كما قسّم كلّ منها إلى مجموعة من الأوطان، وهي بدورها تتكوّن من مشايخ مشكّلة في مجموعها قبيلةً أو تزيد، وجعلت على رأس هذه الأخيرة شيخاً من أفرادها³. ويتّأس الأوطان - والتي تشمل مجموعة دواير أو عدة قبائل - قائد يتمّ تعيينه من طرف الباي، وعموماً يكونون من فئة العثمانيين وهم يمارسون سلطات مختلفة مدنيّة وعسكريّة وأيضاً قضائيّة، وللقايد صلاحيات تكليف الشيوخ لإدارة القبيلة أو فرع منها أو لإدارة الدوار، وبالطبع يتمّ اختيارهم من أعيان القبيلة، وعند تعيينه يقدّم الهدايا المحدّدة عن طريق العُرف⁴. وتجدر الإشارة إلى أن عدد الأوطان يختلف من بايلك لآخر، وقد احتوى بايلك الشرق أربعين (40) وطناً⁵.

¹ بجاية: إحدى المدن العتيقة يرجع بناؤها للرومان، تتميز بطبيعتها الجبلية الوعرة وذات الغابات الكثيفة. ينظر: الوزان: وصف إفريقيا، ج1، المصدر السابق، ص50.

² قشوان: الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق...، المرجع السابق، ص15.

³ الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص21.

⁴ فارس: مرجع سابق، ص75.

⁵ شويّام أرزقي: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ/1519-1830م، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القبة الجزائر، 2009، ص ص53-54.

وقد تمّ تقسيم بايلك الشرق إداريًا إلى أقسام على رأس كلّ منها حاكم تابع لباي قسنطينة مباشرة وهي كالتّالي¹:

- قسم شماليّ وامتد من عنابة إلى بجاية، ومن أشهر قبائله أولاد بن عاشور وأولاد بن عز الدين.
 - قسم جنوبيّ ومن أبرز قبائله الذواودة، ثم أولاد بن قانة.
 - قسم شرقيّ وقد احتوى أراضي الحنانشة وعامر الشراقة، ووادي الزناتي، ويُعتَبَر أحرار الحنانشة من أهم قبائله.
 - قسم غربيّ وقد امتد من سطيف² إلى جبال البيبان، بالإضافة إلى قرى بني منصور ووئوغة، ومن أشهر قبائله أولاد مقران ومجانة.
- ولقد خضعت قسنطينة وعنابة وما جاورهما من الضواحي لسلطة الباي مباشرة بادئ الأمر، ثم أضحت المناطق الأخرى تتلاحق لحكم الباي في البايك نظرًا لحالة الاضطراب التي عاشتها المنطقة³.

ومما يلاحظ على بايلك الشرق أنّه قد خضع لنظام إداري مشابهٍ تقريبًا لما كان في بايلك الغرب والتيطري⁴، وفيما يلي الجهاز الإداري له.

¹ قشوان: السلطة المحلية ...، المرجع السابق، ص ص43-44.

² سطيف: إحدى المدن العتيقة يرجع بناؤها للرومان، وهي تقع جنوب بجاية. ينظر: الوزان: وصف إفريقيا، ج1، المصدر السابق، ص52.

³ قشوان: السلطة المحلية ...، نفسه، ص44.

⁴ عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830 م، ط1، دار هومة، جيجل، 2012، ص292.

4. الجهاز الإداري في البايك:

ظلّ بايك الشرق خاضعا للسلطة المباشرة لداي الجزائر¹، وقد عرّفت الأجهزة الإدارية فيه تنوعاً على المستوى المحلي، فنجدها قد قُسمت إلى ثلاثة أقسام، فهناك إدارة خاصّة بعاصمة الإقليم أو ما أطلق عليها حينها بدار الباي، كما نجد إدارة للمدن وأخرى للأرياف². وإدارة البايك نجدها تتألف من أجهزة متعددة يمكن أن نذكر منها³ :

4. 1 الباي:

يخضع البايكات لموظّفين يكونون مستقلين عن الآغا⁴ إدارياً ويُطلق على هذا الموظّف اسم الباي⁵، والذي يأتي على رأس جهاز الحكم في البايك⁶، ويتمّ تعيينه في منصبه مدّة ثلاث سنوات قابلة للتجديد⁷، ويكون دائماً تحت تصرف باشا الجزائر أي الداي⁸.

¹ سعيدوني: الشرق الجزائري بايك قسنطينة ...، المرجع السابق، ص142.

² شويّتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص48.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص19.

⁴ الآغا: من أبرز وزراء الداي ومساعديه وهو رئيس الجيوش. ينظر: الزبيري: المرجع السابق، الهامش ص20.

⁵ عباد: المرجع السابق، ص282.

⁶ سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 188.

⁷ عباد: نفسه، ص282.

⁸ بن ميمون: المصدر السابق، ص36.

وبالتالي الباي هو الحاكم الفعلي في الإقليم¹، كما يمثل نائب الباشا عليه². وقد أشار محمد بن يوسف الزياني إلى معنى كلمة باي بقوله: «... إعلم أنّ الباي عند أتراك الجزائر لقب لمن وُلّي إيالة تلمسان أو تيطري أو قسنطينة فقط»³.

وإدارة مقاطعة قسنطينة تُنظّم من قبل باشا الجزائر الذي يرسل بايّا لها⁴، ويتمّ تعيين بايات إقليم قسنطينة أحياناً من بين العثمانيين المتواجدين بالمدينة، وأحياناً أخرى من بين المتواجدين بمدينة الجزائر، أو من مكان آخر من الإيالة⁵، فالأصل في اختيار البايات أنّه يجب أن يكونوا أتراكاً أو كراغلة، غير أنّ هذه القاعدة لم يتمّ احترامها إذ تمّ تنصيب بعض البايات من أصول عربية⁶ مثل خير الدين باي (1674-1676م) وحمودة باي (1707م)⁷.

وجرت العادة على أن يتم اختيار الباي بداية العهد العثماني من بين الرجال المشهود لهم بالقدرات العالية في ميادين عدة كالعسكرية والإدارية، ومع مرور الزمن تغيرت طريقة التعيين، فأصبحت هناك معايير واعتبارات عدة تتدخل في طريقة التعيين، ومن أبرزها علاقة المصاهرة للباي مع الأهالي، خصوصاً تلك الأسر المشهورة بقوّتها ونفوذها، وكان الهدف الأبرز من ذلك الحصول على دعم شيوخها للقضاء على التمردات والفتن، والتي

¹ بن العنّري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص18. وينظر:

Tassy: **op.cit**, p231.

² الورثاني الحسين بن محمد: الرحلة الورثانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المجلد 2، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، 2006، ص791.

³ الزياني محمد بن يوسف: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتقا الشيخ المهدي الب عبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص248.

⁴ خوجة حمدان بن عثمان: المرأة، تق وتقا وتقا محمد العربي الزبيري وتصدير عبد العزيز بوتفليقة، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص ص 99-100.

⁵ فايس: المرجع السابق، ص21.

⁶ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص49.

⁷ بن العنّري: فريدة منسية...، نفسه، ص49، ص52.

كثيرا ما كانت تتفجّر بين القبائل والسّلطة العثمانية الحاكمة من حين لآخر¹، وأحيانا كثيرةً كون الباي من المقرّبين لبعض الموظفين البارزين في الحكم أو له شأن في الديوان أو أنه تقلّد منصب خليفة الباي لمُدّة معيّنة، وأحيانا أخرى يقوم أهل البلد باختياره من بينهم شرط أن تقبل به السّلطة بمقر الحكم المركزيّ بدار السّلطان².

ويُكلّف الباي بالعديد من المهام، ومن أبرزها إرسال أخبار إدارته لمدينة الجزائر³ وبحضوره شخصيا يسلم الدُّنُوش⁴ الكبير كل ثلاث سنوات⁵، بشرط أن يكون ما يقدّمه مساويا لما قدّمه لموظفيه، ولرجال المدفعية وفرسانه المتواجدين في حدود مقاطعته⁶ وبإمكانه بعث ممثله الذي يخلفه كلّ ستة أشهر لتسليم الدُّنُوش أو الهدايا⁷، كما يُجبر على تقديم الهدايا للدّاي وحاشيته ليعاد تعيينه في منصبه⁸. وبالتالي تكاد تنحصر علاقته مع باشا الجزائر في الأموال التي يدفعها عن مقاطعته للخرينة العامة والجنديّة⁹.

كما يخضع البايك لسطة الباي ويكون تحت تصرّفه مباشرة¹⁰، فالبايات هم السّادة على أراضي أقاليمهم¹¹، كما يقوم الباي بجولات عبر كامل البايك، والهدف من ذلك هو تحصيل

¹ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص48.

² صديقي، بن يطو: مرجع سابق، ص431.

³ خوجة: المصدر السابق، ص ص 99-100.

⁴ الدنوش: هي الضرائب السنوية التي يرسلها البايك إلى باشا الجزائر. ينظر: سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص271. وينظر: كعوان فارس: المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات: الباشا -الدنوش -الباييك، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 1، ع خ، أبريل 2019، ص131.

⁵ سبنسر وليام: الجزائر في عهد رياس البحر، تع وثق عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006، ص84. وينظر: عباد: المرجع السابق، ص282.

⁶ خوجة: نفسه، ص ص 99-100.

⁷ الزباني: المصدر السابق، ص250. وينظر: عباد: نفسه، ص282.

⁸ عباد: نفسه، ص282.

⁹ المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي الجزائر، 2009، ص36.

¹⁰ بن ميمون: المصدر السابق، ص36.

¹¹ سبنسر: نفسه، ص83.

المطالب المخزنية المختلفة، ومن صلاحيّاته توجيه أوامر وتعليماتٍ للحاميات المتواجدة على أرض مقاطعته ليتمّ نقلها عن طريق الشّاوش إلى الآغا التي يطبّقها بحذافيرها وبسرعة فائقة¹.

كما نجد للباي حقّ مصادرتة للممتلكات²، وهو أيضا المسؤول الأول على ضمان الأمن في مقاطعته، وإبقاء أهالي إقليمه في حالة خضوع وتبعية، ولذلك يعمد في كثير من الأوقات إلى تهجير بعض العائلات وتشيت قبائل عدة ليتجنب التمرّدات ويحفظ الأمن³.

ويستفيد الباي في كل عام مرة واحدة من حامية من العساكر مبعوثة من طرف الباشا لإخماد التمرّدات والفتن وهذه العادة دائمة الحدوث، وتبقى هذه الحامية مدّة طويلة تصل ستّة أشهر، ومن مهام الباي أيضا تقديم المنح والعطايا للجنود الذين طلبوا البقاء في البايك والمكوث به حتّى وصول الحامية القادمة، فالباي هو المسؤول عن تقديم الإنذ بذلك⁴.

ويكفّل الباي بمسؤولية إدارة البايك وحدوده، وله واسع الصلاحيّات فيه، فهو غير خاضع لأيّ مراقبة⁵. حيث يذكر صاحب المرآة حمدان خوجة أنّ حدود كلّ مقاطعة مضبوطة⁶، كما يُسنَدُ إليه مهمّة الدفاع عن أراضي الإيالة وحدودها⁷.

¹ خوجة: المصدر السابق، ص 102.

² شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص 49.

³ الزبيري: المرجع السابق، ص 23.

⁴ خوجة: نفسه، ص 102.

⁵ عباد: المرجع السابق، ص 282.

⁶ خوجة: نفسه، ص 100.

⁷ سبنسر: المصدر السابق، ص 85.

وتجدر الإشارة هنا أنّ البايات لم تكن من صلاحيّاتهم المطلقة التّعيينات والترقيات على مستوى إدارتهم المحليّة، فقد كان يتولّى أمرها إلى جانبهم الداي، فسلطان البلاد كان يتولّى هو الآخر مهمّة تعيين بعض القيّاد وشيوخ الأعراش والقبائل القاطنين بالبايلك وترقيتهم¹.

أما فيما تعلق بالمهام الإداريّة التي هي من اختصاص الباي فهي عديدة، ولعل أبرزها ضمان موارد دخل خزينة البايلك؛ لأنّها سببٌ في إعادة تعيينه على رأس البايلك، بمختلف الوسائل كالحملات العسكريّة واستعطاف الرّؤساء المحليّين، وهنا نجد الباي بمثابة المفوض الرسميّ بجمع المطالب المخزنية. ومن مهامه أيضا نيلُ الحقوق المفروضة من الأراضي التابعة للبايلك (عزل البايلك)، كما يعمل على منع الانتفاضات والتمردات، وتأمين الطرقات ودفع مرتّبات الحاميات العسكريّة في البايلك، والعناية بالهياكل العمرانيّة في إقليمه، كتأسيس الثكنات وإصلاح الأسوار وحراسة الموانئ وضمان المواصلات والاهتمام بالأبراج والحصون وغيرها².

وفي بعض الحالات يصبح الباي تحت إمرة الباشاغا (آغا العرب) القائد العام للقوات البريّة وذلك في حالة الحملات العسكريّة الاستثنائيّة بما في ذلك الإنكشاريّة أيضا³.

كما يلتزم الباي بدفع مكافأة في حالة بقاء المحلّة⁴ أكثر من المدّة اللاّزمة لبقائها، فهو المعنيّ بمصاريفها، حيث تبلغ قيمة هذه المكافأة ب 2 بوجو (3.60 فرنك) لكل فردٍ من الجنديّة شهريّا⁵.

¹ شويتام: المجتمع الجزائري وفعاليّاته ...، المرجع السابق، ص 60.

² سعيدوني: ورقات جزائريّة ...، المرجع السابق، ص 189، 190.

³ عباد: المرجع السابق، ص 282.

⁴ للمزيد حول مفهوم المحلّة وأنواعها ينظر للفصل الثالث ص ص 202-211.

⁵ عباد: نفسه، ص 314، 315.

أما فيما يخصّ عزل الباي فيتمّ عن طريق تعليمات ترسل من الباشا إلى آغا المركز أو الحامية ليلقي القبض عليه إلى أن يتمّ تنصيب خليفته مخافة إحداث فوضى في مقاطعته. وقد كان نادراً جداً عزل البايات بداية الحكم العثماني في الجزائر، وبوصول الباشوات والدّايّات لسدة الحكم صار هذا الأمر كثيرَ الحدوث، وقد انعكس ذلك سلباً على السّلطة والشعب أيضاً¹.

وعند عزل الباي² يتمّ التّغيير في سلك الموظّفين على المستوى المحلّي وذلك لكون الباي الجديد لا يثق في الموظّفين السابقين المتعاملين مع الباي المعزول، فكان الباي الجديد يفضّل تغيير معظم الموظّفين الذين يشغلون المناصب الحساسة في الجهاز الإداري كما أنّ الباي المعيّن يتمكّن خلال هذه العملية من جمع أموالٍ معتبرة يعوّض بها ما سدّده سابقاً للدّاي وأعوّنه مقابل حصوله على منصبه الجديد هذا³.

وفي حالة وفاة الباي فإنّه من الواجب على من يخلفه أن يكون له علاقة بشيوخ العرب عن طريق المصاهرة، وعلى علم بكل العادات والتقاليد؛ وبالنسبة لتركّة الباي المتوفّي فترجع إلى من يرثه، باستثناء العتاد الحربيّ، وكلّ ما له علاقة بإدارته فيبقى في مسكنه ليتصرّف فيه الباي الجديد⁴.

4. 2 ديوان الأوجاق:

عبارة عن نموذج مصغّر لديوان الداي بدار السلطان من حيث التنظيم الإداري والصلاحيات⁵، ويبقى الأوجاق في اتصال مباشر مع الباي⁶. وديوان الأوجاق هم رجال

¹ خوجة: المصدر السابق، ص103.

² للمزيد حول طريقة تنفيذ العزل ينظر: سعيدوني: الشرق الجزائري باييك قسنطينة ...، المرجع السابق، ص144.

³ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص70.

⁴ خوجة: نفسه، ص100.

⁵ سعيدوني: ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص188.

⁶ شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، نفسه، ص50.

المخزن ويعتبرون بمثابة أعضاء الحكومة ويشاركون الباي في تسيير الإقليم، كما لهم الحق في السلطات العليا إلى جانب الباي دون غيرهم، ويشاطرونه إصدار القرارات¹، وقد كلفوا بتسيير المدن الرئيسية، ومنهم من له اتصال بالأرياف بحكم مركزهم في السلطة² وهؤلاء هم:

4. 2. 1 الخليفة: له مسؤولية تسيير الأوطان في البايك، وله مهمة تنظيم عملية تحصيل الضرائب وأن يخضع السكان إلى سلطة البايك، وتحت سلطته القواد رجال المليشيا³، كما له مهمة حمل الدنوش إلى الباشا مرتين في العام نيابة عن الباي عند تعذر حضوره⁴. ودائما ما نجد أن هذا المنصب يكلف به أحد أقارب الباي⁵. كما كان الخليفة مخولا له الاتصال بقياد البايك وعدد من رؤساء العشائر، وذلك بتفويض من الباي نفسه لتحصيل الضرائب من سكان الأرياف، كما أسندت إليه مهمة إقرار الهدوء وفرض السلطة على الإقليم⁶.

4. 2. 2 قائد الدار: وهو المكلف بشرطة المدينة وإدارة البايك وأملاكه، وجميع عقاراته وبالمخازن والأئمة ووعاظ المساجد والقضاء والمفتين والمسؤول عن دفع رواتبهم وكذلك

¹ صديقي، بن يطو: المرجع السابق، ص 431.

² موساوي القشاعي فلة: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837 م، ط 1، القافلة للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، 2016، ص 85.

³ المليشيا: مصطلح أطلق على أحد الفئات المشكّلة لقوات البايك، وهم جنود من الأتراك وعدد من الكراغلة، ومن أبرز المهام الموكلة لهم العمل في النوبة، ومصاحبة محلة الدنوش، والمشاركة في قوافل الغزو. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 25.

⁴ نفسه، ص 20. وينظر: صديقي، بن يطو: نفسه، ص 431. وينظر أيضا: عباد: المرجع السابق، ص 295.

⁵ سعيدوني: الشرق الجزائري بايك قسنطينة...، المرجع السابق، ص 142.

⁶ سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 190.

على حفظ الأمن بالمدينة، كما من مسؤولياته ضمان رواتب رجال المليشيا¹ ويخضع له قائد الباب الذي من مهامه مراقبة مداخل حقوق الكراء بالمدينة².

4. 2. 3 المقتصد: له سلطة الانفاق والمصالح المالية، ومن مهامه أيضًا جمع الضرائب وتحضير أموال الدّوش³.

4. 2. 4 قائد أو أغا الدائرة: يدير فرق الفوم غير المنظّمة المتواجدة في الأرياف، ومن مهامه توفير ما يحتاجون إليه، كما يخرج مع الباي في حملاته لمعاقبة القبائل العاصية⁴ وقد أطلق عليه اسم خوجة الخيل، و يُعرّف في بايلك الشرق بقائد مُهر باشا وهو بمنزلة آغا العرب بدار السلطان، فمهمّته التّصرّف بأرياف بايلك الشرق في شؤون تسعة وثلاثين (39) قبيلة من أجل توفير المساعدة على القيام بحملات تأديبية، وقد تميّز فرسانه بأعلام وشاراتٍ خاصّة، كما توسّعت صلاحيّاته إلى حقّ التّصرّف في الفرق العسكرية، كما كُلف بالإشراف على تنصيب البايات وهو المسؤول على أمر مراقبتهم، وكتابة تقرير عن ذلك للداي بالجزائر، وله مهمّة تنفيذ أوامر عزل البايات، و هو المخول بإدارة البايك مؤقتًا إلى حين التحاق الباي الجديد بمنصبه، و لذلك نجد أنّ سلطته كسلطة الباي نفسه، خاصّة عندما أضحت الحامية ببايك الشرق والمرابطة بحصن القصبة تأتّمر بأمره⁵.

4. 2. 5 الباش كاتب: هو محرّر برقيات الباي ورسائله ومصحّحها، وكلّ ما له علاقة بالبايلك من حيث السياسة، وله دفتر خاصّ به يقوم فيه بتسجيل كلّ أموال البايك، ومن مهمته أيضًا مراقبة وختم رسائل الداوي، وتحرير رسائل الموظفين في البايك، كما يستقبل الرسائل الواردة، وتحت مسؤوليته كُتاب خاضعون له، مهمّتهم تحرير الرسائل الإدارية

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص20. وينظر: عباد: المرجع السابق، ص296.

² سعيدوني: الشرق الجزائري بايلك قسنطينة...، المرجع السابق، ص142.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص21.

⁴ نفسه، ص21.

⁵ سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص191.

المختلفة وتحرير محاضر جلسات العدالة¹، ونظرًا لمنصبه فقد أُذِن له التدخل في تسيير الأرياف، وتعيين الموظفين القائمين عليها².

4. 2. 6 الباش سيار: له مسؤولية تتبّع قافلة البريد، وحَمْلُ رسائل الباي إلى باشا الجزائر كما يعود برسائله ويلازم الخليفة إلى العاصمة عند حمل الدّوش للباشا³.
4. 2. 7 باش سايس: قائد الزمالة وله مسؤولية حيوانات البايك وكلّ ما تعلق بها من رعاية وحماية⁴.

4. 2. 8 باش شاوش: له مسؤولية تنفيذ الأوامر على العثمانيين، كما توضع كتيبة من الإنكشاريين وفرقة من الصبايحية الكراغلة وقواتٍ من المخزن تحت سلطته⁵.
4. 2. 9 شاوشا الكرسي: لهما وظيفة الجَدِّ وهما عثمانيان يسيران أمام الباي عند خروجه لحمايته، كما لهما مسؤولية التوسّط بين الباي والمسؤولين الأجانب في مسائل السّلم والحرب وغيرهما، كما يُبلّغان السّلام والتّحية باسم الباي في الاجتماعات⁶.

4. 3 الموظفين:

وهم من الذين يساهمون في تسيير إدارة عاصمة الإقليم⁷، ومنهم من له اتصال بالأرياف بحكم منصبهم⁸، ولا يتصل بهم الباي مباشرة وهم:
4. 3. 1 آغا الصبايحية: هو المكلف المسؤول عن الصبايحية والشواش⁹.

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص21.

² موساوي: المرجع السابق، ص87.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص21.

⁴ فايس: المرجع السابق، ص 23.

⁵ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص21.

⁶ نفسه، ص21.

⁷ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص50.

⁸ موساوي: نفسه، ص85.

⁹ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 21.

4. 3. 2 شاوش المحلة: من مهامه توزيع احتياجات جنود المحلة، من مؤن وخيام وأخشاب¹.

4. 3. 3 باشا العلم(الراية): وهو المكلف بحمل راية العلم أمام الباي في المهمات سواء كانت سلمًا أو حربًا².

4. 3. 4 باش الطبل: رئيس الطبول التي تُدقُّ في حالات السلم والحرب³.

4. 3. 5 باش المكاحل: وهو المكلف بحمل أسلحة الباي في الحفلات العامة وحاكم فرسان حرسه الدائم ورئيس حرسه الخاص⁴، وقد كُلف بالقيام بالحملات، كما أعطي حق الإشراف على ستّة قبائل خارج عاصمة البابك والتصرف فيها⁵.

4. 3. 6 باش خزناجي: وهو حارس قوافل المحلة التي تقوم باستخلاص المطالب المخزنية ومن مهامه إعداد الأحصنة لحمل الضرائب في كل مراحل جمعها، كما له مسؤولية حمل أمتعة الباي عند سفره⁶.

4. 3. 7 باش مانغا: له مسؤولية تحضير البغال والأحصنة للقافلة التي يترأسها الباي للقيام بحملة مفاجئة⁷.

4. 3. 8 خوجة الخيل: له مهمة تنشيط سير الخيول والبغال، ويكون إلى جانب الخليفة في مسيرته للعاصمة عند حمل الدّوش في الربيع، ومن مهامه أيضا إرسال أمتعة القافلة من العاصمة إلى قسنطينة عند عودتها⁸.

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 22.

² فايست: المرجع السابق، ص 24.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 22.

⁴ نفسه، ص 22.

⁵ موساوي: المرجع السابق، ص 86.

⁶ فايست: نفسه، ص 24.

⁷ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 22.

⁸ فايست: نفسه، ص 25.

4. 3. 9 باش سراج: وله مسؤولية اصطبلات الباى في عاصمة الإقليم¹، كما أوكلت له مهمة قيادة خمس قبائل، ويتمّ توكيله عليها من قبل الباى نظراً لحاجة السلطة للخيل، فصار له أهمية وشأن².

4. 4 عمال قصر الباى بقسنطينة:

4. 4. 1 قائد المقصورة: له وظيفة مقتصد قصر الباى³، وهو المشرف على الشؤون الشخصية للباى⁴.

4. 4. 2 باش الفراش: المكلف بفراش قاعات القصر⁵.

4. 4. 3 قائد الجبيرة: له مسؤولية حمل محفظة الباى⁶، وتزويدها بالمال اللازم لها⁷.

4. 4. 3 قائد السيوانة: وهو المكلف بحمل مظلة الباى⁸.

4. 4. 4 قائد السبسي: المعنيّ بإعداد حشيشة الدخان⁹ لحاكم البابك وبغليونه¹⁰.

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص22.

² موساوي: المرجع السابق، ص86، 87.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص22. وينظر: سعيدوني: الشرق الجزائري بابك قسنطينة...، المرجع السابق، ص143.

⁴ موساوي: نفسه، ص89.

⁵ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص22.

⁶ موساوي: نفسه، ص89. وينظر: سعيدوني: الشرق الجزائري بابك قسنطينة...، نفسه، ص143.

⁷ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص22.

⁸ سبنسر: مصدر سابق، ص83.

⁹ ويذكر حول استهلاك التبغ أو الدخان أنّه أمر محدث؛ فلقد ظهر في العالم الإسلامي في نواحي الألف الهجرية، وقد اختلفت اجتهادات الفقهاء وفتاوى العلماء في تبيان حكمه الشرعي؛ وذلك لأنهم لم يعرفوا مضاره وحقيقته، ومع ذلك فقد أفتى جمهور العلماء بتحريمه نظراً لما فيه من اسراف، ولكونه مادة مضرّة بالصحة، وكذلك لخبث رائحته وكونه جاء من الغرب المسيحي. فالحنفية عموماً أفتوا بتحريمه ومن أشهرهم الشيخ محمد الخواجة والشيخ محمد العيني والشيخ علاء الدين الحصكفي والشيخ عبد الحي اللكنوي. ينظر: بن عتيق أحمد بن محمد، الأحكام الفقهية المتعلقة بالتدخين، ط1، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، 1429هـ/2008م، ص ص 47-48.

¹⁰ فايست: المرجع السابق، ص 25.

4. 4. 6 قائد الطاسة: المكلف بأدوات شرب القهوة وحملها أثناء سفر الباي¹.
4. 4. 7 باش قهواجي: المكلف بإعداد القهوة للباي وتقديمها له ولضيوفه في القصر².
4. 4. 8 قائد الدريجة: ويدعى آغا الطواشي، ويكون من السود المخصيين لأمنه على النساء، وهو البواب الأول في دار الباي³، فمهمته تفتيش النساء و أمن الباي من محاولات الاغتيال النسوية.
4. 5 الموظفون في المدن:

وهم تابعون لقائد الدار والمؤتمرون بأمره ونذكرهم كما يلي:

أمين الخبازين وأمين الفضة وقائد الدار المكلف بكل السلع الواردة لأسواق المدينة، وله كاتب ومساعدون بالإضافة إلى مفتش السوق وقائده، وإلى جانبهم نجد البرّاح؛ الذي مهمته تبليغ أوامر الباي أو خليفته أو قائد الدار وبصحبه شاوش الباي في الأسواق والساحات خاصة ما تعلق بقضايا الإعدام، كما لا ننسى وكيل بيت المال؛ المكلف بمشاكل السكان والمدعوم بمال خزينة البابك، وذلك بأمر من الباي لإعانة المحتاجين منهم، وله مهمة التصرف في الموارد التي لا أصحاب لها، وحفر القبور وحماية المقابر، وإلى جانبه باش حمار المكلف بالبغال ومسؤولية تجهيزها عند الحملات العسكرية⁴.

¹ بن العنتري: فريدة منسية....، المصدر السابق، ص23.

² فايس: المرجع السابق، ص 25.

³ بن العنتري: فريدة منسية....، نفسه، ص23. وينظر: فايس: نفسه، ص25. وينظر أيضًا: سعيدوني: الشرق

الجزائري بابك قسنطينة...، المرجع السابق، ص143.

⁴ بن العنتري: فريدة منسية....، نفسه، ص23.

4. 6 الموظفين القائمون على الأرياف:

4. 6. 1 القيّاد:

يتمّ اختيار القياد وتعيينهم من قبل الباي وأغلبهم من العسكريين العثمانيين و الكراغلة وتتمحور مهمتهم في تسيير الأوطان المؤلفة من القبائل والأعراش، كما يعملون على مراقبة شيوخ القبائل وتسيير الشؤون الخاصة بالسكان، كما يؤلّون اهتماماً بالغاً بإقرار النظام وتحصيل المطالب المخزنية، ومراقبة الأسواق وحلّ النزاعات والمشاكل بين القبائل، وتقديم الامتيازات والتسهيلات لكثير من المرابطين والأعيان والعائلات الكبرى، كما نجد أنّ بعض القيّاد لهم أهمية بالغة نظراً لأهمية القبائل أو مكانة الجهات التي يشرفون عليها فلذلك نجد قيّاد الحراكتة والنمامشة وغيرهما من أهم الموظفين في بايلك الشرق¹.

ويتركّز نشاط القيّاد بالأرياف، وتتحصر مهمّتهم في تقييم المحاصيل الزراعية، ومراقبة مواشي البائلك، وتحديد قيمة الضرائب التي يجنيها البائلك منها. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ بايلك قسنطينة تميّز بتنظيم خاص للقيّاد، حيث عُرف بانتصافه بالفاعلية والدقة مرتكزاً في ذلك على قائدين للعشور يراقبان الإنتاج، ويقيّمان الضرائب، ويعينهما في ذلك قائدي الجبري لكلٍ من شرق وغرب البائلك، وهما بذلك يقدّمان حساباً مضبوطاً لشيخ البلد قبل أن توضع تلك الأموال في المخازن المخصصة لها بالبائلك².

ويفضّل القيّاد في الكثير من الأحيان الإقامة بقسنطينة عاصمة البائلك، أو في الحاميات العسكرية المنتشرة في المدن الأخرى، واضعين حريّة التصرف للشيوخ في شؤون القبائل

¹ موساوي: المرجع السابق، ص 83.

² سعيدوني: ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 193.

والعشائر التابعة لهم. كما أنّ القيّاد كانت تختلف سلطتهم من جهة إلى أخرى، وذلك حسب البعد الجغرافي ونوع علاقة القبائل مع السّلطة¹.

وكانت تربط القايّد علاقة مباشرة بالباي، وقد يكون في بعض الأحيان من الأعلاج² أو من أصول عربيّة. وتمثّلت مسؤوليّته في الوقوف على شؤون الأهالي من القبائل التي يحكمها عن طريق شيوخها، ويعمل على إقرار الأمن وضمان السّير الحسن لمختلف الأسواق التي كانت في المناطق الخاضعة له، والسّهر على ضمان الأمن في الطرقات، والوقوف على عملية توزيع الأراضي الخاصّة بالحرث³.

4. 6. 2 الحكّام:

و لهم مهمّة التصرف في المدن والمناطق القريبة منها أو الخاضعة لها، كما لهم علاقة بتسيير الأرياف أيضا، ويتمثلون مع القيّاد في نفس المهام الموكّلة لهم، ضِفَ عليها مهمّة الإشراف على التجارة وتنظيم الحرف في المدن التابعة لهم، وذلك بمساعدة مجموعة من الشواش وبعض الموظفين كالكاهية⁴ وأمين العيون⁵ والمزوار⁶ التابعين لهم⁷.

¹ موساوي: المرجع السابق، ص84.

² الأعلاج: لغة جمع عالج وهو لفظ يطلق رجل من كفار العجم ومؤنثه علجية أو علجة وجمعها أعلاج، أما اصطلاحا فتطلق على المسيحيين الأوروبيين الذين تخلو عن دينهم المسيحي واعتنقوا الدين الإسلامي. ينظر: بستي محمد: الأعلاج واعتناقهم الإسلام من خلال الكتابات الأوروبية 1588-1699م، مجلة جسور المعرفة، المجلد 6، ع01، مارس 2020، ص611.

³ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص54.

⁴ الكاهية: هو المتصرف في حامية المدينة. ينظر: موساوي: نفسه، ص84.

⁵ أمين العيون: هو الأمين المكلف بتوفير المياه من مصادرها. ينظر: نفسه، ص84.

⁶ المزوار: هو المكلف بدور الشرطي وكذلك مراقبة مختلف الأسواق، كما من مهامه أيضا المحافظة على الأخلاق العامة. ينظر: سعيدوني ناصر الدين، بوعبدلي الشيخ المهدي: الجزائر في التاريخ، ج4، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص19. وينظر أيضا: موساوي: نفسه، ص84.

⁷ موساوي: نفسه، ص84.

4. 6. 3 شيوخ القبائل:

يتمّ تنصيبهم على رأس القبائل وهم تحت الإمرة المباشرة للقيّاد، وتتمحور مهمتهم عادةً في تحصيل الضرائب، وإقرار الأمن والحرص على ما تعلق بأمر الأهالي، وتنظيم مختلف المعاملات الخاصة بالقبيلة، فهم حلقة الوصل بين البايك وبين سكان الأرياف، ولذلك يُختارون من العائلات الكبرى المعروفة بوزنها لدى السكان، وهذا ما جعل البايات يرتكزون عليهم أساساً في حكم البايك، وتثبيت السلطة في الأرياف، كما يعود الفضل لهم في استتباب الأمن وإقرار الهدوء، وفرض السلطة العثمانية على إقليم بايك الشرق لمدة طويلة¹. وفيما يلي الحديث عن الجهاز الشرعي والديني.

5. الجهاز الشرعي والديني بقسنطينة:

تواجد بالمدينة جهاز ديني تألف من مفت مالكي وآخر حنفي، وقاضيان أحدهما يحكم بالمذهب المالكي للنظر في مختلف القضايا العامة لسكان البايك، وآخر حنفي للنظر في القضايا المتعلقة بالعثمانيين وكذلك الكراغلة²، وهما يختصّان في القضايا المدنية كالسجن والتغريم وغيرها³، كما نجد إلى جانبهم قائم على الأوقاف الإسلامية يدعى ناظر الأوقاف وهؤلاء يشكّلون كلهم المجلس الشرعي الإسلامي الذي يرأسه الباي أو قائد الدار، ودائماً يجتمع كلّ جمعة للوقوف على القضايا والفتاوى المتنوعة⁴. والباي هو الوحيد الذي له الحق في إصدار أحكام الإعدام أو الإعفاء منه⁵. وفيما يلي الوحدات العسكرية الخاصة بالبايك.

¹ موساوي: المرجع السابق، ص 84-85.

² وولف جون ب: الجزائر وأوروبا 1500-1830، تر وتغ أبو القاسم سعد الله، ط خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 118. وينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 24.

³ فايس: المرجع السابق، ص 27.

⁴ وولف: المرجع السابق، ص 118. وينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 24.

⁵ فايس: نفسه، ص 27.

6. الوحدات العسكرية لبايك الشرق:

تشكّلت وحدات القوة العسكرية لبايك الشرق من عدد تراوح بين 6000 فردٍ عند استدعائها، وحوالي 45000 فردٍ عمومًا، وهي تتوزع كالتالي¹:

• 22000 فردًا من المشاة.

• 23000 فردًا من الفرسان الخيالة.

وهم بذلك يتوزعون على ثلاث فئات وهم المليشيا وفئة الزمول وإلى جانبهما دائرة المخزن²؛ وأفراد المليشيا يتمّ تجنيدهم من العثمانيين والكراغلة، وتتنحصر المهمة المنوطة بهم أثناء الخدمة في النوبة، المتواجدة في العديد من المناطق بأراضي البايك كقسنطينة وعنابة وبرج حمزة وغيرها، ومن مهامهم أيضًا مراقبة محلة الدنوش، والتدخّل مع الحملات العسكرية في الحروب. ويُطلَق على جنود الزمول أيضا رجال الزمالة، وهم أفراد تمّ تجنيدهم من رجال قبائل المخزن تحت قيادة قائد العرب والذي يُعرَف أيضا بقائد الزمالة وهم يتواجدون بين قسنطينة وعين مليلة³.

أما جنود الدائرة؛ فهم الفرسان الذين تمّ تجنيدهم من القبائل تحت إشراف آغا الدائرة، وهم رجال حربٍ ويصل عددهم إلى ألف مجنّد، ويتمركزون في العديد من المناطق منها دائرة الوادي في واد بوسلا بين عين الخشبة وجميلة، و دائرة وادي الزناتي في قرفة، و دائرة قسنطينة⁴.

¹ فايس: المرجع السابق، ص41.

² قشوان: السلطة المحلية ...، مرجع سابق، ص53.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، صص25-26.

⁴ قشوان: السلطة المحلية ...، نفسه، ص53.

وكان الهدف البارز للقوات العسكرية لبابيك ضمان سلطة العثمانيين على البلاد هذا من جهة، ومن جهة أخرى العمل على ضمان النظام العام في البابيك واستقرار أمر القبائل فيه ¹. وفيما يلي أهم الأوضاع في البابيك التي سبقت عهد الدايات.

7. الأوضاع العامة في بابيك الشرق قبل عهد الدايات:

7. 1 الأوضاع السياسية في البابيك:

عاشت العديد من مدن الشرق الجزائري وعلى رأسها مدينة قسنطينة وعنابة وبجاية خلال القرن 15م وبداية القرن 16 تحت سيطرة الحفصيين الذين بدأ يظهر عليهم التقهقر والاحتضار، مما تسبّب في تأثر تلك المدن وغيرها بهذا الضعف، الأمر الذي جعلهم هدفا واضحا لأطماع العديد من الأطراف داخليا وخارجيا على اختلاف قوّتهم وغاياتهم، إذ نجد من أبرزهم الإسبان بتحرشاتهم من جهة ووصول العثمانيين للمنطقة من جهة أخرى ².

ونظرا لحالة عدم الاستقرار السياسي للدولة الحفصية وأوضاعها السيئة فقد أضحي الإقليم الشرقي من المغرب الأوسط مجالا لعدة أطراف، تسعى لفرض سيطرتها عليه، وقد تمثلت في شيوخ القبائل على المستوى المحلي الداخلي والتحرّشات الإسبانية والعثمانيين على المستوى الخارجي ³. فمع مطلع القرن 16 الميلادي؛ أضحت الأراضي الشرقية للمغرب الأوسط تحت حكم أمير حفصيّ هو عبد الرحمان الحفصي في بجاية، أما المناطق الجبلية فهي مستقلة، والتي نشأت في بعضها إمارات من أبرزها بني عباس في زاوة الشرقية، وإمارة كوكو في زاوة الغربية. وفيما يخصّ المدن الداخلية فقد استقلّت هي الأخرى

¹ فايست: المرجع السابق، ص37.

² بلخوص: المرجع السابق، ص ص 20، 21.

³ غطاس عائشة: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ط خ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007، ص12، 20.

تحت حكم بعض الأسر، كأسرة بني جلاب في تڤرت، وعلاهم في ورقلة بالجنوب الشرقي وغيرها من المدن، وسيطرت بعض القبائل على المناطق السهلية كالذواودة في القطاع القسنطيني¹.

كما تعرضت المدن الجزائرية الساحلية للتحرّشات الإسبانية كمدينة بجاية بداية سنة 1510م²، ثم أقدم الإسبان على احتلال عنابة غير أنهم عجزوا في الوصول إلى المناطق الداخلية لنقص المعلومات والخوف من المغامرة وتبعاتها، ضف إلى ذلك قوة القبائل الداخلية. ونظرًا للمجازر المرتكبة من قبل الإسبان في المدن المستعمرة فقد خضعت باقي المدن الساحلية لهم دون قتال وقبِلت بمعاهدات الخضوع والطاعة³.

وقد أضحت الجزائر إيالة عثمانية بشكل رسمي سنة 924هـ / 1519م، إثر إعلان السلطان العثماني "سليم الأول" قبوله واستجابته لنداء الاستغاثة والحماية المرسل إليه من قَبْلِ سَكّان مدينة الجزائر، فتّم تعيين خير الدين بربروس بيلربايًا عليها، وصُنّفت كأهم الإيالات العثمانية، وهذا ما هدّد مصالح إسبانيا في المنطقة⁴.

استطاع خير الدين مدّ نفوذه إلى بعض المدن في الشرق الجزائري كمدينة قسنطينة وذلك لإنهاء نفوذ السلطان الحفصي في المنطقة⁵، حيث قام بأعمال كبيرة مكّنته من استتباب

¹ شوقي عبد الكريم: الأوضاع السياسية بالجزائر مطلع القرن السادس عشر ميلادي، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، ع1، أبريل 2021، ص397.

² غطاس: المرجع السابق، ص17. وينظر: شوقي: نفسه، ص398. وينظر أيضا: دوالي: مرجع سابق، ص50.

³ شوقي: نفسه، ص399. وينظر: غطاس: نفسه، ص17.

⁴ بن موسى فيصل: السّلطة العثمانية وعلماء الجزائر قراءة في وثيقة عثمانية في النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي، مجلة آفاق فكرية، المجلد 5، ع11، ص5.

⁵ شوقي: نفسه، ص405.

الأمن والقضاء على المعارضين له، لتصبح مدينة قسنطينة تحت سلطة العثمانيين فعليا¹ ليتمّ تكوين بابك الشرق سنة 974هـ / 1567 م وعاصمته مدينة قسنطينة².

ولقد وجّه العثمانيون حملاتٍ عسكرية نحو الحضنة والزّاب، ونصّبوا حاميةً عسكريةً ببسكرة فتمّ ضمّها عام 1541م لأراضي البابك، كما تمّ تجريد حملة أخرى لمنطقة ورقلة بقيادة صالح رايس بايلرباي الجزائر عام 1552م، الذي تمكّن من محاصرة ثغرت وإجبارها على دفع أموالٍ لحاكم الجزائر، ليتحرّك بعدها صوّب مدينة ورقلة حيث قدّم الأمان لحاكمها بعد انسحابه نحو القليعة بشرط دفع ضريبة سنوية لديوانه بالعاصمة، وموازةً مع هذه الأحداث جنوب البابك، قامت ثورة في بني عباس وفليسة جعلت السلطة العثمانية توجّه جهودها نحوها، لتعود بحملة جديدة للمرة الثانية على ورقلة وثغرت بقيادة يوسف باشا سنة 1649م، لتنتبّ ولّاء المنطقة وارتباطها بالحكم المركزي عن طريق دفع ضريبة سنوية³ وهذا ما أكّده العياشي بقوله: «... فدخلنا واركلا ... ونزلنا باب المدينة المسمّى باب السلطان... للمدينة لحضور صلاة الجمعة... ودعا في خطبته للإمام المهدي ثم للسلطان الأعظم، الخاقان الأفخم... ثم لسلطان بلده مولاي علاهم»⁴.

كما شهد البابك أثناء ولاية رمضان تشولاق 1567م-1574م ثورة عارمة في قسنطينة سنة 1572م، الأمر الذي جعل ردّ فعل السلطة العثمانية عنيفا عليها، إذ استعمل الباي القسوة والعنف لإخمادها، لتتجدّد هذه الثورة وتشمل كل أراضي البابك، حيث ثارت قبيلة

¹ بلخوص: المرجع السابق، ص ص 22-25.

² بن ميمون: مصدر سابق، ص 36. وينظر: بن العنتري: فريدة منسية ...، المصدر السابق، ص 30.

³ سعيدوني: ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 480، 481.

⁴ العياشي عبد الله بن محمد: الرحلة العياشية 1661-1663م، تح وتقر سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، المج الأول، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص 114.

الحنانشة وأولاد مقران، وفي خضمّ ذلك شارك العديد من سكان البابيك بالهجوم على تونس لتحريرها من الإسبان¹.

وممّا ميّز نهاية القرن 16م وبداية القرن 17م خارجياً التوتّر بين تونس وإيالة الجزائر حتى وصلت إلى درجة الصّدّامات العسكرية بين الطرفين لثلاث مراتٍ على الأقل، وأسفرت تلك الصّدّامات بينهما إلى توقيع اتفاقية لضبط الحدود بينهما سنة 1628م². ولقد ساهمت تلك الصّدّامات المتكررة بين الإيالتين في خلق جوٍّ من عدم الأمن في المنطقة الحدودية بالبابيك، فضلاً عن شيوع اللّصوصية وظهور قُطّاع الطّرق، كما امتهنت الكثير من القبائل السّطو على قوافل التجارة التي تجوب البلدين³.

أمّا داخلياً فقد شهد بابيك الشرق في القرنين 16م و17م قيام ثورات ذات طابعٍ سياسي إذ تزعمها الأمراء والقوّاد وأصحاب النفوذ في الفترة التي سبقت الحكم العثماني في المنطقة كأحمد بن القاضي أمير إمارة كوكو عام 1520م، وعبد العزيز أمير بني عباس سنة 1552م⁴، ولعلّ من أعنف تلك الثورات بداية القرن 17م؛ والتي وصل امتدادها كل أراضي هذا الإقليم، ثورة ابن الصخري سنة 1637م بقيادة ابن أحمد الصخري، حيث خلّفت الفوضى وانعدام الأمن والاستقرار في المنطقة⁵، كما تركت تلك التمرّدات والثورات على

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص31.

² فايسست: المرجع السابق، ص82. وينظر بن سليمان فاطمة: الإيالة التونسية بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر نشأة المجال (الجزء الأول)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، إشراف عبد الحميد هنية، تونس، 2004/2005، ص72.

³ مالكي يوسف وأيت حبوش حميد: مسألة الحدود بين إيالتي الجزائر وتونس وأثرها على النشاط التجاري في القرنين 17م و18م، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 06، ع 01، 2022، ص556.

⁴ لكل الشيخ: ثورات الجزائريين ضد الاتراك العثمانيين خلال الحكم العثماني ثورة ابن الصخري أنموذجاً، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، ع 02، 2022، ص56.

⁵ بلخوص: المرجع السابق، ص26.

السّلاطة الحاكمة حالة من الفقر¹. ومن الأسباب التي حرّكت هذه الثورة تزايد ظلم العثمانيين في بايلك الشرق حتى صار هذا الأمر لا يطاق في كل بايلكات الجزائر، كما أثر تحطيم مؤسسة الباسنيون سلّبا على سكان البائلك، إذ عمّ التذمر بينهم خاصة بين منتجي مادة القمح، ضيف إلى ذلك تزايد نفوذ شيوخ القبائل المحلية بعدما حدث تقارب كبير بينهم وبين المسؤولين على المؤسسات الاقتصادية الأجنبية الفرنسية، مما جعل سلطة الداي مراد (1622م-1637م) تضحلّ في البائلك ولا ترقى لتطلّعات الحكام في مدينة الجزائر، أما السبب الأساسي فيها فهو إعدام شيخ العرب محمد بن الصخري ومرافقيه من أعيان قبيلته وذلك بعدما حصل الباي مراد على الإذن بقتله من داي الجزائر، بحجة تمرّده وطموحه بالانفصال عن السّلاطة العثمانية بالجزائر، و الذي تمّ إعدامهم في جوان 1637م، وعُلقت رؤوس القتلى على مدخل عاصمة بايلك الشرق².

على إثر هذا انطلقت ثورة أخرى بزعامة أولاد عبد المؤمن بقسنطينة، حيث ظلّ أولاد عبد المؤمن بمدينة قسنطينة من ذوي المكانة والسلطة لسنوات طويلة، وإلى جانبها عائلة ابن الفكون التي زاحمتهم تلك المرتبة. ففي عام 1642م تمرّد أولاد عبد المؤمن، ورفعوا السلاح ضد الإنكشاريين بسبب الإهانة والاعتداء اللذين تعرّضوا لهما، لتكون شوارع المدينة مسرحا لهذه الثورة، التي خلفت خسائر للجانبين خاصة بين أولاد عبد المؤمن حيث قُتل منهم 24 فردا، وقد حاصرهم جند الإنكشارية في منازلهم إلى أن تدخّلت أطراف عديدة لدى قائد الإنكشاريين لينسحب الجنود إلى ثكناتهم، ويتمّ معاقبة من تسبّب فيها من الطّرفين³.

¹ سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص155.

² فايس: المرجع السابق، ص84. ينظر عطية محمد: ثورة ابن الصخري في الشرق الجزائري، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 7، ع1، الأغواط، الجزائر، 2022، ص ص626-628.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص38. وينظر أيضا فايس: نفسه، ص94.

ومع مطلع عام 1643م بدأت ثورة أولاد مقران بمجانة، وقد توجّهت لهم قوات من مناطق مختلفة لإنهائها، وكثرت المعارك وتعدّدت، ولم تستطع تلك الكتائب إيقافها إلا بعد تدخّل الداي شخصياً، وذلك بإلغاء بعض أنواع الضرائب المفروضة عليهم، وتعهد بحرية التجارة بين دار السلطان والمنطقة، وفي السنوات التالية عانى البايك من اضطرابات مسّت مناطق كثيرة منه، كما انتشرت المجاعة والجفاف فيه وظهر الطاعون، فزادت الأسعار وغيرها من الآثار والكوارث، فاضطرب البايك وانعدم الأمن فيه حتى عجز الباي مراد عن استتباب الأمن فيه، و الذي تأثر بتلك الأحداث والمشاكل العويصة وثُوقِي عام 1647م ليخلفه على البايك ابنه فرحات الذي أطاعه الناس، فعَمّ الأمن في البايك حتى بداية عهد الدايات¹. وفيما يلي الأوضاع الاقتصادية العامة في البايك قبل عهد الدايات.

7. 2 الأوضاع الاقتصادية في البايك:

أثّرت الحالة السياسية التي عاشها الشرق الجزائري خلال القرنين 16م و17م تأثيراً كبيراً على مختلف الجوانب، وبالرغم من ذلك نجد أن الحياة الاقتصادية شهدت نوعاً من الانتعاش والتطور، والذي لم يكن ليرقى إلى درجة التطور الاقتصادي الحاصل في أوروبا وقتها حيث عرَفَتْ كلٌّ من الزراعة والصناعة ازدهاراً كبيراً، إلا أنّ الحظ الأوفر من هذا الازدهار كان للتجارة بنوعيهما الداخلية والخارجية².

7. 2. 1 الزراعة:

مارَس سكان البايك الزراعة لكون المجتمع الجزائري غالبية من سكان الأرياف، وقد عانت الزراعة من كثرة حالات الجفاف وقَدَم قنوات الريّ وضعف وسائل الإنتاج، والتي بدأ

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 38-39.

² بلخوص الدراجي: المرجع السابق، ص 6.

يظهر عليها التحسّن في أواخر القرن الثامن عشر (18) م. أما فيما يخص الأراضي الزراعية فقد استغلها الفلاحون بنظام الدوريتين، كما لوحظ انتشار أراضي الحيازة المشتركة¹.

و بالنسبة للإنتاج فقد اهتم الفلاحون بالخُضر والفواكه في المناطق السهلية، وركّزوا على إنتاج زيت الزيتون والتين في المناطق الجبلية، أمّا في الهضاب العليا فاهتموا بزراعة الحبوب وتربية الأغنام، وفي الصحراء فتمّ إنتاج التمور والاهتمام بتربية الإبل².

ومما تجدر الإشارة له أنّ السّلطة العثمانية بالبايك فرضت العديد من الضرائب على القبائل الريفية؛ والتي أثقلت كاهلها وتسبّبت في إفقار الأرياف القسنطينية خاصة في المواشي، كما شنّ البايات حملات عسكرية على القبائل الممتعة والثائرة منها، فالبايات وموظفيهم لم يطوّروا الأرياف، ولم يهتموا بمضاعفة إنتاجه بقدر اهتمامهم بالحصول على الأموال وتحصيل الدّنوش للداي³. وبسبب تلك الحملات وغيرها من العوامل الطبيعية القاسية عاش الفلاحون ظروفًا صعبة دفعت بالكثير منهم إلى العزوف عن النشاط الزراعي والتوجّه إلى تربية المواشي، فتراجعت ملكيّات السكان و زادت أراضي البايلك، و تحوّلت بعض الأراضي الزراعية جنوب مدينة قسنطينة إلى مراعي، كما أفرزت هذه العوامل نتائج أثّرت على مردودية الإنتاج، كون الفلاح أهمل أرضه وهاجر نحو المدن، مما أثر سلبيًا على الإنتاج الزراعي في بايلك الشرق⁴.

7. 2. 2 الصناعة:

ظلّت الصناعة والحرف من أبرز الأنشطة الاقتصادية بالبايلك الشرق الجزائري وخصوصا بمدينة قسنطينة، التي عُرِفَتْ بكونها أشهر وأهم المراكز الصناعية والحرفية

¹ عباد: المرجع السابق، ص335.

² نفسه، ص336.

³ بولصباغ وهيبة وصاري أحمد: التجارة الخارجية للأغنام والماعز في بايلك الشرق خلال العهد العثماني، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، المجلد 12، ع 02، 2021، ص ص204-205.

⁴ قشوان: الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق ...، المرجع السابق، ص79.

بالإيالة، فقد انتشرت الحرف والصنائع بها منذ القَدَم، كما تعددت الحرف والصناعات وازدهرت في الفترة العثمانية لتغدو أكثر هيكلَةً وتنظيمًا في البابيك¹.

ومما يلاحظ على الصناعة أنها كانت صناعة يدوية ولم ترقَ إلى ما وصلت إليه الصناعة الأوروبية قبل الثورة الزراعية، وقد توزعت الصناعة بين المدن والأرياف. فاحتوت المدن على الصناعات الغذائية، واجتمع فيها أصحاب الحِرَف، أما الأرياف فاهتم سكانها بصنع المنتجات الصوفية والخيام والزرايِّ وغيرها، بالإضافة إلى صناعة الأسلحة والبارود².

7. 2. 3 التجارة:

لقد تحكَّم الأجانب في غالبية التجارة الخارجية بالبابيك، فبعض الشركات الفرنسية ضمنت رُخصًا لصيد المرجان في سواحل البابيك والتي أصبحت تباع الرخص للصيادين من إيطاليا وحتى من إسبانيا³، إذ أنَّ فرنسا حظيت بمجموعة من الامتيازات بالبابيك منذ 1520م، وكان الهدف منها في البداية الترخيص للتجار الفرنسيين باستغلال منطقة صغيرة بالساحل لصيد المرجان، وهو ما أُطلق عليه وقتها بحِصن فرنسا، على مَقْرَبَة من مدينة القالة. ليتمَّ فيها الاتفاق مع الداي سنة 1694م ليصبح عدد المؤسسات التي منح لها الترخيص خمسة مقابل ضرائب سنوية، ومع مرور الوقت اتخذ الفرنسيون بعضها كالقالة وغيرها مثل ملك لهم⁴؛ وكذلك بعض الشركات الفرنسية تحصّلت على امتياز تصدير

¹ بلخوص الدراجي وقرين مولود: الحرف والصنائع بقسنطينة من خلال مخطوط نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16م، 17م، المجلة المغربية للمخطوطات، المجلد 7، ع 01، 30 ديسمبر 2011، ص 95.

² عباد: المرجع السابق، ص ص 336-337.

³ سعد الله: محاضرات ...، المرجع السابق، ص 155.

⁴ الزبيري: المرجع السابق، ص 39.

الحبوب والأصواف والجلود والشموع¹ منذ عام 1741م، حين تسلّمت الشركة المَلَكِيَّة الافريقية الامتيازات²، وكانت المدن الساحلية الفرنسية تستقبل تلك المنتوجات³.

وفيما يخص التجارة الداخلية فقد سيطر السكّان عليها إلى أن استولى عليها اليهود بداية القرن 19م؛ وقد تباينت الأسعار حسب المنطقة⁴، فأسواق المدن خضعت للمراقبة، كما لم تخضع أسعارها لجشع التجار واستغلالهم. أما الأسواق بالأرياف فكانت بعيدة نوعاً ما عن المراقبة، ولذلك أضحى الفلاحون تحت طائلة الاستغلال من حيث الأسعار، ومما يزيد في شقائهم أيضاً إنتاجهم الضئيل الذي تستنزفه الضرائب المفروضة عليهم، والتي أخذت أشكالاً مختلفة، فقبائل الرعية مثلاً تدفع ضريبة العشور والزكاة والحكور⁵، في حين تدفع قبائل المخزن المتحالفة 10٪ من الضرائب فقط⁶.

أما فيما تعلق بالتعامل النقدي ببايك قسنطينة، فتكاد تُجمع جُلُّ الدراسات التاريخية على فكرة تفوّق العملات التونسية على العملات الجزائرية، حيث يلاحظ بقاء الريال التونسي مهيمناً على التعامل النقدي، منذ أن زادت قيمته خصوصاً في عهد حسين باي ومن بعده⁷. وفيما يلي ذُكر الأوضاع الاجتماعية العامة في البايك قبل عهد الدايات.

7. 3 الأوضاع الاجتماعية في البايك:

تأثرت الوضعية الاجتماعية في باييك الشرق بجملة من الأحداث التي ميّزت المنطقة ومن أبرزها التحرّشات الاسبانية بداية القرن 16م، وتراجع حكم الحفصيين في المنطقة

¹ سعد الله: محاضرات ...، المرجع السابق، ص 155.

² الزبيري: المرجع السابق، ص 39.

³ سعد الله: محاضرات ...، نفسه، ص 155.

⁴ نفسه، ص 155.

⁵ الحكور: وهو نوع من الغرامات التي تصل في كثير من الأوقات إلى 27 رأساً من الغنم. ينظر: سعد الله: محاضرات ...، المرجع السابق، 1982، ص 155.

⁶ نفسه، ص 155.

⁷ مالكي وأيت حبوش: المرجع السابق، ص 554.

ودخولهم تحت حكم العثمانيين؛ وخلال القرن 16م والقرن 17م حيث لوحظ تغير المجتمع وتركيبته في بايلك الشرق، كما شهدت مدنه نموًا و اتساعًا كبيرين، و من أبرزها مدينة قسنطينة تلك المدينة التي أضحت من أهم مدن الشرق الجزائري وإلى جانبها بقية الحواضر هناك التي لا تقل أهمية عنها ¹.

ومما ميّز مدينة قسنطينة عن باقي الحواضر الأخرى تنوعها من حيث التركيبة الاجتماعية، فنجد من أبرز الفئات فيها فئة العثمانيين والتي تتميز بكونها أقلية، وإلى جانبها نجد فئة الكراغلة وهما من الفئات الغنية فيها، كما نجد فئة الحضر وهم مهاجري الاندلس والذي كان لهم تأثير كبير على مختلف الأوضاع فيها، والذين تحصّلوا على الكثير من الامتيازات والوظائف فيها، ومن بين هذه الأسر نجد أسرتي ابن باديس وأسرة ابن الفكون وغيرهما، ومن الفئات الأجنبية نجد فيها فئة اليهود المشهورة بممارسة النشاط التجاري ².

أما المجتمع في الأرياف فقد تميز بطابعه القبلي الذي اشتهر بكثرة الصراعات والتمردات فيه، وكثرة الهجرات بحثًا عن الكلا وظروف العيش، كما وُجِدَت مجموعات مستقلة تستقر بالمناطق الجبلية والمناطق النائية ³. فالمجتمع الريفي شكّل ما نسبته 97% من سكان البائلك ⁴.

ومن جهة أخرى يلاحظ عدم اهتمام السلطة العثمانية بالجوانب الاجتماعية وخاصة فيما يتعلق بالصحة، أنتج ذلك حدوث أزمات على المجتمع الجزائري منها تكاثر الأمراض

¹ بلخوص: المرجع السابق، ص6.

² بولحبال رياض: أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا تخصص علم المخطوط العربي، إشراف إسماعيل سامعي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2009، ص ص32-33.

³ بولحبال: نفسه، ص33.

⁴ الزبيري: المرجع السابق ص47.

واستمر ذلك الإهمال حتى سقوط الإيالة بيد المستعمر سنة 1830م¹. وهذا راجع إلى اهتمامها بالمناطق الساحلية والجباية الضريبية فقط، أما المجتمع وأحواله فهو آخر اهتماماتها.

لقد عانى الباليك من وباء الطاعون² الذي استقرّ بالإيالة ابتداءً من سنة 1552م خاصة في المدن الساحلية حيث كَثُرَ بها عدد الموتى والذين ازداد عددهم يومياً آنذاك حيث أضحت الواجهة البحرية المتوسطية مصدراً أساسياً له، نظراً لاتصالها بالعالم المتوسطي³ فهذا الوباء لم يكن مصدره الجزائر أبداً⁴.

ومع أواخر القرن 16م وانطلاقاً من سنة 1584م إلى غاية سنة 1590م شهد الباليك الجفاف والمجاعات⁵، وعانت مدينة قسنطينة وكل أراضي الباليك من الطاعون سنة 1582م وقد خلف الكثير من القتلى⁶. ومع نهاية القرن السادس عشر مابين 1590-1592م عاد الطاعون للظهور في كامل مدن وأرياف الباليك، وكان مصدره الجهة الشرقية قادماً لها من تونس، ولذلك سُمّي حينها بوباء تونس، ومرّده أيضاً إلى عدّة عوامل كالجفاف وإتلاف المحاصيل الزراعية ممّا تسبب في ظهور مجاعات حادة⁷.

¹ الكاملة فرحات: وباء الطاعون وتأثيره على البنية الاجتماعية خلال الحقبة العثمانية، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، ع 2، أكتوبر 2022، ص 1511.

² الطاعون: مرض مُعْدٍ يأتي في شكل وباء وقد صنف بأنه من أخطر الأمراض المعدية في العالم. ينظر: نفسه، ص 1509.

³ حفيان رشيد: الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر في العهد العثماني، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية للجزائر ودول المغرب الكبير، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية 2020-2021، ص 86.

⁴ الكاملة: نفسه، ص 1510.

⁵ حفيان: نفسه، ص 89.

⁶ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 32.

⁷ حفيان: نفسه، ص 89.

و بين عامي 1602 و 1603م تجدد وباء الطاعون على مدينة قسنطينة، الذي كانت آثاره البشرية بالغة، وعلى إثره حصلت سنين جفافٍ وقحطٍ مدّة تسع سنوات (09) متتالية نتج عنها ظهور المجاعات الحادة وسوء التغذية التي لم ترحم السّكان، وكان من نتائجها كثرة القتلى.¹

ولقد عرّف القرن السابع عشر تزايد تواتر الكوارث الطبيعية فقد انتشر الطاعون بقوة بداية من سنة 1620م بمختلف الأرياف والحوضر بالبابلِك، وقد خلف حالات من الرعب والخوف بين السكان أثر على الوضعية الديمغرافية سلبيًا، ومن بين الكوارث أيضا ظهور المجاعات في المناطق المتضررة من هذا الوباء خاصة المناطق الساحلية وغيرها والتي بها كثافة سكانية عالية كقسنطينة وعنابة، كما لم تسلم المناطق الداخلية للبابلِك منه، فقد تعرضت مدينة بسكرة عام 1663م لهذا الوباء بسبب القوافل التجارية التي تجوب مختلف المناطق.²

ليرجع الوباء بالظهور من جديد سنة 1622م ولم يسلم السّكان منه أيضًا، فكان من نتائجه وفاة الباي حسن 1608م-1622م، ليعود الطاعون سنة 1634م من جديد فكثرت الوفيات في البابلِك ولم يسلم منه حتى العلماء، إذ خسرت قسنطينة ثلاثة علماء بارزين هم بركات بن نعمان وبركات بن عبد المؤمن وعبد اللطيف المصباح. وبعد 1643م انتشرت المجاعة والطاعون وعمّ الجفاف في البابلِك، وكان له الأثر البالغ على السكان في هناك.³

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص33.

² حفيان: نفسه، ص92.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 34، 36، 39.

ومن هنا نجد أن الطاعون من أكثر الأوبئة انتشارًا خلال القرن السابع عشر خاصة في الحواضر الكبرى كقسنطينة وغيرها، فهو يعتبر من الأمراض المُعدية¹. وفيما يلي الحديث عن أوضاع البابيك الثقافية قبل عهد الدايات.

7. 4 الأوضاع الثقافية في البابيك:

أثر الواقع السياسي الذي عاشه الشرق الجزائري في القرن 16م على الجانب الثقافي طيلة ذلك القرن وطوال القرن 17م، حيث شهد ركودًا ثقافيًا لم تعرفه المنطقة من قبل² ولعل مرد ذلك إلى عدم اهتمام العثمانيين بالجوانب الثقافية بقدر ما اهتموا بالجوانب الأخرى وقد تكفل الجزائريون بالجانب الثقافي رغبةً منهم في إحداث ازدهار في هذا المجال ومحافظة منهم على إرثهم الثقافي العربي الإسلامي³.

لذلك برزت العديد من الشخصيات في مناطق البابيك كبجاية مثلاً، كما برزت بعض العائلات ذات الشهرة الدينية والعلمية في البابيك ومن أبرزها عائلة الفكُون، التي ساهمت في جمع وتدوين النوازل والفتاوى الفقهية، و التي خلفها العديد من العلماء السابقين ومن أبرز رجال العائلة محمد بن عبد الكريم الفكُون، بالإضافة إلى علماء أجنب ساهموا في الحركة العلمية في الشرق الجزائري⁴.

وقد تميّز الواقع الثقافي عمومًا بانكماش الحياة العلمية وبكون التعليم بسيطًا، وقلة الاهتمام بفئة العلماء، والافتقار إلى مدرسة للتعليم العالي، مما دفع هذا إلى هجرة طالبي

¹ حفيان: المرجع السابق، ص 93.

² فايس: المرجع السابق، ص 74. وينظر: بلخوص: المرجع السابق، ص 6.

³ بردي صليحة: الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، المج 6، ع 11، جوان 2018، ص 130.

⁴ بلخوص: نفسه، ص ص 6، 7.

العلم إلى دول المشرق العربي، وعلى الرغم من أن بعض الحكام قدّروا واحترموا العلماء وأوقفوا أحباسا لصالح العلم والعلوم، إلا أنهم تركوه للمبادرات الفردية¹.

كما اعتبرت مدينة بجاية وقسنطينة وغيرهما من أبرز مقرّات التأليف والنسخ والعناية بالكتب وتأسيس المكتبات، كما اهتم شيوخ الزوايا وطلابها بالتعليم ومستلزماته، و أضحت الزوايا تعجّ بالكتب والمخطوطات، كما نجد أن المكتبات كانت تابعة لبعض الأسر العلمية وأخرى للمؤسسات التعليمية².

و قد عرفت الجزائر عمومًا تنوعًا في المراكز التعليمية بالمدن أو بالريف، فهناك الكتاتيب للتعليم الابتدائي للصغار وكذلك المساجد التي لعبت دورًا في تحفيظ القرآن الكريم والتعليم، إضافة إلى المعمرات³ والزوايا التي كان لها دور هام في ذلك، دون إهمال دور الرباطات في التعليم⁴.

وقد حوت عاصمة البابك العديد من المساجد والتي لعبت دورًا هامًا في التعليم وإلى جانبها الزوايا التي كانت تأوي المتعلمين، وقد كان الكثير من المتعلمين يستفيدون من أجر سنوي من مداخل الأوقاف، وغالبيتهم من سكان المناطق المختلفة للبابك⁵.

¹ شدي معمر رشيدة: التعليم ومناهجه في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة معارف، المجلد 16، ع 2، ديسمبر 2021، ص 989.

² شدي معمر: التعليم ومناهجه ...، نفسه. ص 1001.

³ المعمرات: معاهد دينية مهمتها تعليم القرآن الكريم والعلوم، كثر انتشارها بمنطقة القبائل خصوصًا بعد تعرضها للاحتلال الإسباني، كما أنها تشبه أحيانا الكتاتيب، وفي بعض الأحيان كانت تشبه الزوايا غير خلواتية، وكثيرا ما نجدها تساند الرباطات في حالة الحروب. ينظر: شدي معمر رشيدة: المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518م-1830م، مجلة معارف، المجلد 11، ع 20، جوان 2016م، ص 91.

⁴ نفسه، ص 91..

⁵ سعد الله: محاضرات ...، المرجع السابق، ص 166.

كما ظلّت الزوايا من أبرز المراكز التعليمية والثقافية خاصة في الأرياف، فنجد بمدينة قسنطينة وحدها 16 زاوية ومن أبرزها زاوية أولاد الفكون، وزاوية أولاد جلّول، كما عُرِفَت منطقة الزاوية بكثرة عدد الزوايا فيها حيث وُجِدَت فيها قرابة 50 زاوية أشهرها زاوية "تيزي راشد"، وسي علي الشريف بأقبو، كما انتشرت الزوايا في الصحراء والتي أثرت تأثيرًا بارزًا على الحياة الثقافية والاجتماعية وكانت ملتقى لكل فئات المجتمع ومن أبرزها زاوية طولقة¹. وفيما يلي الحديث عن القبائل الجزائرية وأنواعها.

¹ شكري معمر: التعليم ومناهجه ...، المرجع السابق، ص1004، 989، 1005.

المبحث الثاني: القبائل الجزائرية في بايلك الشرق وأنواعها.

1. مفهوم القبيلة:

1. 1 لغة: جمع قبائل ومفردها قبيلة، وهم بنو أب واحد، وسيرُ اللّجام، وصخرة على رأس البئر، والقبيلة اسم فرس الحُصَيْن بن مِرْداس¹. وقبائلُ الشجرة هي أغصانها، وكل قطعة من الجلد قَبِيلَةٌ. والقبيلة من الناس هم بنو أب واحد، أما القبيلة فمن قبائل العرب وسائر الناس، ويشير ابن الكلبي إلى أن الشعب أكبر عددًا من القبيلة، وبعد القبيلة نجد العِمارة فالْبَطْن فالْفَخْدُ على الترتيب. والقبيلة في اللغة أيضًا نجدها تلفظ بمعنى الصنف للطيور فنقول مثلاً شاهدتُ قبائل من الطيور أي أصنافاً من الطيور، فكل صنف منها قبيلة².

ويذكرها القلقشندي أيضًا بأنها ما انقسم فيه الشعب، والعِمارة هي ما انقسم فيه أنساب القبيلة، وجمعها عمائر أو عمارات، غير أنه أضاف لطبقات الأنساب طبقة أخرى تلي الفخذ هي الفصيلة، وهناك من أضاف العشيرة قبل الفصيلة كالنووي، فبالتالي الفخذ يجمع الفصائل، والبطن يجمع الأفخاذ، والعِمارة تجمع البطون، والقبيلة تجمع العمائر، والشعب يجمع القبائل³؛ فهو أبو القبائل الذين ينسبون إليه، فقد سُمي شعباً لأن القبائل تشعبت منه⁴، وفي القرآن نجد القبيلة جاءت بصيغة الجمع حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ

¹ الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تح أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، ط1، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص1284.

² ابن منظور: مرجع سابق، ص3519.

³ القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب زمان، تح إبراهيم الأبياري، ط2، (دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري)، (بيروت، القاهرة)، 1982، ص14-15. وينظر: القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى، ج1، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/1922م، ص309، 310.

⁴ القلقشندي: قلائد الجمان ... نفسه، ص14.

عَلِيمٌ خَبِيرٌ»¹. وفي هذا يورد ابن عبد الله بن العباس (رضي الله عنه) بأن قبائل العرب قد أخذت من اجتماع قبائل الرأس وجماعتها الشعب والقبائل دونها². كما نجد أيضا أن الشعب القبيلة العظيمة³، والشعب كل ما تشعب من القبائل عربا كانوا أو من العجم⁴. و يذكرها النويري بأنها سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض وتساويها من حيث العدد غير أنه أضاف طبقتين للأنساب قبل طبقة الشعب، فكانت الأولى هي الجذم (القطع)، والتي تليها الجماهير، وسميت هذه الأخيرة بذلك للكثرة واجتماع العدد، فيقال جماهير العرب أي جماعتهم، كما توجد طبقة أخرى تأتي بعد الأفخاذ هي العشائر، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾⁵، فالأفخاذ تجمع العشائر، والتي تليها طبقة تدعى الفصائل، قال الله تعالى: ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُنْوِيهِ﴾⁶ لينتهي هذا التصنيف بطبقة الرهط، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾⁷ وهذه الطبقة هي الأصغر من حيث العدد⁸. أي الرهط ثم الفصيلة ثم العشيرة ثم الفخذ ثم القبيلة.

¹ سورة الحجرات الآية 13.

² ابن منظور: المرجع السابق، ص 3519.

³ الفيروزآبادي: المرجع السابق، ص 865.

⁴ العايب كوثر: حركة القبائل الجزائرية التونسية على المناطق الحدودية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد السعيد عقيب، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة حمه لخضر، الوادي الجزائر، السنة الجامعية 2021/2020، ص 18.

⁵ سورة الشعراء الآية 214.

⁶ سورة المعارج الآية 13.

⁷ سورة النمل الآية 48.

⁸ النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الإرب في فنون الأدب، تح مفيد قميحة وحسن نور الدين، ج 2-3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004، ص ص 296-303.

1. 2 اصطلاحاً:

القبيلة مصطلح عرّفه الكثير من الباحثين على اختلاف تخصصاتهم¹، وهو من المصطلحات التي وضعت عراقيل أمام الباحثين فيه²، ومما جاء حول مفهومه أنّ القبيلة هي ذلك النسيج الاجتماعي الذي تميز بالتناسق ولعب دوراً هاماً في تاريخ الدول³، وكثيراً ما قدم المؤرخون مفهوماً للقبيلة⁴ بأنّها عبارة عن اتحاد فيدرالي لفرقٍ مختلفة ينحدر أفرادها من جدٍّ واحدٍ مشترك حسب ادعائهم، غير أنّ قرابة الدم هذه بينهم نجدها في الواقع تُترك جانبا؛ لأن القبيلة في حقيقة أصلها عبارة عن تجمع بشري⁵ متعدد الأصول⁶. كما أشار بعض المؤرخين إلى أنّ القبيلة تشكّلت عبر الزمن من تطور اجتماعي لعدد من الأسر، وتتكون في بعض الأوقات من التحاق مجموعات بشرية بمجموعة أخرى بفضل الهجرات المتعددة، أو بفعل تشكيل حلف أو بسبب الجوار⁷. وفي غالب الأحيان تسمى

¹ بن هونات يزيد: القبيلة كآفق سياسي في الجزائر، مجلة عمران، المجلد 4، ع 15، 2016، ص 45.

² عبد الغفور نصر الدين: القبيلة والسلطة في الجزائر القرن 19م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الاجتماعي للجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، إشراف فارس كعوان، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، السنة الجامعية 2020/2021، ص 22.

³ العايب: المرجع السابق، ص 17.

⁴ ظلت القبيلة الركيزة الأساسية للتركيبة الاجتماعية بالأرياف، وليس بالضرورة أن يكون أفرادها من جدٍّ واحد من حيث النسب؛ بالرغم من أن الجد قد اعتُبر المرجعية في الانتماء لها، فبعض القبائل تشكّلت من تجمعات ارتبطت فيما بينها بمصالح مشتركة غيّبت ذاتية الأفراد وضمنت ولاءهم لها، والتزامهم بضرورات مختلفة من أجل كسب الحماية وضمان موارد الأرض. ينظر عميرواي حميدة: علاقات بابك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص 22.

⁵ فقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ القبيلة تتشكّل من عشائر متعددة، بحيث لا يشترط فيها الانحدار من أصل ونسب واحد؛ فقد تجد عائلات وعشائر اندمجت في قبيلة أو قد تخرج منها لتندمج في قبيلة أخرى وتتصهر فيها، فيصبح مفروضاً عليها ضرورة التداخل العميق والذوبان فيها. ينظر آل الشيخ سعاد: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ببوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحالة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف أحمد الحمدي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2019/2020، ص 181، 182.

⁶ بلبروات بن عتو: المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بلقاسمي بوعلام، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2007/2008، ص 248.

⁷ العايب: نفسه، ص 18.

القبائل باسم أبي القبيلة أو رجل من رجالها، وفي بعض الأحيان باسم الأم¹؛ وتدعى بالأسرة الأموسية (لدى التوارق).

وعند تعريف القبيلة الجزائرية لا يمكن جعل قرابة الدّم في تكوينها أمرًا أساسيًا² فالملاحظ على الكثير من القبائل في مناطق الهضاب العليا والصحراوية أنها قد تشكّلت من أسر ذات أصول مختلفة، على أن يكون الاسم الشائع على تلك القبيلة هو نفسه اسم الفرقة المشكّلة لها³.

فأثناء الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر استُخدم لفظ العرش للدلالة على القبيلة أو في بعض الأحيان مصطلح النجع⁴، ففي الهضاب العليا القسنطينية مثلاً يُستخدم مصطلح العرش بكثرة للدلالة على القبيلة، بينما في جبال منطقة القبائل⁵ إلى الكونفدرالية القبليّة⁶. أما في التصنيف المعاصر فنجد المؤرخ الجزائري يحي بوعزيز قد صنّف المجتمع الريفي تصنيفًا آخر من حيث التركيبة البشرية لقبائله فيقول: «... ومن مجموعة الأعراش تتألف القرى، والمداشير، والدواوير، والبلديات والدوائر، والولايات، وهكذا⁷». أما المؤرخ الأجنبي لبابيك قسنطينة فايست فإنه يصنّف سكان البابيك كالتالي: «... ينقسم السكان إلى عروش أو قبائل... وتنقسم القبيلة إلى فرق... وتنقسم الفرقة بدورها إلى دواوير (مجموعة خيام موزعة على شكل دائرة)، وينقسم الدوار⁸ إلى عائلات أو خيام، ويكون الشخص الأكبر

¹ القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، المصدر السابق، ص310،311.

² بن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، ط1، دار الهلال، بيروت لبنان، 1988، ص90.

³ بلبراوات: المرجع السابق، ص ص248-249.

⁴ عبد الغفور: المرجع السابق، ص 25.

⁵ وتجدر الإشارة إلى أنّ في منطقة القبائل الأمازيغية تتفرع القبيلة أو العرش فيها إلى الفرقة والخروبة، أو العرق أو الفخذ، وتتفرع هذه الفرقة بدورها إلى الدّشرة، أو القرية. ينظر بلبراوات: نفسه، ص 250.

⁶ بن هونات: المرجع السابق، ص46.

⁷ بوعزيز يحيى: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، ع 80، الجزائر، 1984، ص162.

⁸ الدوار يتفرّع إلى العديد من المشاتي أو تمرکز مجموعة من الخيام والبيوت البسيطة ويكون الشيخ على رأس القبيلة، والقايد يحكم الدوار، وأغا العرب أو شيخ العرب على عدد من القبائل. ينظر: =

سنأ والأكثر مالا هو الزعيم»، فيقسّم المجتمع إلى قبائل ثم فرق ثم إلى مجموعة دواوير والتي بدورها تقسّم إلى خيام أو عائلات¹. ويذكر الضابط الفرنسي روسو من خلال تقريره حول بايلك قسنطينة بتاريخ 1838/09/29² أيضا أنّ كلمة عرش تطلق دوما على القبيلة المكونة من مجموعة فرق أو خروبات يصل عددها إلى 4 أو 5³، وهذا دليل على تداول هذا المصطلح للدلالة على القبيلة. وما يلاحظ على القبائل الجزائرية تعدد أنواعها، وفيما يلي ذكرها.

2. أنواع القبائل الجزائرية:

يمكن أن نميّز في الجزائر عدّة أنواع للقبائل في العهد العثماني وذلك بالرجوع إلى العديد من المؤشرات كالمؤشّر العرقي؛ حيث يقسّم فايست القبائل الجزائرية في أرياف البايك من حيث أصولها العرقية إلى ثلاثة أجناس تتميز عن بعضها، فهناك العرب الذين يقيمون خصوصا في الأراضي الجنوبية من البايك، والشاوية المتوطنين في الأراضي الوسطى من البايك، كما نجد القبائل وهم المستقرون في القسم الشمالي من البايك على السواحل وأيضا في جبال الأوراس⁴، ومؤشّر الاستقرار والحركة للقبيلة في الإقليم، ومؤشّر نوعية نشاطها

= Vialatte Paul : **Des impots directs en Algérie et principalement dans la province de Constantine**, imprimerie de L. Marle, Constantine ,1879, pp 9-10.

¹ فايست: مرجع سابق، ص34. وينظر: موساوي: مرجع سابق، ص 62. وينظر أيضا: عباد: المرجع السابق، ص297.

² للمزيد حول هذا التقرير ينظر: سعيدوني: الشرق الجزائري بايلك قسنطينة ...، المرجع السابق، ص 197.

³ نفسه، ص212.

⁴ فايست: نفسه، ص34.

الممارس¹، وأخيرًا مؤشّر العلاقة بالسلطة². والملاحظ على البنية الاجتماعية لبابيك الشرق نجد أنّ سكان الأرياف يمثلون ما يقارب 97% من إجمالي السكان في البابيك وهم ركيزة أساسية في ثروة الإيالة، وهذا ما أكّده حمدان خوجة، بينما سكان المدن يمثلون 3% وهي نسبة ضئيلة³.

وعلى ضوء هذا المؤشّر الأخير نجد المؤرخ سعيديوني من خلال نظرتّه لعلاقة السكان بحكام الأقاليم قد صنّفهم إلى عدة أصناف، فيجد أنّ هناك قبائل خضعت للسلطة وتمّ استغلالهم استغلالاً جيداً من طرف السلّطة العثمانية وحلفائها، وهناك صنف ثانٍ من القبائل ظلت مستقلة أو ممتنعة عن السلّطة وهي منعزلة في أراضي تقع بالجنوب وبالأراضي الجبلية البعيدة، كما نجد صنفًا ثالثًا من القبائل وهي في حالة تعاون وتحالف مع السلّطة العثمانية، وخير مثال على ذلك هم قبائل المخزن⁴.

ولذلك سكان الأرياف تمّ تصنيفهم حسب علاقتهم بالسلطة، وبيعضهم البعض وبأسلوب حياتهم كالآتي⁵:

- فئة متعاونة مع السلّطة وهم القبائل المخزنية.

- فئة خاضعة للسلّطة وهم قبائل الرعية بالبابيك.

¹ يتمّ سكان الأرياف تصنيفهم من حيث نوعية نشاطهم الاقتصادي الممارس إلى سكان سهول الذين يمارسون زراعة الحبوب، وسكان الجبال يعملون في البساتين ويقومون بغرس الأشجار المثمرة، أو العاملين في فحوص المدن مقابل أجر معين أو خمّاسة عند ملاك الأراضي ويمارسون الرعي في السهوب أو مرتحلين يجوبون الصحاري. ينظر: دغموش كاميلية: قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية، (1509_1792م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف محمد دادة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 2013-2014م، ص 94.

² بوطالب محمد نجيب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2002، ص ص 109-115.

³ الزبيري: المرجع السابق، ص 47.

⁴ سعيديوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص ص 210-211. وينظر: العايب: المرجع السابق، ص 29. وينظر أيضا: سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 158.

⁵ سعيديوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 105. وينظر: موساوي: المرجع السابق، ص 167.

- فئة متحالفة مع السّطة وهم القبائل المتحالفة.

- فئة امتنعت عن التعامل مع السّطة، أطلق عليها القبائل الممتنعة.

ومن جهة أخرى نجد أن لويس رين قد صنّف قبائل الأرياف في الجزائر إلى قبائل الأجواد وقبائل المرابطين وقبائل المخزن، وقد تباينت استفادتها من الامتيازات، كما توجد قبائل الرعية وقبائل لم تكن خاضعة تماما للسلطة العثمانية¹. ولذلك فقد صنّفها كما يلي²:

- قبائل الرعية وأهل المخزن أو ما سمّاه رجال الحكومة.

- المستقلون.

- وأخيراً التابعين.

ويلاحظ على مجتمع الريف تصدّر القبائل المخزنية للبناء الاجتماعي له، وتليها القبائل الحليفة والقبائل الممتنعة (المستقلة) في وسط هذا البناء، لنجد قبائل الرعية تأتي في آخر البناء الاجتماعي المكوّن لهذا المجتمع، وهذه الأخيرة ظلّت على الهامش اجتماعيا واقتصاديا وقد رجع ذلك سلباً على السّطة في الإقليم. كما لا تفوتنا هنا الإشارة إلى أنّ الأرياف والمدن لا يختلفان كثيرا عن بعضهما البعض من حيث البناء الاجتماعي³.

وبهذا يمكن تصنيف قبائل بابك الشرق إلى أربعة أصناف:

2. 1 القبائل المخزنية:

لقد ظلّ مصطلح المخزن حاضراً في التنظيم الإداري بمناطق الأرياف في العهد العثماني بالجزائر، ويرجع أصله تاريخياً إلى فترة ما قبل الفتح الإسلامي بدول المغرب، وبالتحديد إلى مؤسسة الأعوان الذين كانت مهمّتهم تسيير المحاصيل وحفظها، وجمع الضرائب العينية وتكديسها بالمخازن، ليصبح هذا المصطلح يطلق على كامل الإدارة فيما بعد، ليعرف تطوراً

¹ عباد: المرجع السابق، ص362.

² Rinn Louis: **Le royaume d'Alger sous le dernier dey**, Typographie Adolphe Jourdan, Imprimeur-libraire -éditeur, Alger, 1900, p4.

³ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص112.

بارزاً مع مجيء العثمانيين للجزائر، شاملاً بذلك كل الأعيان الإداريين في البابك، وأضحى هذا المصطلح للدلالة على الحكومة أو السلطة في الإقليم¹.

وقد عرّفها ناصر الدين سعيدوني بأنها من تكوين العثمانيين فهي تجمعات سكانية مستحدثة من قبلهم، متباينة في أصولها ذات أعراق مختلفة، فبعضها تمّ الاعتراف بها بالأراضي المتواجدين عليها لتكون دعماً لهم، وبعضها من استفادت من الأرض واستوطنت فيها واستقرت عليها، وبعضها الآخر تمّ استحضاره كمغامرين أو متطوعين من مناطق مختلفة لتتشكل منها مجموعة تخدم السلطة العثمانية من أجل مصالحها²، وهي من القبائل الوفيّة لها المستفيدة من الامتيازات الكثيرة³.

وقد اكتسبت قبائل المخزن كياناً تميز بالاستقلال والتميز، جعلها تفقد معرفتها بأنسائها الأولى وأماكن تواجدها الأصلية، فأصبحت تُعرف بتسمياتها الجديدة كقبائل الصحاري والعثامنة مثلاً، والكثير منها أضحت تستمد تسمياتها وألقابها من تسميات أماكن تواجدها الجديدة أو من تسميات اشتقت من الوظيفة التي تقوم بها أو من اسم السلاح الذي تستعمله في أداء المهام المنوطة بها⁴.

وقد عرّف المزارى المخزن بقوله: «...إن المخزن هو الناصر للدولة كيفما كانت وحيثما وُجدت وتملّكت وباتت، والنسبة إليه مخزني، ومخازني، مفرد المخازنية في تحقيق

¹ آل الشيخ: المرجع السابق، ص ص 184-185.

² سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 207. وينظر: سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 105. وينظر أيضاً: آل الشيخ: نفسه، ص 185.

³ الزبيري: المرجع السابق، ص 21. وينظر: عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانه، الجزائر، 2002، ص 105.

⁴ سعيدوني: ورقات جزائرية...، نفسه، ص 207. وينظر: بحري أحمد: الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف فغور دحو، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2001-2002/1422-1423، ص 59. وينظر أيضاً: هلايلي حنفي: بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 1428هـ/2007م، ص 85. وينظر الأرقش دلندة وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال مصادر، ط1، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، تونس، 2003، ص 147.

المباني وسُمّي بذلك لأنّه يخزن بصدّره ما يؤلمه إلى وقت الظّفَر وحصول الانتقام فيفعله بصاحبه وبه يلزمه، وقد يُطلق المخزن مجازاً على دار الحاكم نفسها في المستبَن ومنه قولهم إني ذاهب إلى دار المخزن»¹. ومن خلال تعريفه يُفهم أنّ المخزن في نظره هو دعامة نصر الدولة على أرض الواقع، وتدل هذه الكلمة على رجال السّلطة.

وقد ذكرها محمد بن ميمون الجزائري في كتابه التّحفة المرّضية بأنّها قبائل تحتاجها السّلطة من أجل تعزيز جيشها النظامي، وهي قبائل استفادت من الكثير من التسهيلات والضمانات التي قدمتها لهم السّلطة العثمانية على شكل امتيازات، والتي كان من أبرزها إعفاؤهم من الضرائب التي يُلزم بها غيرهم، مقابل بعض الخدمات العسكرية كإجابتهم وقت الاستجداء بهم، كما يؤدّون لهم بعض الخدمات الادارية، كالمساعدة في تحصيل الضرائب المفروضة على القبائل التابعة لحكم العثمانيين وإدراجها في الخزينة².

أما وليام سبنسر فقال عنها: «...وهي القبائل التي قد أعطت خدماتها للحكومة المركزية مقابل استقلالها المحلي وإعفاؤها من الضرائب باستثناء ضريبة العُشر³»، فهي بالتالي تقوم بأعمال تُساعدّها على ضمان امتيازاتها من السّلطة العثمانية.

أما دوغرامون (H.-D. de Grammont) فيقول عنها: «...واستخدموا في خدمتهم بعض القبائل المحاربة التي تعاقدت مقابل مبالغ معيّنة...ومزايا، والالتزام بحمل السلاح عند أول إشارة، وكانت هذه القبائل تشكّل المخزن، وقد اعفوا من أي مساهمة إلّا الزكاة»⁴. ومنه نستنتج أنّ هناك عقداً بين السّلطة وهاته القبائل تمثّل في ضمان أمن السّلطة وجباية الضرائب مقابل الحصول على امتيازات مختلفة كالإعفاء من الضرائب.

¹ المزاري الأغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، د.د، 1990، ص30.

² بن ميمون: المصدر السابق، ص39. وينظر: بوطالب: المرجع السابق، ص 113.

³ سبنسر: المصدر السابق، ص83.

⁴ Grammont H.D: *Histoire d'Alger sous de la domination turque (1515-1830)*, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1887, pp 409-410.

وفيما يخص أصولها فقد تشكّلت من العبيد والكراغلة بالإضافة إلى سكان الهضاب العليا والمناطق الجبلية وبعض عرب الصحراء¹، وهنا يمكن الإشارة إلى ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله حول أصول بعض القبائل المخزنية بأنّها قبائل رعية، لم يعجبها كونها مُستَغَلَّةً من طرف السّلطة العثمانية لتُخْرَج من حالة الرعية إلى حالة المخزنية، وتستفيد من الامتيازات وتصبح أداة لاستغلال قبائل الرعية الأخرى²، كما أشار سعيدوني إلى أن أصول بعض القبائل المخزنية يرجع في كثيرًا من الأحيان إلى قبائل ممتنعة تعيش في مناطق صعبة التضاريس ومنعزلة في مناطق تواجدها أجبرتها تلك الظروف على الانضواء ضمن صفوف فرسان المخزن³. ومما يلاحظ على هذه القبائل أنّها لم تعرف في تنظيمها قواعد واضحة فقد تحكّم في ذلك ظروف كل قبيلة أو منطقة، والشئ المهم بالنسبة للسلطة هناك هو قيامها بمهامها على أحسن وجه ممكن⁴.

وقبائل المخزن هي قبائل متعاونة مع السّلطة العثمانية ولذلك تعمل جاهدة على تقديم خدمات متعددة لها مقابل امتيازات واضحة⁵، ويمكن اعتبار هذه القبائل بمثابة الجيش الاحتياطي الذي تعتمد عليه السّلطة العثمانية في الجزائر⁶؛ وهذا بعد تراجع الجباية البحرية خصوصاً. وقد أصبح لهذه القبائل أهمية بالغة في أواخر الحكم بالإيالة الجزائرية⁷؛ ذلك لكون نفوذ الدولة أصبح يقاس بمدى قوة هذه القبائل وتعزيزها للجيش ودعمها للسلطة العثمانية⁸.

¹ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص106. وينظر: آل الشيخ: المرجع السابق، ص 185.

² سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص157.

³ سعيدوني: ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص213.

⁴ بحري أحمد: الحياة الاجتماعية بالجزائر ...، المرجع السابق، ص59.

⁵ دغموش: المرجع السابق، ص 94. وينظر: بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر ...، نفسه، ص58.

⁶ هلايلي: المرجع السابق، ص85.

⁷ الجمل شوقي عطالله: المغرب العربي الكبير (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، ط1، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة،

1977، ص105. وينظر: آل الشيخ: نفسه، ص185.

⁸ الأرقش: المرجع السابق، ص148.

وقد ظلت هذه القبائل بمثابة حلقة الوصل بين السكان وحكام الأقاليم، ورابطة قوية حافظت على بقاء العلاقة بينهما، وتماسك الأوضاع في الأقاليم. فقبائل المخزن لها دور هام في تدعيم الحكم العثماني بالجزائر، مما جعل الأرياف تُطَبَّعُ بطابع مميز¹. وقد مثلت هذه القبائل دور الوسيط بين الحاكم والمحكوم على مستوى أرياف الأقاليم فهم يتواجدون في الأبراج، وقد كَلَّفُوا بتحصيل المطالب المخزنية من قبائل الرعية ومراقبة القبائل فيما يُخَصُّ تنقلاتهم في البابك²، وكذا السَّهر على تأمين طرق المواصلات وسلامتها، و العمل على مراقبة القبائل الممتعة في الأقاليم³، والحفاظ على الأمن ولذلك كانت السُّلطة العثمانية تعتمد عليها للتحكم في الأرياف ذات الحدود الشاسعة، ومن بين الامتيازات المقدمة لها من قِبَل السُّلطة نجد امتلاكها لأراضي فلاحية⁴ إلى جانب الإعفاء الضريبي⁵.

ويَرْجِع الفضل لهذه القبائل في تمكُّن سلطة الدايات من فرض سيطرتهم على الأراضي التابعة لهم، وأن يوسَّعوا من نفوذهم على جهات مختلفة من الإيالة حتى وإن كانت بعيدة عن مركز السُّلطة، كما استطاعوا المحافظة على العديد من الحاميات القريبة من الأسواق

¹ سعيدوني: ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص206. وينظر سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص106. وينظر أيضا: هلايلي: المرجع السابق، ص85. وآل الشيخ: المرجع السابق، ص185.

² رحموني عبد الجليل: العلاقة بين السُّلطة المركزية والبايلكات في الجزائر العثمانية، أطروحة مقدمة انيل دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف نصر الدين لعوج، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2019-2020، ص199.

³ بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر ...، المرجع السابق، ص59.

⁴ الأرقش: المرجع السابق، ص150. كما يذكر بعض الباحثين أن القبائل المخزنية في بداية العهد العثماني لم يكن لها حق امتلاك هذه الأراضي بل كان حق الاستفادة منها، ومع التطورات السياسية التي عاشتها البلاد كان لهم ذلك، إذ ازداد حاجة السُّلطة لهم بعد انعدام الأمن وكثرة التمرّدات. ينظر: بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر ...، المرجع السابق، ص62. وينظر:

Esterhazy Walsin: *Notice historique sur le maghzen d'Oran*, typographie de Perrier, Oran, 1849, p12.

⁵ عمورة: موجز في تاريخ ...، المرجع السابق، ص105. وينظر: الأرقش: نفسه، ص149.

الهامة والحصون ذات الموقع الاستراتيجي وتأمين المواصلات الحيوية، وبفضلهم أيضا تم إخضاع المتمردين والثائرين، وتحصيل الضرائب المختلفة.¹

وقد صنفها بعض الباحثين إلى ثلاثة أنواع وذلك حسب أصولها كالتالي²:

• قبائل تستوطن أراضي زراعية خصبة بالمناطق التلية أو بالأراضي المتاخمة

للمدن، ونظراً لموقعها هذا اختارت التعاون مع العثمانيين والتحالف معهم؛ خوفاً

على ضياع مصالحهم وللبقاء في مواطنها والاستفادة من الامتيازات المختلفة من

السلطة، ويمكن إدراج قبائل المرابطين³ مع هذا النوع من القبائل المخزنية.

• قبائل تم استحداثها فهم قبائل اصطناعية مشكّلة من أصول مختلفة من قبل

العثمانيين كالمغامرين والهاربين من قبائلهم الأصلية لأسباب مختلفة كالقتل وغيره

بالإضافة إلى العبيد المعتوقين والذين يتصيدون الفرص، فشكّلوا قبيلة دفعتها

ظروفها الخاصة لتكون في خدمة السلطة مقابل الحصول على بعض الوظائف

أو الأراضي الخصبة ومن خلالها ظهرت فرق الزمالة⁴ والدواير⁵ والعبيد.

• قبائل تكونت من بعض القبائل الممتنعة أو المستقلة دخلت ضمن القبائل المخزنية

بالقوة، وكلّما وجدت الظروف السياسية والعسكرية بالبلاد إلى جانبها رجعت إلى

وضعية الاستقلال أو الامتناع عن السلطة.

¹ سعيدوني: ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 213، 212.

² آل الشيخ: المرجع السابق، ص ص 185-186.

³ قبائل المرابطين: قبائل تنتسب إلى الأشراف وهي تتواجد في الحواضر والأرياف، وفي بلاد الحجاز هم قسمان، فالأول من بقايا قريش والثاني سلالة الحسن والحسين أبناء علي رضي الله عنه. ينظر: كتحالة محمد رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1418هـ/1997م، ص30.

⁴ الزمالة: فرق تم تشكيلها من أقوى القبائل الحربية في بابك قسنطينة، وهم يأترون بأمر الباي ويعرف قائدها باسمها. ينظر: فايست: المرجع السابق، ص39.

⁵ الدواير: جمع لدائرة المخزن وهم مجموعة تم إنشاؤها من قبل البابك من الفرسان والمشاة التابعين لقبائل غير المخزنية، وهم يمثلون جزءاً هاماً من قوة البابك. ينظر: خلاصي علي: الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص238.

وقبائل المخزن نوعان هما قبائل فلاحية وأخرى محاربة¹ وقد أكد ذلك لويس رين (LOUIS RINN) بقوله: «...ثم جاءت المخازنية، مقاتلون: بعضهم مسلّح مجهّز من قبل الدولة ويتمتع بالأراضي المعفاة من الضرائب. لم يكن لدى الآخرين سوى جزء من هذه المزايا وكان عليهم أن يكونوا مكتفين ذاتيا، ولم يكن لدى البعض سوى امتيازات بسيطة مع اللقب. وآخرون أخيرا المزارعون»².

وحتى تتمكن السلطة العثمانية من بسط نفوذها على كل المناطق عملت على دمج القبائل المخزنية في نظامها مثل الزمالة والدواير والعبيد³، فاعتمدت على هذه القوة الشعبية من أجل السيطرة على الإقليم وفرض النظام وهي ممثلة في:

- الزمول وقد شكّلوا في البابك أقوى قبيلة حربية وقائدها يحمل لقب قائد الزمالة وهم مسلّحون بأوامر من الباي⁴. فالزمول هم يد الباي القوية وهم مشكّلون من قبائل عسكرية يصل عددها إلى عشرين (20) قبيلة⁵.
- دايرة المخزن وهم فرسان ومشاة من القبائل غير المخزنية⁶، وهي تتضمن دايرات الموظفين والمزارقية⁷ وزمالات الشيوخ والقياد، وهم يرفعون الأسلحة عند الاحتياج لهم⁸.

¹ شويتام أرزقي: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، ط1، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع والترجمة، القبة الجزائر، 2011، ص82.

² Rinn: op.cit, p6.

³ آل الشيخ: المرجع السابق، ص 217. وينظر: شويتام: المجتمع الجزائري ...، المرجع السابق، ص233-234.

⁴ فايس: المرجع السابق، ص39.

⁵ خلاصي: المرجع السابق، ص238.

⁶ نفسه، ص238.

⁷ المزارقية: هم "الرماحين" وهم عبارة عن فرسان تجدهم إلى جانب شيوخ القبائل أو بجانب القايد، وهم معفون من الغرامة. ينظر: فايس: المرجع السابق، ص40.

⁸ نفسه، ص37، 40.

2. 2 قبائل حليفة:

جاءت تسميتها هذه نظراً لارتباط هذا النوع من القبائل بحلف مع السلطة الحاكمة في البابيك أو المخزن على مستوى عسكري أو اقتصادي، فهي تقدّم فرسانها لدعم السلطة، وتساعد بتموينها ببعض المواد كالفحم والزيوت وغيرها، وبواسطة ذلك تضمن عدم التدخل في شؤونها الداخلية¹.

وهي عبارة عن قبائل تمكّنت من أن تصبح في تحالف مع السلطة العثمانية وتتعامل معها بشكل مباشر، لذلك عاشوا بنوع من الاستقلال واحترمهم حكام الإقليم وقدموا لهم الامتيازات² المختلفة³ واستفادوا من التنازلات العديدة وغيرها، كما نجد أن بعض القبائل الحليفة في واقع الأمر وفي كثير من المرات أقوى حتى من حكام البابيك، لذلك فالتحالف معهم كلّف السلطة العثمانية الكثير من أجل كسبهم إلى صالحهم⁴. ومما يشير إلى قوة المشيخات الوراثية أمام السلطة في بابيك الشرق ما ذكره شارل فيرو (Ch, Féraud) حول أحرار الحنانشة⁵ بقوله: «...بعد أن أخضع الأتراك سيّد الحنانشة...يتلقى مباشرة ققطان التنصيب من ولاية الجزائر، وله الحق في رفع الأعلام على صوت الموسيقى، وهو امتياز فخري...مما يدلّ على القوة التي مازالوا يحتفظون بها على الرغم من قيامهم بعمل

¹ بلبروات: المرجع السابق، ص 260.

² Rinn :op.cit, p5

³ من أبرز تلك الامتيازات التي استفادت منها المشيخات الوراثية جمع المطالب المخزنية من قبائل الرعيّة، وعدم المساس باللاجئين إلى زواياها، وحق اختيار شيوخها. ينظر: شويّتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص ص 235-236.

⁴ Rinn :ibid, p5.

⁵ أحرار الحنانشة: هم حكام الحدود الشرقية للبابيك ويختلف المؤرخون في أصولها، غير أن شارل فيرو يرى أنها تتكون من ثلاث قبائل رئيسية وهم الشاوية بالأوراس ممثلين بالحراكتة والتّمامشة، وهوارة وإخوانهم الغداسة والعرب بنو هلال وبنو سليم. وهذه القبيلة تتميز بسمات عسكرية وطابعها البدوي مما جعلها تكون قوة في المنطقة. للمزيد ينظر: معاشي : الأسر المحلية الحاكمة في بابيك الشرق...، مرجع سابق، ص ص 41-51. وأيضا: بن حيدة يوسف: علاقة القبيلة بالطريقة الصوفية في الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة (الشابية والحنانشة انموذجا)، مجلة المعيار، المج 24، ع 50، 2020، ص 197-203.

التَّبعية»¹، فأحرار الحنانشة حسب شارل فيرو قبيلة قوية تحسب السُّلطة العثمانية لهم ألف حساب لذلك تقربهم منها وتجوّد عليهم بامتيازات قلّ ما تقدمها لأمثالهم، كما أشار إلى ذلك أيضا حمدان خوجة في كتابه المرآة بقوله: «...وتعيين مشايخ الصحراء من اختصاصات باي قسنطينة، وعندما يقدّمهم زمام الحكم يهدي إليهم معطفاً مدبجاً بالخیوط الذهبية، ويضع تحت تصرف الشيخ الواحد عشرين خيمة من الجنود الأتراك وأعلاماً وجوقة موسيقى عسكرية، ويكون هذا الشيخ كالمك بالنسبة لسكان الصحراء»²؛ فهذه الامتيازات المقدّمة من طرف السُّلطة العثمانية ماهي إلا دليل واضح على قوة القبيلة في المنطقة، كما أشار لويس رين (LOUIS RINN) لذلك بقوله: «...كانت هناك فروق دقيقة لا حصر لها في العلاقات بين الأتراك وأولئك الحلفاء أو التابعين الذين لم تكن العلاقات معهم مريحة دائماً. كان بعضهم أقوى بكثير من البايات... وكان تحالفهم مكلفاً للغاية... وشيخ العرب من بيت بوعكاز»³ وشيخ الحنانشة والعديد من الآخرين»⁴، ونستنتج من خلال هذا القول عدة نتائج أهمها أنّ هذه القبائل ليست دائمة التحالف، وهي أقوى من البابيك نفسه، ويكلف التحالف معها الكثير كالتجهيز العسكري والمالي وغيرهما. ولهذا استفادت هذه المشيخات من الامتيازات المتنوعة وكسبت احترام العثمانيين وحصلوا على نوع من الاستقلالية⁵.

¹ Féraud Charles: **Les Harar seigneurs des Hanencha, études historiques sur la province de Constantine**, R A, V 18, Paris, 1874, p23.

² خوجة: مصدر سابق، ص38.

³ عائلة أولاد بوعكاز: من العائلات النافذة "الجواد" التي كانت سلطتها تغطي مناطق شاسعة من الشرق الجزائري وبفضلها تمكنت السُّلطة العثمانية مد نفوذها على جهات عديدة في البابيك. ينظر: موساوي القشاعي فلة: المرجع السابق، ص 190.

⁴ Rinn: op.cit, p5.

⁵ لعربي إسمهان: الحياة الاقتصادية في بابيك الشرق خلال العهد العثماني 1713-1792، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف حنفي هلايلي، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م، ص151.

وهذه القبائل المتحالفة مع السلطة الحاكمة في الإقليم يتمّ تحصيل ضريبة اللزّمة منها¹، ومن مهامها ضمان الأمن وربط القبائل بالسلطة الحاكمة والمساهمة في تحصيل الضرائب

ويمكن أن نصنفها إلى نوعين هما:

• قبائل المرابطين أو القبائل الدينية (الذين يلقَّبون بالأشراف مما جعل الكثير من العائلات تدّعي النّسب الشّريف): وهي التي تُنسب في أصولها إلى آل البيت الشريف أو من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد أكسبها هذا النسب نوعا من الاحترام والمكانة في المجتمع، ونجد هذا النوع في بايلك الغرب على الخصوص، كما أعفت السلطة العثمانية هذا النوع من جميع أنواع الضرائب والإتاوات، و على العكس من ذلك فقد كانت تبادل بتسليم الهدايا لهم والعديد من الإعانات المختلفة²، و من أبرز الأسر ذات الطابع المرابطي الديني المتوارثة لحكم القبائل المتحالفة في بايلك الشرق نجد أسرة المقراني³ العريقة⁴.

• قبائل الأجواد: مثّل الأجواد أحد الأدوات والوسائل العسكرية العثمانية بمجتمع الأرياف، كما نجد أن نسبهم ينحدر من عائلات مشهورة في الإقليم وبكونهم من العائلات العريقة، أو أنهم يقودون قبائل تميزت بالقوة والبأس كقبيلة الذواودة⁵ وبن

¹ دغموش: المرجع السابق، ص 94. وينظر: بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر ...، المرجع السابق، ص58.

² عبد الغفور: المرجع السابق، ص128.

³ أسرة المقراني: هم حكام مجانة التي تمتد غرب بايلك الشرق من جبال البابور جهة الشمال إلى منطقة الزاب من جهة الجنوب، وهم أسرة مرابطية اختلف المؤرخون في أصولها. للمزيد ينظر: معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، صص52-64.

⁴ لعريبي: المرجع السابق، ص 149.

⁵ الذواودة: أحد بطون رياح وهم من بني هلال بن عامر من عدنان إلا أنها لم تستطع المحافظة على أصولها العربية، فيلاحظ عليها الاختلاط والامتزاج مع بعض البربر عن طريق المصاهرة والجوار منهم مما نتج عنه ذوبان البربر فيهم، ونجدهم يتمركزون في المنطقة الممتدة بين الزاب والحصنة ببائلك قسنطينة. ينظر: كتحالة: المرجع السابق، صص406-407. للمزيد ينظر: موساوي: المرجع السابق، ص70. وينظر أيضا: معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، نفسه، صص31-40.

قانة¹، وقد حاولوا فرض سيطرتهم على الأرياف بالقوة ممّا جعل سكانها في معاناة كبيرة من قمع هذه الفئة². كما تُعرف أيضا بالنبلّاء وقد تميزوا بكونهم استطاعوا فرض سلطتهم بالقوة وأصبح لهم نفوذ على منطقة ما في الإقليم، وقد يزداد نفوذهم أو يتقلص على تلك المناطق حسب قوة السّلطة العثمانية، والتي اعترفت بنفوذهم، وقد عُرفوا بكثرة إعلانهم للحرب وتغذية الصراعات داخل عائلاتهم ومناصرة طَرَف على طَرَف، وقد وجدت السّلطة العثمانية نفسها مضطرة إلى التعامل وحتى التعاون معهم في العديد من المناطق، ولعل من أبرزهم نذكر الذواودة و الأحرار وغيرهما في بايك قسنطينة. وقد كانت جماعة الأجواد قليلة في القرن 16م فنجد فقط الذواودة و أمراء بني عباس و أحرار الحنانشة... إلخ، لكن في القرن 17م تزايد عددهم فنجد من بينهم في البايك أولاد بن عاشور في فرجية ثم أولاد عز الدين في الزواغة و الوادي الكبير وغيرهم. كما تميّز الأجواد بسيادتهم على منطقة نفوذهم، وجباية الضرائب منها، كما تمكّنوا من فرض أعمال السخرة وأخذ الغنائم دون الاستعانة بالسّلطة، ولذلك فقد حاربتهم هذه الأخيرة من حين لآخر كلّما أحسّت بتزايد قوتهم³.

لقد مثّلت المشيخات الوراثية القبائل المتحالفة مع السّلطة العثمانية في بايك الشرق، و التي كانت متواجدة حتى قبل الدخول العثماني للمنطقة، وكانت تتركّب من خمس طبقات اجتماعية مختلفة، أولها الأجواد أو ما أطلق عليهم نبلاء السيف وإلى جانبهم نبلاء أرسنقراطيون آخرون، ثم نجد طبقة المحاربين في شكل قبائل أو مجموعة فرسان لشيخ

¹ عائلة بن قانة: من العائلات النافذة "الجواد" التي كانت سلطتها تغطي مناطق شاسعة من الشرق الجزائري وبفضلها تمكنت السّلطة العثمانية مد نفوذها على جهات عديدة في البايك. ينظر: موساوي: المرجع السابق، ص190. للمزيد ينظر: معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق ...، المرجع السابق، ص ص80-91.

² بلبروات: المرجع السابق، ص368.

³ عباد: المرجع السابق، ص362، 363.

القبيلة، ثم طبقة الفلاحين وتأتي في آخر هذه الطبقات قبائل عاملة في الرعي وخدمات السخرة وتتركز خصوصا بالمشيخات البربرية بمنطقة الأوراس وهي مطالبة بدفع الضرائب، و يمكن أن نضيف لهذه الطبقات طبقة أخرى نجدها ضمت قبائل مستقلة تخضع لإحدى هذه الأسر الحاكمة أو تُؤاليتها مقابل حمايتها¹.

وقد توارث شيوخ هذه القبائل و زعمائها الحكم في الإقليم بدوام تعاملهم مع السلطة، كما تميزت العائلات التي حكمت المجموعات القبليّة في بايك الشرق بطابعها الحربي، والعائلات التي حكمت بمنطقة الصومام وجرجرة والبابور بانتمائها إلى أصولها الشريفة أو الخضوع للجماعة ورأيهم بما يسمى "الخروبة"².

2. 3 قبائل رعيّة خاضعة:

يمكن اعتبار معظم سكان الريف بالبايك من قبائل الرعيّة، وهذه القبائل خضعت للسلطة العثمانية وفُرضت عليها ضرائب مختلفة أثقلت كاهلها³، وهذا ما أكّده جيورجي فوازان (Georges Voisin) بأنّ سكان السهول والهضاب والأودية المفتوحة ظلّت تعاني من أقسى مظاهر الطغيان عليها من قبل السلطة العثمانية⁴.

أما بالنسبة لأصولها فيُرجعها بعض الباحثين إلى أنّها من القبائل الأهلية التي أجبرها موقعها الجغرافي أو وضعها المادي السيء وكذلك الصراعات والحروب القبليّة على الخضوع للسلطة العثمانية⁵.

¹ لعريبي: المرجع السابق، ص ص 149-150.

² سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 108.

³ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص ص 231-232. وينظر: الدراجي: المرجع السابق، ص 45.

⁴ Voisin Georges: **L'Algérie pour les Algériens**, Michel Lévy frères libraires éditeurs, Paris, 1861, p 25.

⁵ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، نفسه، ص ص 245، 246.

و ما يلاحظ على هذه القبائل خضوع بعضها لحاكم البايك مباشرة، وبعضها الآخر خضوعها لقبائل المخزن والقيّاد ومختلف الشيوخ وحتى الحاميات، ومردّ ذلك إلى رغبة ممثلي السّلطة من الاستفادة من الأعمال التي تقوم بها تلك القبائل في الأراضي الزراعية التابعة للبايك، والاستفادة من الضرائب المحصّلة منها، كما سهّل ذلك التحكم فيها¹.

ويكاد يكون تنظيم هذه القبائل نفسه في كل البايكات، إلا أنّ بايك الشرق قد ظلّ تحت تأثير الباي المباشر فيه محدودًا، حيث اكتفى بتسيير كلّ من مدينتي قسنطينة وعنابة وأريافهما المجاورة و ذلك نظرًا لكِبَر مساحة البايك، و إلى تواجد عائلات مشهورة بالقوة تشاطرت الأراضي الزراعية في ملكيّتها واستخدامها مع السّلطة العثمانية. ولذلك نجد عدد قبائل الرعية منخفضًا في بايك قسنطينة بالمقارنة بالأقاليم المتبقية².

تشكّلت قبائل الرعية من مجموعات تميّزت بخضوعها لحكام البايك، وهي تتواجد في الأراضي التي تخضع لمراقبة القبائل المخزنية، والتي تتخذها فرق الحاميات طريقًا لها لجباية الضرائب أو للوصول إلى أماكن تواجد الحاميات العثمانية، فنجد هذه القبائل تتواجد بأرض البايك في القرى والمداشر وكذلك بالدواوير. كما عانت هذه القبائل من أنواع الاضطهاد والاستغلال الممارس من قبل رجال السّلطة بالبايك، كفرض المطالب المخزنية الثقيلة عليها. وحتى تبقى تحت أعين السّلطة تمّ تكليف القيّاد على رأس القبائل الكبيرة منها وكذلك بعض شيوخ العائلات الموالية للبايات في الإقليم، والذي وصل عددهم في بايك الشرق إلى أربع وعشرين (24) قائدًا من أصل عثماني أو من الكراغلة وإحدى عشر (11) شيخًا³.

¹ عبد الغفور: المرجع السابق، ص 119.

² شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص 101.

³ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص ص 107، 108.

2. 4 القبائل الممتنعة:

وتُطلق هذه التسمية على القبائل التي لم تكن خاضعة للسلطة العثمانية في أيّ حال من الأحوال، أو على أفراد القبائل التي خضع بعض أجزائها فقط للسلطة الحاكمة الذين يقيمون على أطراف الجبال أو الذين خضعوا بشكلٍ ظرفيٍّ مؤقت كالذين استسلموا عند تعرضهم لحملة عسكرية، لترجع إلى حالتها الممتنعة بعد زوال الخطر عليها. فلولا صعوبة التضاريس في أماكن استقرارها لما استطاعت هذه القبائل الامتناع عن السلطة العثمانية، فشكّل التضاريس من العوامل المهمة في تحديد نوعية علاقة القبائل بالسلطة¹، وكذلك بُعد المسافة.

وهذه القبائل هي من القبائل العاصية والرافضة لدفع اللزمة السنوية المعنية بها، وتميزت بكونها مناطق ضمنّت العيش بحكم ذاتي، ولها قوانين خاصة تخضع لها نابعة من العُرف والشرعية المّحمدية. كما نجدها تتأرجح من حيث طبيعة علاقتها مع القبائل المجاورة لها، فمرة نجدها في اتفاق معها أو في اتحاد مع بعضها نظراً للظروف المحيطة بها، وفي كثير من الأوقات نجدها في خلاف معها². ولعلّ هذا يرجع إلى مدى قوّتها وعلاقة القبائل المجاورة لها مع السلطة وفق قاعدة عدوّ عدوّي صديق، فتجنح إلى تشكيل أحلاف معها والعكس صحيح.

وقد أشار لويس رين (LOUIS RINN) إلى هذا النوع من القبائل بقوله: «...كانت هذه المجموعات المستقلة تشكّل في عام 1830م مساحة تقريبية تزيد عن 35 مليون هكتار وهي اليوم تديرها أو تحكمها فرنسا بانتظام»³.

¹ عبد الغفور: المرجع السابق، ص 124.

² بلبروات: المرجع السابق، ص 265.

³ Rinn: op.cit, p5.

ويضاف إلى القبائل الممتعة تلك القبائل التي لا تخضع مباشرة للسلطة العثمانية، وإنما لها أمراؤها الذين يعيشون نوعا من الاستقلال الداخلي¹، كمنطقة القبائل وبعض المناطق الصحراوية التي تخضع في تسييرها لرؤساء القبائل وهي تحت رقابة ثكنات عسكرية، فهي لا تخضع للسلطة مباشرة غير أنها تدفع ما عليها من ضرائب²، والذين تنكروا لها في العديد من المرات لتوجه لهم العديد من الحملات التأديبية للعدول عن ذلك³. وقد أشار لويس رين (LOUIS RINN) إلى هذا النوع من القبائل بقوله: «...و إلى جانب هؤلاء السكان الذين هربوا من أي تدخل دائم وتوجيه سياسي من الأتراك الجزائريين، كان هناك آخرون ظلوا مستقلين، ولكن كانت لديهم علاقات مع الأتراك جعلتهم إما تابعين أو حلفاء. لقد غطوا مساحة إجمالية قدرها 7540000 هكتار»⁴. فنستنتج من ذلك أن حالة الاستقلال للقبيلة عن السلطة لا تعني الامتناع المطلق عن التعامل معها.

وقد عملت السلطة العثمانية على تطويق هذه القبائل بتوطين قبائل مخزنية على مقربة من أماكن تواجدها لمراقبتهم، وخوفاً من تأثيرهم السلبي على قبائل الرعية الخاضعة، فاجتهدت في منع اتصالهم بهم حتى لا يقوموا بالتمرد عليها⁵، وهذا ما جعل الكثير من القبائل الواقعة بالمناطق الجبلية الوعرة تظل في حالة انعزال بمواطنها، وتشكو من الظروف الصعبة وعلى رأسها حالة الفقر التي تعيشها، فكثيراً من الأحيان بسبب هذه الوضعية تُجبر بعض القبائل للانضواء بين صفوف فرسان المخزن⁶. وفي حالة إحساس السلطة بقوة القبائل الممتعة وزيادة عددها فإنها تباشر في تجهيز حملات عسكرية نحوها⁷.

¹ الملي مبارك بن محمد الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، ط1، مكتبة دار النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت، ص ص292-293.

² عمورة عمار: موجز...، مرجع سابق، ص 105.

³ الملي: نفسه، ص ص292-293. وينظر: موساوي: المرجع السابق، ص178.

⁴ Rinn: op.cit, p5.

⁵ بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر...، المرجع السابق، ص72.

⁶ سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص213.

⁷ بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر...، نفسه، ص72.

ويشير فونتير دو بارادي للقبائل الممتنعة بقوله: «...معظم الجبال الممتدة من مملكة السوس إلى سهل القيروان تسكنها قبائل مستقلة، لم تستطع حكومة الجزائر أبدا إخضاع قبيلتين مشهورتين هما فليسة وقبيلة زواوة، تحكم قبيلة فليسة من دلس إلى القل، وأما قبيلة زواوة فهي تحكم جنوب الإقليم السابق. كان للزواويين نحو 300 قرية، وهم لا يدفعون الضريبة ولا الغرامة»¹، فقبيلة زواوة تمتنع عن دفع الضرائب لكونها من القبائل الممتنعة والقوية، وهذا ما يؤكده جون وولف كذلك بقوله: «... ذلك، فإن القنصل الفرنسي أمكنه الكتابة سنة 1700م قائلاً: من الممكن أن لا تعرف أن سكان الجزائر (Moors) من بجاية إلى جيجل، لا يعترفون بأي حكم، ولا يدفعون ضرائب لحكومة الجزائر، وأن الأتراك لا يجروون على وضع أقدامهم بمعسكراتهم هناك»². ويُفهم من خلال قول فونتير وجون وولف أن السلطة العثمانية في بايلك الشرق تكيل مكيالين في التعامل مع القبائل هناك، فقوة القبيلة تحدد طريقة السلطة في ربط العلاقة وكيفية التعامل معها.

وقد ساعد الموقع الجغرافي المتميز بطابعه الجبلي والصحراوي (بعد المسافة) في تحصين بعض القبائل وجعلها تمتنع عن السلطة في الإقليم³، وهذا ما أكده جيورجي فوازن بأن الصحاري الشاسعة والجبال القاسية والصعبة تمكنت من أن تكون من المناطق المستقلة عن السلطة⁴.

ونظرًا لوقوع هذه القبائل ضمن الأراضي الحصينة أصبحت في منأى عن المحلات الدورية وقبائل المخزن وسطوتهم، كما حاربت قبائل الرعيّة والمتحالفة مع السلطة على حد سواء، لذلك نجدها تفرض سيطرتها على الأراضي غير الخاضعة لسلطة البايك، كما

¹ بارادي جون ميشال فونتير دو: الجزائر خلال القرن الثامن عشر، تر وتغ لخضر بوطبة، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2022، ص 26.

² وولف: مرجع سابق، ص 176.

³ موساوي: المرجع السابق، ص 179. وينظر دغموش: المرجع السابق، ص 94. وينظر: بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر ...، المرجع السابق، ص 58. وينظر أيضًا: عبد الغفور: المرجع السابق، ص 124.

⁴ Voisin: op.cit, p 25.

تميزت بعدم الاستقرار كونها معرضة لحملات البايات من وقت لآخر¹. وهذا ما دفعها إلى رفض دفع المطالب المخزنية المتنوعة، ومن العوامل الأخرى أيضا وضعها السيء أثناء الأوبئة والمجاعة أو في سنين الجفاف التي شهدتها البايك أواخر العهد العثماني بالجزائر². ولهذا فقد قام ممثلو السلطة بالعمل من أجل إخضاع هذه القبائل أو التضيق عليها للحد من كونها مستقلة و إرغامها على مهادنتهم بأي طريقة، خاصة عندما يكون حكام الإقليم يعلمون بقوة هذه القبائل فيلجؤون إلى حصارهم والعمل على إبقائهم في عمق الجبال بهدف عدم المجازفة بتعقبهم³.

وقد تعامل البايك مع هذه القبائل بواسطة الأجواد والتي شكّلت حلقة وصل بين السلطة والقبائل الممتنعة في بابيك الشرق. ومن مميزات هذه القبائل أنّها في كثير من المرات لا تقرّ بسلطة البايك عليها فهي كثيرة التمرد، ونظرًا للظروف المحيطة بهذه القبائل اضطرت السلطة في البايك التعامل مع بعض شيوخها ومرابطيها وحتى العائلات العريقة بها وذلك من أجل إزالة حالة العداء هاته أو الحد منها، إلى درجة القبول بالاعتراف الشكلي بالحكم بطريقة غير مباشرة للسلطة العثمانية في الكثير من الأحيان، لذلك نجد الكثير من الباحثين يقرّون بأنّ نفوذ العثمانيين على بابيك الشرق لم يتعدّ مناطق محدودة منه⁴. وفيما يلي قبائل وأعراش بابيك الشرق.

3. قبائل وأعراش بابيك الشرق:

من الملاحظ على البنية الاجتماعية لبابيك الشرق أن سكان الأرياف يمثلون ما يقارب 97% من إجمالي السكان في البايك وهم ركيزة أساسية في ثروة الإيالة، وهذا ما أكّده

¹ بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر...، المرجع السابق، ص 70، 71.

² آل الشيخ: مرجع سابق، ص 204.

³ بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر...، نفسه، ص 71.

⁴ موساوي: المرجع السابق، ص 177-180.

حمدان خوجة، بينما سكان المدن يمثلون 3% وهي نسبة ضئيلة¹. وقد ظلت الحياة القبلية مهيمنة على الأرياف في الجزائر، ولوحظ ذلك أيضا حتى في المجموعات التي تشكلت بدون علاقة قرابة مثل جماعة المخزن، كما أن هذا التنظيم أيضا قد تأثرت به المدن، فنجد بعض أحيائها تحوز قبيلة أو جهة معينة².

وبالرجوع الى التقسيم الإداري للبابيك يمكن معرفة توزيع القبائل³ فيه، وأقسامه كالتالي:

• قسم شمالي و امتد من عنابة إلى بجاية، ويسمى أيضا الساحل وهو يضم المرتفعات الجبلية المحاذية للبحر⁴، ومن أشهر قبائله أولاد بن عاشور في فرجيوة، وأولاد بن عز الدين في الزواغة⁵.

• قسم جنوبي وقد حوى 11 قبيلة منها الزمول بعين مليلة وقبائل الحراكطة⁶ التي تقيم نواحي منطقة عين البيضاء وجبل سيدي رفيس⁷، وأولاد سلطان وأولاد سحنون⁸ وأولاد بن قانة والذواودة⁹ التي استقرت على الأراضي الممتدة ما بين قسنطينة والزّاب وورقلة¹⁰، كما نجد في هذا القسم مشيخة الجلالية¹¹، وهذه الأخيرة التي كان نفوذها من منطقة وادي سوف شرقاً إلى ضواحي مدينة ورقلة غرباً¹². ومن القبائل التي

¹ الزبيري: المرجع السابق، ص 47.

² عباد: المرجع السابق، ص 362.

³ ينظر: الملحق رقم 02، ص 282.

⁴ ورتي جمال: مظاهر امتداد سلطة الإيالة الجزائرية في أرياف الشرق الجزائري، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 2، ع 2، 2011/12/31، ص ص 11-12.

⁵ قشوان: السلطة المحلية ...، المرجع السابق، ص 44. وينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 18.

⁶ دوالي: المرجع السابق، ص 72.

⁷ موساوي: المرجع السابق، ص 70.

⁸ دوالي: نفسه، ص 72.

⁹ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 18. وينظر قشوان: السلطة المحلية...، المرجع السابق، ص 44.

¹⁰ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بابيك الشرق...، المرجع السابق، ص 32.

¹¹ خلاصي: المرجع السابق، ص 236.

¹² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بابيك الشرق...، نفسه، ص 71.

تسكن وادي سوف نجد قبيلة الطرود¹ إلى جانبها نجد قبيلتي عدوان والسوافة، فهم يقيمون بالقرى الصحراوية بالمنطقة خلال الشتاء والخريف، وينتشرون بالصحراء باقي أيام الصيف والربيع².

• قسم شرقي وقد احتوى أراضي الحناشة³ التي حدودها من مدينة تبسة وشرق الأوراس وحتى الزّاب في الجنوب ويصل حدها إلى القالة وعنابة شمالا، أما من الغرب فيصل نفوذ هذه القبيلة حتى شرق مدينة قسنطينة، فهي بالتالي تمتد على أراضي القالة ومهونة والناطور والنبائل من قالمة وسوق أهراس وتبسة والأوراس الشرقي، كما يمتد نفوذها شرقا إلى داخل أراضي الحدود من الإيالة التونسية⁴ واحتوى هذا القسم أيضا عامر الشراقة ووادي الزناتي، ويعتبر أحرار الحناشة من أهم قبائله⁵، وإلى جانبها النمامشة⁶ المعروفة بقوتها وامتلاكها لعدد كبير من القطعان المتنوعة، فهي تتواجد على أراضي شرق الأوراس وجهات تبسة الجنوبية⁷، حيث سيطرت على أراضي تبسة و إلى واحات وادي سوف وحتى نفطة التونسية، كما يقومون بالتخيم صيفا بين تبسة وجبال الأوراس⁸، وكذلك نجد الحراكطة التي توزعت على هذا القسم

¹ قبيلة الطرود: قبيلة عمرت أرض وادي سوف بعد عدوان وهم ينتسبون لعرب أولاد سليم وقد هاجروا إلى الجنوب الجزائري والمنطقة التونسية الشمالية الشرقية. ينظر: العايب: مرجع سابق، ص 21.

² Féraud Charles: **Le Sahara de Constantine et de Tunis**, L. Arnolet libraire-éditeur, Constantine, 1868, p200.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 18. وينظر: قشوان: السلطة المحلية...، المرجع السابق، ص 43.

⁴ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بابك الشرق...، المرجع السابق، ص 47.

⁵ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 18. وينظر: قشوان: السلطة المحلية...، نفسه، ص 43.

⁶ النمامشة: هي من قبائل التي لها سيادة على كل الأراضي الواقع بالمناطق الشرقية للأوراس والأراضي الجنوبية من منطقة تبسة القريبة للصحراء وهم من القبائل المعروفين بقوتها وامتلاكها لقطعان كثيرة. ينظر: موساوي: المرجع السابق، ص 70.

⁷ نفسه، ص 21.

⁸ عباد: المرجع السابق، ص 299.

أيضا¹، و سكنت شمال الأوراس وعاشت في صراع دائم²، كما نجد في هذا القسم أولاد يحيى بن طالب³.

• قسم غربي وقد امتد من سطيف إلى جبال الببيان بالإضافة إلى قرى بني منصور و ونوغة ومن أشهر قبائله أولاد مقران بقلعة بني عباس ومجانة⁴، وحمزة والببيان وأولاد نايل⁵ وعمارة لغرابية وأولاد عبد النور⁶، حيث تواجدت هذه القبيلة جنوب أولاد عيسى⁷ و التي تعتبر من أكبر القبائل في بايلك الشرق، فهي تمتد عبر السهول الواقعة بين قسنطينة وسطيف، و كثيرا ما نجدها حول عين سلطان عند جبال أولاد بوعون أو أولاد السلام، وغالبا ما تقيم حتى في سهل زانا، أما صيفا فنجدهم في الشمال على ضفاف وادي العثمانية، وقد تم حصر مجال هذه القبيلة القوية على يد آخر البايات أحمد باي، كما ضيق على مجالها فأصبحت لا تقيم في سهول زانا و لا شرق جبال الجروس⁸.

¹ خلاصي: المرجع السابق، ص236.

² الزبيري: المرجع السابق، ص26

³ دوبالي: مرجع سابق، ص72.

⁴ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص18. وينظر: قشوان: السلطة المحلية...، المرجع السابق، ص44.

⁵ خلاصي: نفسه، ص236.

⁶ دوبالي: نفسه، ص73.

⁷ Shaw: op.cit, p358.

⁸ Féraud Charles: **Notice historique sur la tribu des Oulad-abd-en-nour**, typographie et lithographie Alessi et Arnolet, Constantine, 1864, pp7-8. أما حدود قبيلة أولاد عبد النور فقد دقق فيها شارل فيرو، وذكر بأنها تبتدأ من قمة جبل جروس (بميلة) ومتجها شمالا حيث قمة كاف تازورت الحد الطبيعي بينها وبين أولاد كباب، ثم تتجه غربا إلى واد الداحس الذي يحد بينها وبين قبيلة وادي بوصلاح، ثم يصعد إلى قمة جبل سيدي مسعود مروراً على مرج البلاعة الذي يقطعه وادي تاجنانت، وباتجاهه الغربي مروراً عند سفح جبل ستيتا عند وادي جرمان، ويعبر سهل الباحة الكبير ومرورا إلى الغرب من السخنة وصولاً إلى أطراف البحيرة المالحة =سبخا صايدا التي على حدود قبيلة العلمة المجاورة لها، ومن هنا يبدأ الحد من تنية رومادة الواقعة على الحدود الشرقية لهذه السبخة باتجاه الشرق من سطيف إلى غاية عين السلطان، وهذا المسار يفصلها عن أولاد سعيد بن سلامة من الحضنة ثم أولاد بوعون، إلى ممر الأشرف المار عبر قمة جبل أغمرويل نزولا إلى بئر بن خليفي. ومنه صوب الشمال تاركا عين=

وقد قُسم بابيك الشرق بين الأسر التالية: أسرة أولاد مقران في غرب الإقليم، وأحرار الحنانشة في شرقه، وابن قانة و بوعكاز وابن جلاب في جنوبه¹. وفيما يلي تقسيم القبائل الجزائرية من حيث علاقتها بالسلطة العثمانية.

3. 1 القبائل والأعراش المخزنية ببابيك الشرق: نجدها تنقسم إلى مجموعتين في البابيك كالتالي:

3. 1. 1 مجموعة المخزن المحاربة: والذي حوى:

قسنطينة وبها ثلاثون (30) مكاحلية وخمسون (50) مزارقية.

دايرة خليفة الباي (أولاد رحمون، الحامة، والخوبس).

مخزن الحراكلة: والذي خضع لقائد العواسي، وقد ضمّ أربع مجموعات أولاد سعيد و أولاد سيوان وأولاد خنفر وأولاد عمارة، عدد قبائلها كلياً اثنان وثلاثون (32) قبيلة صغيرة، وأغلبهم يشكّلون القوة العسكرية لقائد العواسي، الذي كان تحت إمرته ثلاثمائة (300) فارس إحتياطي، ويمكن لهذا المخزن أن يوفر له أربعة آلاف (4000) فارس قومية في أي وقت. دواير الآغا وبها ألف (1000) من الفرسان تحت سلطة ثلاثين (30) شاوشاً وضمت أربع (4) دواير وهم دايرة الواد (أولاد فلاح، أولاد زرار)، واد بوصلح، دايرة بني مرسول- تشودة (فجّ مزالة)، دايرة سيراوية و دايرة زناتية².

=السلطان ووادي بورزال على جهة اليمين وصولاً إلى تنية سدر و جبل مقطع الحجر متبعا قمة جبل تيزوريت عابراً ببئر بن زيرق، ولتنتجه شمالاً قاصداً تلال الضايات الصخرية إلى تنية صايدا على مقربة من جبل كدمان، ومن تنية صايدا تافرنّت إلى جبانة أولاد الباهية مع التخلي على جزء من تيلارما على يمينه ويصعد نرجع إلى الشمال، عبوراً بسهولة قابل شابة بنت كام المتاخمة لقبيلة البرانية ثم تنزل إلى السهل الموصل إلى الشرق من المشيرة عبر عدّة تلال، وصولاً إلى واد مرج حريز الذي يقطع الطريق من مدينة سطيف إلى قسنطينة وصلاً إلى جبل جروس من جديد. ينظر:

Féraud: **Notice historique ...**, op.cit, pp 12-13.

¹ الزبيري: المرجع السابق، ص32.

² Rinn: op.cit, pp 83-90.

وينظر: بلبروات: المرجع السابق، ص 252-254. وأيضا: عباد: المرجع السابق، ص298.

الزمو: توفر خمسمة (500) فارس.

أولاد عبد النور: من أبرز القبائل الصبايحية الكبيرة، عددها ألف (1000) فارس.

التلازمة¹: من القبائل الصبايحية، عددها يصل 100 فارس.

دمبر وعرب شتايع: تمّ تكليفها بضمان وصول البريد بين الصحراء ومدينة

قسنطينة، ومثلت دور الشرطة بين القبائل البدوية.

عالمة مسلة وبها 50 فردًا من فرسان المخزن.

ساحل ستورة أو بنى مهنة: وبها 50 فارسا.

ساحل سكيكة ماوية وأولاد عطية: وبها 200 فارسًا لحراسة الطرقات².

مخزن القرفة: ويمكن أن يوفر هذا المخزن 200 من الفرسان لقائده، دائرة العزل لأولاد

دحاب: به 25 فردًا من الفرسان.

زمالة العصامنية: هم من أصول كرغلية نجدهم بمنطقة سطيف³ والأراضي القريبة منها.

غرازة الغرابية وهذه القبيلة توفر 25 فارسا.

مخزن أولاد فاضل: حيث يوفر عددًا كبيرًا من الفرسان يقارب 200 رجلا وهو تحت إمرة

قايد الأوراس.

مخزن قرية مسيلة⁴: يتواجد بها عنصر الكراغلة بأعداد كبيرة⁵.

¹ قبيلة التلازمة: من أبرز القبائل التي استقرت بمجال ميلة، وتتشكل من أربعة أعراش، وتتواجد جنوب غرب مدينة قسنطينة، وبذلك فهي تحاذي كل من أولاد عبد النور وأولاد سلطان والقحافة. ينظر: بوديرة حياة: انعكاسات سياسة الاستيطان الفرنسي على سكان ريف ميلة خلال القرن 19م، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، ع 5، جوان 2017م، ص808.

² Rinn: op.cit, pp 83-90.

وينظر: بلبروات: المرجع السابق، ص ص 252-254. وأيضا: عباد صالح: المرجع السابق، ص298.

³ سطيف: إحدى المدن الكبيرة التي بناها الرومان جنوب مدينة بجاية. ينظر الوزان: وصف إفريقيا، ج1، مصدر سابق، ص52.

⁴ المسيلة: إحدى المدن العتيقة التي بناها الرومان في تخوم الصحراء، يتميز أهلها بكونهم صناعا وفلاحين. ينظر: نفسه، ص52.

⁵ Rinn: op.cit, pp 83-90.

صحاري شيخ العرب: ويصل عدد فرسانها 800 رجلا بعين التوتة وقد حوت 6 قبائل. مخزن أولاد بليل ونجده بمنطقة البويرة¹.

مخزن بسكرة ومخزن تبسة² وعنابة ومخزن جيجل ومخزن حمزة³. ومن هذا يمكن لنا أن نستنتج كثرة القبائل المخزنية المحاربة في البابك وانتشارها في أغلب مناطقه، فقد تمّ تثبيتها في مناطق معيّنة، مكّن السلطة العثمانية من إحكام القبضة على القبائل الجزائرية خاصة الممتعة منها، وسهّل لها التعامل معها.

3. 1. 2 مجموعة مخزن الفلاحين والموظفين:

عزل قبيلة عامر الشراقة: ونجده بفحص عاصمة البابك وهو من القبائل التي تشتغل بالزراعة والتابع لقصر الباي هناك، عزل ميلة⁴ أولاد كباب.

موية⁵ بالميلية وقرمودة وزواغة القبلية.

أولاد بن قرات وأولاد القطن.

واجل و شطابة.

عزل بني هارون.

واد رومل وأولاد بلكل البرانية.

بني حمدان وتكوك وحويمر. و أولاد إبراهيم وعزل سمندو، مسونا، شمس، وسوحالي⁶.

¹ Rinn: **op.cit**, pp 83-90.

وينظر: بليروات: المرجع السابق، ص ص 252-254. وينظر أيضا: عباد: المرجع السابق، ص 298.

² تبسة: إحدى المدن العتيقة التي بناها الرومان. ينظر: الوزان: وصف إفريقيا، ج 1، المصدر السابق، ص 63.

³ الملي: المرجع السابق، ص ص 299-300.

⁴ ميلة: إحدى المدن العتيقة التي بناها الرومان، تتميز بكثرة انتاجها للفواكه. ينظر: الوزان: وصف إفريقيا، ج 1، المصدر السابق، ص 60.

⁵ قبيلة موية: أحد أبرز قبائل منطقة ميلة ببابك الشرق تتواجد على جنوب السلسلة الجبلية الموية، وتتشكل من أربعة أعراس. ينظر: بوديرة: المرجع السابق، ص 808.

⁶ Rinn Louis: **op.cit**, pp 83-90.

عزل القرقة، سدراتة، بني سالم، وأولاد دراج ومختلفة وواد بسباس وتريتت؛ أولاد جبارة وعامر الغرابة بفحص سطيف المدينة التي بناها الفرنسيون¹. وبالتالي يمكن أن نستنتج حول قبائل المخزن الفلاحين والموظفين أنّ تعدادها ليس بالكثير مقارنة بالقبائل المحاربة، فهم قبائل وُظِّفَت من أجل الوقوف على الأراضي التابعة للبابيك ومصالحه.

3. 2 قبائل وأعراش الرعية الخاضعة لبابيك الشرق:

ساحل سكيكدة وتوجد به 6 قبائل.

كرارب سلاوة.²

عامر الشراقة بعين مليلة.

دريد³ والسقنية.

قيادة القرقة.

ساحل عنابة وايدوغ.

سكان قرية تبسة وضواحيها.

قيادة عامر الغرابة.

أولاد ذهب وعلمة البزور وأولاد دراج الغرابة، كسنة ونايت حمزة بعين بسام⁴.

العشايش أولاد علي والعشايش العطاطفة

بني صليب وبني ورزدين وبني مزلين وأولاد حريد⁵. فنلاحظ أنّ قبائل الرعية هي الأقل

عدداً وتتواجد في مناطق سهلية خصبة، جعلت السلطة العثمانية تركز عليها ضربياً.

¹ بلبراوات: المرجع السابق، ص ص 252-254.

² Rinn: op.cit, pp 91-90.

³ دريد: قبيلة من الأتيج من هلال بن عامر، وعند دخولهم لإفريقية استقروا ما بين ولد العتاب إلى مدينة قسنطينة إلى الطارف. ينظر: كتحالة: المرجع السابق، ص 379.

⁴ Rinn: op.cit, pp90-93. وينظر بلبراوات: المرجع السابق، ص 258.

⁵ عباد: المرجع السابق، ص 298.

3. 3 القبائل والأعراس الحليفة ببابيك الشرق:

مجانة وهم خاضعون لعائلة أولاد مقران، ومقسمة إلى فرعين متنافسين هما أولاد الحاج وأولاد عبد السلام، آيت شرفة أو أولاد سي عامر وهم بمنطقة واد الساحل، مشدالة وآيت عيسى، مرخالة وبني مدور. زاوية شلاطة ومنها الشريف بن سيدي، وقد كان لممثليها سي محمد سعيد بن علي الشريف نفوذ كبير على العديد من القبائل المستقلة بأقبو، زاوية الشريف دي مولى بمنطقة أقبو وزاوية سيدي مبارك بن سماتي، ساحل القبلي البابور¹. زاوية رمضان والتي لها علاقات تربطها بالمقرانيين بمنطقة مجانة، ايرخفاون المتحالفة مع سيدي محمد أمقران.

مشيخة قصر الطير بريغة وهي ضمن سيادة عائلة أولاد وافضل².

مشيخة فرجيوة.

بن عاشور.

مشيخة زواغة ونجدها ضمن سيادة عائلة بن عز الدين³.

¹ Rinn: **op.cit**, pp 93–99.

وينظر: التمايلي عائشة: **التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد العثماني (1518م–1830م)**، مكتبة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، اشراف محفظ رموم، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 1435هـ–1436هـ/2015م–2016م، ص125. وينظر أيضا: عباد: **المرجع السابق**، ص298.

² **مشيخة زواغة**: وحكامها هم أولاد عز الدين، ويرجع بن خلدون نسب الزواغة إلى بطون البرابرة البتر، ومواطن المشيخة هذه فهي تشمل ميلا في كل من باينان وأراس وتسالة. ينظر: طالي معمر سميرة وموساوي القشاعي قلة: **أولاد عز الدين حكام مشيخة الزواغة**، مجلة **البحوث التاريخية**، المجلد 08، العدد 01، 27 جوان 2024. ص269.

³ Rinn : **ibid**, pp 93–99.

وينظر: التمايلي: **المرجع السابق**، ص125. وينظر أيضا: عباد: **المرجع السابق**، ص298.

بني فوغال الجبيلية الممثلة من قبل عائلة بن حبيلس وبني قايد جيجل أو دار البطاح.
زاوية مولاي الشقفة وأولاد قاضي.

مشيخة بلزمة والتي تدخل ضمن سيادة أجواد أولاد بوعون وعرب الغرابة لببيت بن قانة وهي
من القبائل الصحراوية التي تحالفت مع شيخ العرب بن قانة.

أولاد الحاج امدوكال الصحراوية وهي في خدمة سي مقران الحاج سنة 1830.
زاوية الطولقة بمنطقة بسكرة، وهي في خدمة سي علي بن عمور مقدم الرحمانية سنة
1830.

مشيخة الحنانشة الرسمية ومشيخة المزولة بمنطقة القالة والتي يقودها أولاد دياب والتي
قدّمت ضريبتها السنوية للحنانشة إلى غاية 1826¹. وهنا يمكن القول أنّ القبائل الحليفة
عددها أكثر من قبائل الرعية وكانت من القبائل المحظية لدى السّلطة.

3. 4 القبائل الممتنعة-المستقلة- ببابليك الشرق:

اتحاد النمامشة.²

لالا خديجة ذات الأصول الأمازيغية ببلاد القبائل وهي تجمع خمسة أعراش متحدة فيما
بينها وهي: آيت يلا، إيمشالان ماعدا بني خليف وبني براهيم، آيت أوعكور، بني كاني،
آيت مليخوش.³

بجاية وهي قبائل أمازيغية نجدها في الطرف الأيسر لواد الساحل (الصومام)، وقد ضمت
17عرشا وهي: آيت سيدي أقبو، إسمالين، آيت كسيلة، آيت يحيى أويوسف، آيت أومالك

¹ Rinn: **op.cit**, pp 101-99.

وينظر أيضا: عباد: المرجع السابق، ص ص 298-299.

² Rinn: **ibid**, p125.

وينظر: عباد: نفسه، ص 299.

³ Rinn: **ibid**, pp102-105.

تاسديمت، آيت عمور، آيت سعيد، غبوشة، إكسيلان، توجة، بني منصور، طفرة وأولاد سيدي موسى أوإدير، فنّايا، آيت أحمد، إيزرخاوان¹.

بوسلام وهي من القبائل الأمازيغية وقد شكّلت اتحاد لمجموعة من الاتحادات القبلية مثل اتحاد قبائل بني يادل ومن بينها جنتة وأولاد هالة وأولاد سيدي إدير، واتحاد قبائل بني يالا القبولة ومن بينهم نجد تيمنقاش ومغاربة، واتحاد قبائل بني ورثيلان التي من أبرزها أولاد الحاج وفريحة وأولاد أحمد، واتحاد العرش، واتحاد زاوية أولاد سيدي الجودي وقبائل أولاد نابت، واتحاد ساحل البابور القبلي، واتحاد الجابرة أو أولاد عبد الجبار، واتحاد بني أوغلي، وايمسيسن، آيت ملول، آيت بوعيسي، آيت ورتزأو علي، بني أحمد، بني حسين اتحاد آيت اسماعيل، اتحاد بني سليمان، وبني تيزي. قبائل البابور وتابابور وقد حوت 18 قبيلة ومن أبرزها آيت فلكاوي، بني مراي، أولاد صلاح، إتحاد عموشة، جرمونة و دهمشة، أهل بابور، أهل تابابورت، بني صغوال، بني بويوسف، بني أورزدين، بني ياجيس، بني عمران جبالة، بني عمران سفلية، بني خطاب غرابة، بني عفور، جملة، بني سيار. وكذلك ساحل جيجلي ومنطقة القبائل الصغرى ونواحيها، وقبائلها كل من دار البطاح، اتحاد العوانة، بني معمور، أولاد بلافو، بني صلاح، لجناح، بني حبيبي، أولاد عسكور، بني فتاح، بني عيشة، أولاد علي، طايلمان، أولاد عواط، اتحاد قبائل أولاد عيدون، مشاط، جبالة وبني مسلم، بني بلعيد، بني فرقين، عشائش، أولاد مبارك، بني قايد، بني صبيحي، بني تليلان، بني عولبين، أولاد الحاج، بنب توفوت، مجاجة، بني إسحاق، أولاد عطية، عويشاوة ريفية، أولاد حميداش، أولاد مازوز، عشائش عرب سيدي عاشور، القل، بني صلاح عين تابية، ولاد خيزور، ولاد نوار، بني بونعام، تعابنة، زرامنة، مسالة، بني بشير، عرب سكيكة، اتحاد زرديزة².

¹ Rinn: op.cit, pp102-130.

² Loc.cit.

قبائل أيدوغ وتضم تجمعات قبلية بين قبائل صغيرة، ومشixات، واتحادات قبلية أبرزهم بني محمد، بني غويشة، سوناجة، عرب عوين، عين عبد الله، بني قسام، عويشاوة، تريات، أولاد عطية وبني صلاح.

مشيخة الحنانشة الوراثية التي تتشكل من 15 أو 16 مجموعة كونفدرالية. مشيخة الدير وهي كونفدرالية تحت سيادة عائلة أولاد سيدي يحي بن طالب. اتحاد شيابنة.

أولاد ناصور وأهل شفية. واتحاد نهاد والمشيخة¹ الوراثية أولاد مهدي. الحوامد أو رومانة وأولاد دراج الشرافة ببريكة. سوامنة وبوسعادة.

شرفة الهامل وأولاد سيدي براهيم ببوسعادة.

أولاد علي بن صبور ونقاوس وأهل بني فرين.

كونفدرالية أولاد سلطان ببلزمة.

أولاد سلام وإتحاد أولاد زيان بأمدوكال.

شاوية بلزمة وشاوية بوعريف.

أولاد سيدي يحي بن زكري وهم مرابطين أشراف.

الإقطاعية المرابطية لسيدي بلعباس إلى منعة ومدينة أولاد العربي ومشيخة أحرار الأوراس.

زاوية سيدي العربي وزاوية خنفة سيدي ناجي².

¹ المشيخة: مؤسسة لها وظائف سياسية وإدارية وكذلك اجتماعية، يكون على رأسها شيخ يتزعمها، والذي يجب أن يتوفر على مجموعة من الشروط، وأبرزها الخلق الحسن والعقل الراجح، كما يجب أن يكون من أعيان القبيلة، ومن خلال ذلك يكسب مكانة وسلطة بين القبائل التي هي تابعة له من حيث الإشراف عليها. ينظر: طالي معمر وموساوي: المرجع السابق، ص 267.

² Rinn: op.cit, pp102-130.

اتحاد جبل شّار. وبيت بوعكّاز أجواد الذواودة وأولاد صّاوله بقيادة عائلة بوعكّاز شيوخ العرب، ويشكّل بيت بوعكّاز إحدى الاتحادات الرئيسية المستقلة ببابليك الشرق، حيث يمتد نفوذها في الصحراء بين خنقة سيدي ناجي والدوسن، وخصوصا على مجموعة قبائل الزيبان (الزاب الشرقي، الزاب البسكري، الزاب الظهري، الزاب القبلي، أولاد جلال، شمال واد ريغ، وجنوب غرب الأوراس)، اتحاد أحمر خدو واتحاد السوافة¹.

امارة بني جلاب² الوراثية بتقرت تحت إمرة قرى وادي ريغ وهم في حلف مع عرب الغرابة وتشكّل هذا الاتحاد من خمس قيادات كالتالي³:

القيادة الأولى: قرى إقليم توقرت (توقرت، نزلة، تبسبت، زاوية سيدي العابد).

القيادة الثانية: قرى اقليم الموقار (مقارين وهريهيرة والقصور وسيدي سليمان وغمرة).

القيادة الثالثة: قرى وغلانة (سيدي عمران وسيدي يحي وتيكديدين وجامعة وأورلانة ومازر وزاوية رياح وتيندلة البرد).

القيادة الرابعة: وضمت قرى تمرنة القديمة والجديدة وسيدي راشد وبرام.

القيادة الخامسة: واشتملت على مراير أورير سيدي خليل واتحاد أولاد مولات واتحاد أولاد سايح و زاوية تاملاحت بتماسين.

¹ Rinn: **op.cit**, pp102-130.

² بني جلاب (1450-1854م): أسرة تزعمت صحراء البابيك مع أسرة بوعكّاز الذواودة، وقد شملت الإمارة معظم الأراضي الصحراوية من منطقة تقرت وتماسين إلى منطقة وادي سوف، وفي نهاية الحكم العثماني أصبحت تشمل مدينة تقرت وأحوازا نتيجة النزاعات الداخلية بها. ينظر: معاشي: **الأسر المحلية الحاكمة في بابيك الشرق...**، المرجع السابق، ص 65، وللمزيد ينظر: بن عون محمد الحاكم: **أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة (1336-1403هـ/1918-1982م تقديم وتحقيق، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص علم المخطوط العربي، إشراف إبراهيم بكير بحاز، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2010-2011م، ص ص 102-126. وينظر أيضا: عمراني معاذ: منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال الفرنسي 1854-1962م دراسة سياسية، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف لزهري بديدة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2 بوزريعة، السنة الجامعية 2015-2016م، ص ص 44-47.**

³ Rinn: **ibid**, pp120-130.

ومن خلال هذه القائمة حول القبائل الممتنعة نجدها منتشرة في معظم مناطق البايك، وهي قبائل تواجدت في مناطق جبلية تضاريسها صعبة أو في مناطق نائية بعيدة عن مدينة قسنطينة، لذلك لم تتمكّن السلطة العثمانية من إخضاعها. وحسب لويس رين يكون عدد القبائل الجزائرية ببايك الشرق وذلك بالنظر إلى طبيعة علاقتها بالسلطة كما يلي¹:

نوع القبائل	عددها في بايك الشرق
-قبائل مخزنية: *قبائل محاربة	25
*أخرى	22
-قبائل الرعية	14
-قبائل متحالفة	25
-قبائل ممتنعة/ مستقلة	138
-مجموع القبائل الجزائرية	224

ونستنتج من خلال هذا الجدول أنّ أكثر من نصف عدد قبائل البايك كانت ممتنعة؛ ويرجع السبب في ذلك لتحصّنها بموقعها الجغرافي المتميز بصعوبة تضاريسه أو بُعد المسافة عن السلطة، فتمتعت بنوع من الاستقلال، في حين نجد قبائل الرعية هي الأقل عدداً وتعتبر الحلقة الأضعف من بين القبائل، كما نستنتج أنّ السلطة العثمانية لم تثبت سيطرتها الكاملة على جميع القبائل، فأكثر من نصف القبائل ممتنعة عنها.

وقد اختلفت الاحصائيات بين الباحثين حول عدد قبائل بايك الشرق، فنجد لويس رين أكدّ بأنها مئتان وأربع وعشرون (224) قبيلة في مجموعها كما ورد في الجدول السابق الذي وضعناه ولعله الأصح، في حين أشار ناصر الدين سعيدوني أنّ عدد قبائل هذا البايك قرابة ثلاثمئة واثنان وسبعون (372) قبيلة وهم يتوزعون على ستمئة وسبعة وستين (667)

¹ Rinn: op.cit, p130.

دوّاراً¹، بينما نجد الباحث علي خلاصي أكّد أن مجموعها مئة وخمسة وستين (165) قبيلة²، ومن جهة أخرى فحسب الباحثة فلّة موساوي القشاعي فإن مجموع القبائل ببابيك الشرق والتي تدفع الضرائب هو مئة وواحد وخمسون (151) قبيلة فقط³. ولعلّ هذا الاختلاف بين الباحثين مرده إلى صعوبة حصر هذا العدد نظرا للمجال الجغرافي الكبير للبابيك، أو يعود ذلك إلى الأحداث التي شهدتها القبائل كاتحاد بعضها أو العكس.

خلاصة الفصل:

من خلال هذا الفصل تبين أنّ بابيك الشرق في الفترة الممتدة من بداية عهد الدايات 1671م وحتى سقوط عاصمته ظلّ من أكبر بابلكات إيالة الجزائر و أغناها من حيث الثروات، فقد تميّز بامتداده الجغرافي الواسع من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، وهذا ما أكسبه أهمية خاصة جعلت السلّطة العثمانية تقيم عليه ممثلين لها يعملون من أجل فرض سيطرتهم الكاملة عليه بشتى الطرق والأساليب، فقد تنوعت أجهزة الحكم فيه ما بين الإدارية والشرعية، و إلى جانبها مختلف الوحدات العسكرية والهدف من هذا إقرار سلطة البابيك بالمنطقة، كما عاش أوضاعا مختلفة كان لها الأثر البارز في جميع مناحي الحياة.

ومن جهة أخرى وجدنا أنّ هناك مجموعة من القبائل الجزائرية في هذا البابيك؛ وهي من أصول عربية وأخرى أمازيغية، تعدّدت أنواعها ولكن كان لعامل علاقتها بالسلّطة العثمانية الأثر البارز عليها، ممّا تشكّل لدينا أربع مجموعات تأرجحت علاقتها بالسلّطة ما بين التواصل والولاء من جهة، والقطيعة والتمرد من جهة أخرى.

¹ سعيدوني ناصر الدين: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويلييه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، ط 2، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص372.

² خلاصي: المرجع السابق، ص235.

³ موساوي: المرجع السابق، ص219.

الفصل الثاني:

التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية ما بين 1671-1837م.

تمهيد.

المبحث الأول: سياسياً وعسكرياً.

المبحث الثاني: اقتصادياً.

المبحث الثالث: اجتماعياً.

المبحث الرابع: ثقافياً.

خلاصة الفصل.

تمهيد:

اعتمدت سلطة بايلك الشرق سياسات مختلفة بهدف ربط علاقة جيدة مع القبائل المحلية به، وتضمن استمرارها، والتي تبرز علاقة التواصل والولاء بين السلطة والقبائل المحلية في أكبر بايلاكات الجزائر؛ ألا وهو بايلك الشرق المتميز طبيعياً وبشرياً، ففي هذا الفصل تم الإشارة إلى مختلف تلك السياسات التي أظهرت طبيعة العلاقة بين السلطة ورعايتها خلال الفترة الزمنية المدروسة، التي تعتبر من أقوى فترات حكم العثمانيين في الجزائر وأخطرها، خاصة أيام الحملة الفرنسية على الجزائر وسقوط العاصمة، وبقاء آخر بايات الشرق الجزائري رافعاً راية الدولة ومستميتاً من أجل الصمود والمقاومة.

ففي المبحث الأول تم التطرق إلى أهم مظاهر التواصل والولاء على المستويين السياسي والعسكري لإبراز طريقة السلطة في استخدام سياسة الرفق والمرونة مع القبائل، والعمل على استخدامهم فيما يخدم مصالحها، وأيضاً بعض مظاهر التواصل للقبائل مع السلطة ودعمها في مختلف الظروف.

وكذلك الحال بالنسبة لبقية المباحث التي تم التطرق فيها إلى المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك لاستخلاص طبيعة العلاقة بين السلطة والقبائل الجزائرية والخروج برؤية واضحة تخدم الموضوع المعالج، ويفهم من خلالها فترة هامة مرت على تاريخ الجزائر الحديث.

المبحث الأول: سياسياً وعسكرياً.

1. التواصل وكسب الولاء:

حافظت السلطة العثمانية على روح العلاقة التي تربطها بشيوخ القبائل الجزائرية ببابيك الشرق أثناء عهد الدايات وحتى سقوط عاصمة هذا الإقليم، تلك العلاقة التي بنتها منذ مجيئها إلى الجزائر، فجعلت من رؤساء القبائل محور العلاقة بينها وبين السكان، لذلك عملت على كسب ولائهم بأي طريقة كانت حتى تضمنهم لصفها.

فقد تحالفت السلطة مع شيوخ القبائل لكسب ولائهم، وضماناً لاستقرار أحوال البابيك¹، وبهذا أشرفت العائلات الكبرى الحاكمة على جلّ القبائل الجزائرية في بابيك الشرق، وتقاسمت قيادتها وكانت تبدّل ما بوسعها لدعم البايات في هذا الإقليم². ومن أجل كسب ولاء القبائل كانت السلطة العثمانية تنتقي بايات الشرق الجزائري من العائلات المؤثرة والمرموقة في البابيك، غير أنّه منذ سبتمبر 1681م غيّرت السلطة هذه السياسة، فصارت تختارهم من بين العائلات العثمانية أو من صفوف المليشيا في البابيك تكريساً للسيطرة العثمانية على إدارة الإقليم، وقد أدى إلى تهميش القوى المحلية الفاعلة في المنطقة³.

¹ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بابيك الشرق...، المرجع السابق، ص35. وينظر: معاشي جميلة: الإنكشارية والمجتمع ببابيك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، إشراف كمال فيلاللي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص100.

² فركوس صالح: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007، ص47.

³ فايس: مرجع سابق، ص105.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وقد عملت السلطة العثمانية على البقاء في تحالف مع شيوخ القبائل الجزائرية ببابيك الشرق لكسب ولائها ولضمان استقرار أحوال البابيك¹، ومن التحالفات البارزة في بابيك الشرق بين السلطة والأسر الكبرى نجد التحالف مع أسرة بوعكاز² الذواودة، والتي عُرِفَتْ بنفوذها البارز في البابيك طيلة حكم العثمانيين للإيالة، وبفضل هذه الأسرة تمكّنت السلطة العثمانية من توسيع نفوذها جنوب البابيك³.

و إلى جانب تلك الأسرة نجد أنّها قد تحالفت أيضًا مع أسرة أحرار الحنانشة، الذين كانت لهم الغلبة في الحدود الشرقية للبابيك، فداومت السلطة العثمانية على المحافظة على تحالفها معها، وبذلك كسبت ولاءها، وجعلت منهما حكامًا فعليّين على الأراضي المسيطرين عليها، وكلاهما يلبسان خلة الولاية بعد الباي نظرًا للمكانة التي حظيا بها⁴، وهذا ما أشار إليه شارل فيرو حول أحرار الحنانشة⁵، كما أشار لويس رين إلى التحالف هذا بقوله: «...كان بعضهم أقوى بكثير من البايات... وكان تحالفهم مكلفًا للغاية... شيخ العرب من بيت بوعكاز وشيخ الحنانشة والعديد من الآخرين»⁶.

لذلك أصبح كل من أسرة بوعكاز الذواودة وأحرار الحنانشة بفضل هذا التحالف والتقارب جزءا هاما من قوات المخزن بالبابيك، حيث وصل عددهم في كثير من الظروف إلى 10000 فارس، ناهيك عن الجنود المشاة. كما استقادت السلطة العثمانية من تحالفها

¹ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بابيك الشرق...، المرجع السابق، ص35. وينظر: معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، المرجع السابق، ص100.

² عائلة أولاد بوعكاز: من العائلات النافذة "الجوّد" التي كانت سلطتها تغطي مناطق شاسعة من الشرق الجزائري، وبفضلها تمكّنت السلطة العثمانية من نفوذها على جهات عديدة في البابيك. ينظر: موساوي: المرجع السابق، ص 190.

³ معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، نفسه، ص101. وينظر: رحموني: المرجع السابق، ص260.

⁴ معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، نفسه، ص101.

⁵ Féraud: *Les Harar ...*, op.cit, p23.

⁶ Rinn: op.cit, p5.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

العسكري مع أسرة المقراني أسياد منطقة مجانة أيضا، والذي يعتبر من التحالفات القديمة لها، وجعلتهم قوات مخزنية تساهم في استتباب الأمن وجمع الضرائب، وهم بذلك يقرّون بالسلطة العثمانية ويمثلونها في الإقليم¹. وهنا لا نفوتنا ضرورة الإشارة إلى أنه من أجل كسب ولاء شيوخ أسرة بوعكاز، عملت السلطنة العثمانية على التقرب منهم عن طريق الهدايا بمناسبة توليتهم على المشيخة وإرسال قفطان التعيين لهم، كما سمح لهم برفع الأعلام وقَرع الطبول، وهذا حتى يتمكّن الباي من التدخل في شؤون هذه الأسرة، وأول من مارس ذلك الباي أحمد القلي² 1169-1184هـ/1756-1771م³.

زيادة على هذا فكَرَّت السلطنة العثمانية - من أجل ضمان الهدوء في بعض القبائل المعروفة بكثرة تمرّداتها - في تعيين شيوخ عليها يكونون من المنطقة نفسها، وهذا ما ترجمه مثلا تعيين الشيخ إدير على أولاد عبد النور بعد سنة 1700م، لكنه لم يوفّق في مسعاه، ليتّم استبداله ببلقاسم بن علي، إلا أنه قُتل من قبل رجال قبيلته الذين غاروا منه بسبب انتصاراته المتتالية على القبائل المجاورة⁴، وكلّ هذا من أجل استتباب الأمن وكسب ولاء القبائل.

وقد تمكّنت السلطنة العثمانية من كسب ولاء شيوخ القبائل عن طريق تقديم بعض الامتيازات والترصيات لهم، وبذلك جعلتهم متعاونين معها، ومن أمثلة ذلك تعاون شيوخ العائلات الإقطاعية بمنطقة جيجل وبجاية مع السلطنة العثمانية في إطار ما يسمى نظام

¹ معاشي: الإنكشارية والمجتمع ...، المرجع السابق، ص 101-102.

² الباي أحمد القلي: تولى منصب أغا بالقل لذلك سمّي بالقلي، وقد صاحب الباي زرق عينو في حملته على الكاف وتونس، أصبح بابا على الشرق الجزائري من 1756م وحتى 1771م، كان له العديد من الحملات على القبائل العاصية، وقد كان محبوبا بين سكان مقاطعته. ينظر: بن العنري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 61.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص 287.

⁴ شكري معمر رشيدة: قبيلة عبد النور بالجزائر بين العهد العثماني والاحتلال الفرنسي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، المج 09، ع 01، جوان 2023، ص 716.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

الكراسة¹، ولعلّ من أهم تلك العائلات آل المقراني بمنطقة القبائل الصغرى، وقد تسبّب ذلك في إتلاف عدد لا يحصى من أشجار غابات المنطقة سنة 1781م²، ومن بين الترضيات المقدّمة لهم مجموعة من الأغنام والأبقار، حتى يتّمكن الرجال القائمون على إيصال الدنوش إلى دار السلطان بالمرور عبر أراضيهم بأمان³.

ومما يبرز تقاني السلطة في كسب ولاء القبائل، هو تعاملها الإيجابي مع القبائل المتمردة بعد إخضاعها، حيث يُستقبل شيوخها بحفاوة ويُرد إليهم ما سلب منهم بهدف إعطاء تصوّر لها بأن استعمال القوة عليها كان بهدف تأديبها فقط، وإرجاعها إلى جادة الصواب في علاقتها معها⁴، فأحمد باي 1826-1837م مثلاً تمكّن من إرجاع النّمامشة الذين عُرفوا بتمرداتهم المستمرة على السلطة الحاكمة، ودليل ذلك إظهارها للإخلاص له وتعاملهم الحسن والودي معه، كما أصبحت تدفع الضرائب المستحقة له⁵.

ومما يوضّح ولاء الشيوخ للسلطة العثمانية سعيهم للحفاظ على العلاقة الجيدة التي ربطتهم بحكام البايك⁶، وهذا ما أنتج تقارباً كبيراً بينهما خدمة لمصالح الطرفين، ومن أمثلة ذلك قبول السلطة العثمانية بالبايك بمؤالاة محمد بن جلاب لها سنة 1804م مدّة 18 عام بعد أن قتل الخازن بن جلاب وإبراهيم بن جلاب إلى أن توفي عام 1822م، الذي لم يبخل

¹ الكراسة: كلمة تركية تعني عموماً مادة الخشب، وهي في الجزائر العثمانية عبارة عن مصلحة مهمتها تأمين الخشب لبناء السفن. ينظر: لعريبي: مرجع سابق، ص 189. وينظر:

Féraud Charles: **Histoire des villes province de Constantine, Bougie**, typographie et lithographie L. Arnolet, Constantine, 1869, p205.

² سعيدوني، بوعبدلي: مرجع سابق، ص 60.

³ موساوي: المرجع السابق، ص ص 179-180.

⁴ خوجة: المصدر السابق، ص 73.

⁵ فركوس: المرجع السابق، ص 45.

⁶ وولف: المرجع السابق، ص 394.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

عليهم بخدماته الجليلة، وإرساله للكثير من الهدايا في بعض الأوقات¹. كما كسب أحمد باي 1826-1837م ولاء هذه العائلة وأصبحت من المخلصين له بسبب ارتباطها بعلاقة مصاهرة مع عائلة بن قانة، لذلك حظيت باهتمام أحمد باي 1826-1837م، بعدما كان يعاملها صالح باي (1771-1792م) بسياسة الندّ للندّ، وهذا ما جعله لا يتحصل على الضرائب المستحقة منها². ومما يؤكّد ولاء بعض قبائل بجاية هو استقبالهم المُميز لبحارة اعتقدوا أنّهم من الإنجليز، كانوا قد رسّوا بالساحل نظراً لحالة الجوّ الرديئة والتي غيرت وجهتهم من الجزائر العاصمة وقت الحملة الفرنسية لاحتلال الجزائر نحوهم، وكان سبب ذلك الاستقبال أنّهم على علم بالعلاقات الودية الجيدة التي ربطت داي الجزائر بهم، فبعثوا له عنهم إلا أنّهم في نهاية الأمر عرفوا بأنهم فرنسيين فقتلوا نصفهم أما الباقي فأرسلوهم لدار السلطان للنظر في شأنهم³.

ومما يبرز سعي السلطنة العثمانية لكسب ولاء سكان البايك بمختلف الطرق، هو التواصل بينها وبين سكان بايك الشرق، وكذلك القبول بشكاوى الأهالي من أفعال البايات المشينة، ككثرة القتل والنهب والسلب، فحرصت على تغيير ممثل السلطة في الإقليم، إما بإصدار أمر بالقتل أو بالعزل⁴، ومن أمثلة ذلك إصدار باشا الجزائر أمراً بقتل دالي باي⁵

¹ الزبيري: المرجع السابق، ص 33.

² فركوس: المرجع السابق، 2007، ص 52.

³ بفايفر سيمون: مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص 64.

⁴ فايس: مرجع سابق، ص ص 105-106.

⁵ دالي باي: حكم البايك ما بين 1676م و1679م، أشتهر بكثرة القتل، وأخذ أموال السكان بالباطل مما جعل السكان يشكون به إلى الحكم المركزي بالعاصمة. ينظر: بن العنثري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 49.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

سنة 1090هـ/1679م وتنفيذه فوراً¹، وعزل صالح باي² نظراً لكثرة الشكوى حوله³، غير أن هناك من يرجع ذلك تخوف السلطنة من قوته و مدى سيطرته على البايك، في حين هناك من يرجع سبب عزله ومقتله لمجموعة من العوامل كتعارض موقفه السياسي من موقف حسن باشا الداوي الجديد حول مسألة تصدير الحبوب لفرنسا، وهناك من يرجع ذلك لأسباب أخرى⁴.

ومما يبين ولاء سكان قسنطينة للسلطنة هو عدم وقوفهم إلى جانب صالح باي بعد عزله من قبل باشا الجزائر⁵، ومن مظاهر التواصل أيضاً نجد استطاعة أحمد باشا⁶ الجزائر (ت 7 نوفمبر 1808م) كسب ولاء القبائل الجزائرية في بايلك الشرق التي خرجت مدعمة لتمرد أحمد شاوش القبائلي⁷ (1223هـ/1808م) بعدما نصب نفسه باياً على الشرق، وشرع في التحضير لحملته على دار السلطان ليظفر بمنصب باشا الجزائر بمساندة من المليشيا العثمانية المتمردة بقسنطينة؛ وذلك عن طريق الرسالة التي بعثها لهم، فتم الخضوع له، وأرادوا قتال المليشيا إلا أنهم وجدوهم على علم بتلك الرسائل التي قد وجهت لهم

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 49. وينظر: فايس: المرجع السابق، ص 106.

² صالح باي: أحد أبرز بايات بايلك الشرق حكم ما بين 1771م و1792م، كان له العديد من الإنجازات العسكرية والاقتصادية والثقافية والإدارية. للمزيد ينظر: أبو عمران الشيخ وآخرون: معجم المشاهير المغاربة، ط1، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص 311-315. وينظر أيضاً سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص 333-339.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، الهامش ص 65.

⁴ قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة في عهد صالح باي، ط1، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص 136.

⁵ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 66.

⁶ أحمد باشا: أحد دايات الجزائر، حكم عاما واحد ومات شقفا. ينظر: الزبيري: المرجع السابق، ص 234.

⁷ أحمد شاوش القبائلي (1223هـ/1808م): أحد بايات الشرق الجزائري من الأصل تركي، دامت مدة حكمه 15 يوماً فقط، تمرد وأراد التوجه نحو الجزائر لينصب نفسه باشاً على الإيالة، إلا أنه فشل في مسعاه. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 77-78. وللمزيد ينظر: شعيب محمد المهدي بن علي: أم الحواضر بين الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)، تح وتوق سفيان عبد اللطيف، ج2، ط1، دار الروح للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص 345-349. وأيضاً: الزبيري: نفسه، ص 30-31.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

أيضا، فمشوا في المؤامرة ضد أحمد شاوش (1223هـ/1808م)، وأوهموه بدعمه إلى أن تمّ القبض على هذا المتمرّد وذبحه¹. وهنا ندرك أنّ بعض القبائل الجزائرية انخدعت بكلام المتمرّدين ومشت مع تطلعاتهم، غير أنّها تتفطن ورجّحت موقف الولاء للسلطنة العثمانية خوفاً من انعكاسات ذلك عليها.

ومما يثبت استمرار ولاء قبائل المخزن في بايلك الشرق للسلطنة العثمانية هو الاعتراف بموالاته البايع الجديد المنصب من طرف السلطنة المركزية، وعدم الركون إلى ممثل السلطنة السابق، وخير مثال على ذلك هو إجابة الدائرات وكافة القيّاد بقومهم لأول نداء من البايع الجديد القارة مصطفى 1818م²، والإسراع بالوصول إلى معسكره، ومشاركتهم في التوجّه معه إلى مدينة قسنطينة للقبض على تشاركر باي 1814-1818م³ المتشبّث بالحكم، وهناك اختار الأهالي الوقوف إلى جانب البايع الجديد، وكان ذلك بداية سنة 1223هـ/ 1818م، وبفضل ذلك تمّ تنصيبه ليصبح بايّا للبايلك⁴.

وما يمكن الإشارة إليه هنا هو أنه عند تولّي البايات حكم الإقليم لجؤوا إلى إحداث تغييرات شتى لإبعاد المقربين للبايع السابق من القصر وجميع من كانت له علاقة به، خاصة أعضاء المخزن، فكثيرا ما ينصب أعضاء مخزنه من قياد القبائل التي تواليه، وخير مثال على ذلك تغيير البايع أحمد باي المملوك⁵ (1223هـ/ فيفري 1818م)

¹ فايست: المرجع السابق، ص 226-228.

² قارة مصطفى باي (جانفي 1818م): أحد بايات بايلك الشرق حكم مدة 30 يوما فقط من أصل تركي أمر باشا الجزائر بقتله فمات. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 85.

³ تشاركر باي: هو محمد شاكرك باي من أصول تركية، عرف بأنه رجل شديد البطش، ويغلب عليه الصلابة في التعامل، وأخذ أرزاق الناس بالغزو وسفك دماءهم بالحق والباطل. للمزيد ينظر: نفسه، ص 81-85، وموساوي: المرجع السابق، ص 78.

⁴ فايست: نفسه، ص 253.

⁵ أحمد باي المملوك (فيفري 1818م): أحد بايات بايلك الشرق من الأصول غير التركية، حكم مدّة 6 أشهر ثمّ تمّ عزله من قبل حسين داي ولم يقتله. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 85.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

لتشكيلة مخزنه حيث نصّب الحيّوني قايد التلاغمة وسليمان قايد أولاد عبد النور وتوقيف أولاد بن زكري من وظائفهم وأرسلهم إلى الحج بأمر من الداوي حسين بالجزائر¹.

ولكسب الولاء طبّق أحمد باي (1826-1837م)² سياسة اللّين على القبائل الخاضعة، والتي لم تكن تهتمّ بها السلطنة العثمانية في البايك إلا نادراً، وبفضلها ضمن تأييد قبائل المخزن له كالتلاغمة وأولاد عبد النور وأولاد سيدي عبيد، هذه الأخيرة التي حظيت بمكانة معتبرة في عهده لم تتلها من قبل³. فالسلطنة العثمانية تأكّد لها أنّ استعمالها لسياسة التسامح واللطفة بدل القوة في كثير من المرات مع القبائل القوية سمح لها بالسيطرة على زمام الحكم مدّة فاقت 3 قرون، وخير مثال على ذلك أحمد باي 1826-1837م الذي استطاع بفضل حنكته واستحقاقه أن يجمع أموالاً طائلة له عن طريق ارتباطاته بمختلف القبائل الجزائرية⁴. فقد كان همّ أحمد باي 1826-1837م استقطاب القبائل، خصوصاً العائلات الكبرى بهدف تأييده ونصرته، وقد كان لهذه السياسة الأثر الإيجابي البارز على البايك اقتصادياً واجتماعياً⁵. ومن بين العائلات التي حاول أحمد باي 1826-1837م كسب ثقتها نجد أسرة أولاد مقران، والتي كانت خاضعة للباييك، وتلتزم بدفع

¹ فايس: المرجع السابق، ص ص 257-258.

² أحمد باي: أحمد بن محمد الشريف بن أحمد القلي آخر بايات الشرق الجزائري، ينتمّي إلى جماعة الكراغلة، تولى مهام عدة أبرزها قائد العواسي، استطاع تولى أمور البايك بفضل خبرته ودهائه، أولى عناية خاصة بالحاميات العسكرية، كما أخضع العديد من القبائل العاصية، شارك في الدفاع عن العاصمة، كما واجه المخططات الفرنسية الهادفة إلى احتلال الشرق الجزائري. للمزيد ينظر: شلوصر فندلين: قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، تر وتوق أبو العيد دودو، ط خ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 29. وأيضاً: شعيب محمد المهدي بن علي: المصدر السابق، ص ص 448-462. وأيضاً ينظر: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص ص 369-377.

³ فركوس: المرجع السابق، ص 46.

⁴ خوجة: المصدر السابق، ص 89، 135.

⁵ فركوس: نفسه، ص 45.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

ضربيتها كل سنة، وهو بدوره يعين ممثلاً منها للمشايخ بالمنطقة، لذلك نجده يساندها بالرغم من وجود بعض المعارضين له من بين أفرادها على حكمه¹.

وقد استطاعت السلطنة العثمانية بفضل سياسة كسب ولاء الشيوخ أن تضمن استقرار العلاقة بينها وبين ممثلي القبائل في مختلف الظروف، ومن بين مظاهر ذلك نجد أن أحمد باي 1826-1837م عند وصوله إلى قسنطينة لم يتمكن من دخولها بعد سقوط العاصمة سنة 1830م إلا بتدخل محمد بلحاج بن قانة، إذ اعتُبر من الشيوخ الأوفياء له²، وقد حاصر أولاد عبد النور لأحمد باي في طريق عودته من العاصمة سنة 1830م، فلولا آل بن قانة - نظراً لعلاقة النسب التي ربطته بهم لا علاقة الود والاحترام التي جمعتهم بمعظم القبائل - الذين ناصروه وحَمَوْه بالإضافة أحلافهم من القبائل المجاورة لهم كالـبوازيد ورَحمان والصّحاري الذين يرجع الفضل لهم لما استطاع استرجاع حكمه³، فقد أعاد محمد بن قانة إلى حكمه وأعاد مبايعته، كما أعَدَم أحمد كل المتآمرين عليه وتمكّن من جمع شمل القبائل الجزائرية وأسس مجلساً لهم للشورى، وانطلق في مقاومة الاحتلال وقد تألف جيشه حينها من القبائل الجزائرية فقط⁴.

ولا تفوتنا هنا الإشارة أيضاً إلى ما قام به أعيان قسنطينة إذ بعثوا برسالة إلى ديوان تونس بعد تحريضهم لهم على أحمد باي 1826-1837م، الذين أكّدوا فيها على رضاهم التام بحكمه⁵، خاصة وأنّه قد كسب من السلطان العثماني التأييد المعنوي ولقب الباشا⁶.

¹ فركوس: المرجع السابق، ص 50.

² عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ - الجزائر عامة -، ج 1، ط 1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 313.

³ حرز الله محمد العربي: منطقة الزّاب مئة عام على المقاومة 1830-1930م، ط خ، دار السبيل، الجزائر، 2008، ص 66.

⁴ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج 1، نفسه، ص 313.

⁵ نفسه، ص 313، 314.

⁶ فايس: المرجع السابق، ص 291. وينظر: عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج 1، نفسه، ص 313، 314.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

فيتضح لنا من خلال هذا التحرك مدى تمسك القبائل الجزائرية بممثلي السلطة العثمانية وولائهم له، وإرادتهم في عدم تدخل أطراف خارجية تنقص من سيادة الدولة على أراضيها المتبقية حينها، ورفضهم للخروج عن طاعتهم.

هذا وقد وجدت السلطة العثمانية نفسها مرغمة على التعامل برفق ومروءة مع القبائل الجزائرية عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر بهدف ضمان ولائها، وحاجتها لهم في هذه الحرب، فأصدرت أوامر تقضي بعدم إهانتها، وهذا ما يؤكده سيمون بفايفر في مذكراته¹. وهذا دليل واضح يقرّ بمساندة القبائل للسلطة وتحرك ذكي من هذه الأخيرة لضمان استمرار ولاء أفراد القبائل لها.

ومما يؤكّد تواصل السلطة العثمانية بالقبائل الجزائرية هو إشراك أحمد باي 1826-1837م لقادة قسنطينة وقبائل مقاطعته في المشورة حول رده على رسائل الفرنسيين في التفاوض، وذلك بقوله لحمدان خوجة أنّه ليس وحيداً في هذا البلد، ولا يمكنه التفاوض من تلقاء نفسه، والواجب عليه إشراك قادة المدينة، وقبائل البايك في المشورة لأنه تعود على ذلك قبل أي تحرك².

2. إعانة القبائل الجزائرية للسلطة في حملاتها على الجارة تونس:

لقد كان حضور القبائل الجزائرية ببايك الشرق واضحاً إلى جانب السلطة العثمانية هناك ويتجلى ذلك في مساندتها ودعمها بالجيش، ومن أمثلة ذلك الحانشة، والتي ظلت السلطة العثمانية مدّينة لها في حروبها ضدّ التونسيين في الفترة الأخيرة، حيث قدّم الحانشة مزايا عديدة للسلطة في هذه الحروب³. وأيضاً ما ذُكر عن أهل وادي سوف ووادي ريغ

¹ بفايفر: المصدر السابق، ص 70.

² باي أحمد: مذكرات أحمد باي وحمدان وبوضربة، تح وتقرّر محمد العربي الزبيري، ط1، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص26.

³ Shaw: op.cit, p378.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

والزّاب الذين ساعدوا والي الجزائر عثّي مصطفى في معركته مع والي تونس سنة 1117هـ/1706م، في حين فرّت منه أولاد سعيد وكثير من القبائل الصحراوية، وبذلك كان لأهل سوف والزّاب والذواودة مساندة خاصة في هذه الواقعة¹. وتجهيز الباي بوكمية (1713-1736م) لجيش من قوات نظامية وأخرى غير نظامية من إقليمه، وكان ذلك في 1147هـ/ماي 1735م، وتمكّن من خلالهم الدخول على الأراضي التونسية وإلى جانبهم قوات من دار السلطان²، وحملّة حسين باي زرق عينو (1754-1756م) على تونس سنة 1755م³، حيث شارك شيخ أحرار الحنانشة إبراهيم بن بوعزيز في هذه الحملة وتمكّن من الانتقام لوالده ضدّ علي باشا تونس حيث قتله هو وابنه محمد⁴. كما شكّل الباش أغا المكلف بالشؤون العربية جيشا ضمّ الفرسان والمشاة من القبائل الجزائرية بالبايك للمشاركة في الحملة الزائفة ضد تونس و إلى جانبه الباي بوحنك 1736-1754م، والذي تلقى أوامر بقتله ولقيّ الباش أغا حتفه في الطريق ليرجع هذا الجيش إلى عاصمة البايك⁵. ومما يُظهر مساندة القبائل للسلطة في حروبها على تونس هو تواجد قبائل الزّمول إلى جانب صالح باي 1771-1792م عند الحدود مع الجارة تونس تحضيراً منه لأي حركة عسكرية ضدها، بعد مطالبته بتعويض على ما لحق بتلك القبيلة التونسية المستوطنة على أرض الجزائر جرّاء حملة حسن الكبير، إلا أنّ الطرف التونسي عمل على تهدئة الأمر وقبل بشروط الباي المجحفة والمؤيّدة من قبل باشا الجزائر، وبلغت التعويضات حينها 25 قطعة ذهبية، وتشكيل الباي صالح (1717-1792م) جيشاً كبيراً من النظاميين والمجندين

¹ العوامر إبراهيم محمد الساسي: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع الجيلالي بن إبراهيم العوامر، ط خ، ثالة، الأبيار الجزائر، 2007، ص 247.

² بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 54. وينظر: فايست: المرجع السابق، ص 125.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 59.

⁴ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، المرجع السابق، ص 282.

⁵ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 57. وينظر: فايست: نفسه، ص 132.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

من القبائل سنة 1787م لتوجيه حملته نحو تونس بسبب هروب إحدى قبائل بايلك الشرق إلى تونس والخروج عن تبعيته، وانتهت الواقعة بحل تفاوضي أدل فيه صالح باي 1771-1792م الطرف التونسي¹. وهنا نستنتج أن القبائل الجزائرية المخزنية كانت الأداة الطيعة في يد السلطنة العثمانية توجّهها كيفما تشاء، كما وقّعت العديد من القبائل إلى جانبها في صراعها ضدّ التونسيين خدمة للوطن الأم.

زيادة على ذلك نظّم حسين باي² (1221هـ/1806م) جيشاً ضدّ الجارة تونس³؛ الذي ضم أفراداً من القبائل الجزائرية كأولاد عبد النور⁴، والتي بعثت بجيش قوامه 5000 مجنّد باتجاه قسنطينة، غير أنّه هُزم في معركته الأولى وفرّ نحو منطقة جميلة، لذلك عمل الجيش التونسي على مواصلة التحرك نحو قسنطينة، وبقيت المدينة تقاوم الحصار المضروب عليها مدة 30 يوماً وليلة تحت القصف، ليتدخل باشا الجزائر بإرسال جيش للمنطقة حيث قسّمه قسمين فبعث الأول براً والثاني بحراً إلى عنابة⁵ حتى يقطع على الجيش التونسي المدد ويمنعه من الفرار، وكان النصر حليف الجيش الجزائري، هذا النصر جعل أحمد باشا (ت 7 نوفمبر 1808م) الجزائر بدعمٍ من الباشا أغا يأمر بالتخضير لحملة على تونس، كما أمَرَ بجمع أكبر عدد ممكن من رجال القبائل واستدعى فرق الثوم بالبايلك، ووصل الجيش إلى أبواب تونس شهر جويلية 1807م ليبدأ القتال، وهنا برزت خيانة قائد فرجيوة مصطفى بن عاشور لجيشه الجزائري، فقد كان له اتصالات سرية بباشا

¹ فايس: المرجع السابق، ص ص 157-160.

² حسين باي (1806-1807م): أحد بابايات بايلك الشرق وهو بن صالح باي، وهو من فئة الكراغلة، في أول حكمه كانت الحرب بين تونس وناس قسنطينة، وبسببها تمّ الأمر بقتله مخنوقاً من قبل الباشا بالعاصمة. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص ص 74-75.

³ فايس: نفسه، ص ص 212-215.

⁴ شكري معمر: قبيلة عبد النور بالجزائر...، مرجع سابق، ص 717.

⁵ عنابة: مدينة تقع على الساحل وغير بعيدة عن قسنطينة. ينظر: شلوصر: المصدر السابق، ص 36.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

تونس وتسبب في انسحاب فرق القوم من الجيش الجزائري حيث عمت الفوضى فيه وتشتت الفرسان¹ ومُنِيّ الباي حسين (1806-1807م) والباش الأغا الجزائر بهزيمة ، جعلت الباشا أحمد يأمر بقتل حسين باي². وزَحَف الباي نعمان³ (1226هـ-1229هـ/1811م-1814م) بجيشه من البايك على تونس صائفة 1813هـ مواصلة لسلسلة الحملات على هذه الإيالة⁴.

كما لا ننسى دور فرق القوم من القبائل الجزائرية بباييك الشرق، والتي شكّلت سنداً أساسياً إلى جانب قبائل الزمول والدوائر في الحملات العسكرية ضد تونس، فعند اعتلاء علي باي⁵ 1222هـ/1807م السلطنة اشترط فيه التوجه نحو الجارة تونس لمحو الهزيمة فيمن سبقه مباشرة من البايات، فأمر بجمع الفرسان والمشاة النظاميين، وبدأت تلتحق بمعسكره فرق القوم وقوات قبائل السهول للالتحاق بهذه الحامية وهي تتدفق في كل وقت ومن كل جهة في منظر مدهش لدرجة أن خيامها ملأت كل التلال⁶. ومن هنا نستنتج مدى مشاركة القبائل الجزائرية في جيوش السلطنة العثمانية وتلبيتها نداء الواجب تجاه حكامها.

¹ فايست: المرجع السابق، ص ص212-215.

² بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 75. وينظر: فايست: نفسه، ص ص212-215.

³ محمد نعمان باي (1226هـ-1229هـ/1811م-1814م): أحد بايات مقاطعة الشرق الجزائري من أصول تركية، اشتهر برزاقته وعهده الذي تميّز بالأمان، تسبّب الباش أغا المتولي أمور العرب بالعاصمة في إصدار الباشا أمراً بقتله. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 80.

⁴ فايست: نفسه، ص 233.

⁵ علي باي (1807-1808م): هو علي باي بن يوسف أحد بايات باييك الشرق بداية القرن 19م، وهو من أصول تركية عرف بشجاعته وكونه مهاباً بين القبائل والأتراك، قتل من قبل عساكر قسنطينة. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص ص 76-77.

⁶ فايست: المرجع السابق، ص ص219، 216.

3. مشاركة القبائل بالمجندين لصدّ الهجمات الأوروبية:

سارعت القبائل الجزائرية ببايلك الشرق في دعم السلطنة العثمانية ضد الأخطار الأجنبية التي كانت تحديق بالإيالة، خاصة تلك الحملات الأوروبية أواخر العهد العثماني، فلولا دعم القبائل الجزائرية لها بمختلف فئاتها وأطرافها لأصبحت الإيالة لقمة سهلة للأعداء المتربصين بها.

فقد وجّهت الدول الأوروبية أكبر حملاتها على الجزائر وشعبها، والتي كان من أبرزها الحملة التي أيدها لويس 14 على مدينة جيجل بقيادة وستري، وتمكّنت السلطنة العثمانية من دحرها بمساندة القبائل الجزائرية المستقرة بالمنطقة سنة 1683م¹، وشنّ إسبانيا حملة عسكرية بقيادة دون بيدرو Don Pedro سنة 1770م، و التي تمّ التصدي لها وهي في عرض البحر بقيادة صالح باي (1771-1792م) وألحق بها هزيمة كبيرة²، وحملة اللورد إكسماوث الإنجليزي سنة 1816م³، وأيضا حملة الضابط أوريلي الإيرلندي سنة 1775م على مدينة الجزائر⁴، هذه الأخيرة التي تبين فيها مشاركة قبائل بايلك الشرق الإيجابية.

فبعد وصول أخبار عن أسطول حربي إسباني قُبالة مدينة الجزائر تنادت الأصوات بالجهاد ضده، لذلك سارع باشا الجزائر بطلب النجدة من بايات البايكات⁵، وهنا برز دور فرسان المخزن والزواوة والمتطوعين من مختلف القبائل الجزائريين، والذين يعتبرون من المتعاونين مع السلطنة في حالات صدّ هجمات الأساطيل الأوروبية، حيث فاق أحيانا

¹ بوعزيز يحي: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، ط1، مطبعة دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2009، ص250.

² عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج1، المرجع السابق، ص232.

³ الوثيقة رقم 72 من المجموعة 3205. ينظر: الملحق رقم 11، ص291.

⁴ بوعزيز يحي: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص57، 59.

⁵ فايست: المرجع السابق، ص ص 153-154.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

عددهم مئة ألف رجل من الإيالة¹، فشكّل صالح باي (1771-1792م) جيشاً قوياً من الجنود النظاميين وإلى جانبهم المجندين - غير النظاميين - من القبائل الجزائرية ببابليك الشرق منتصف سنة 1775م، وقد بلغ عدد ذلك الجيش حينها 20000 مجند² وتمركزوا بالجزائر العاصمة ما بين الحمير والحراش، وقد وصلت هذه القوات سريعاً إلى المنطقة وهم مجهزون بالعتاد التي تحمله الجمال والدواب الأخرى، وقد كونت هذه القوات جزءاً من الجيش الذي اجتمع في الجزائر من كل أراضي الإيالة، وهنا برز صالح باي (1771-1792م) باستعماله الجمال في مقدمة الجيش لوقيته، وتمكّن هذا الجيش من النصر على العدو الخارجي³.

وهنا كان للقبائل الجزائرية مشاركة منقطعة النظير إلى جانب السلطنة العثمانية في صدّ العدوان الخارجي، وهذا ما أورده أيضاً الشريف الزهار حين أشار إلى قدوم صالح باي (1771-1792م) صبيحة الإثنين من اليوم الرابع من هذه الحملة جهة الواد تسانده القبائل الجزائرية من إقليمه، وإلى جانبه عساكر بابليكه، وأسبق أمام الجيش بالإبل وعند قُربه من العدو ابتدأ القتال فكان هو الأول ومن معه للتصدي لهم، وكان النصر حليفهم⁴.

4. مشاركة القبائل في صدّ الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر 1830م:

شاركت القبائل الجزائرية في الدفاع عن مدينة الجزائر على إثر الإنزال الفرنسي بسيدي فرج ولبت نداءات البايات وداي الجزائر سنة 1830م، خصوصاً قبائل بابليك الشرق التي طالما دافعت عن الإيالة من مختلف الأخطار الخارجية.

¹ سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص 81.

² نفسه، ص 74. وينظر فايست: المرجع السابق، ص ص 153-154.

³ فايست: نفسه، ص ص 153-154.

⁴ الزهار: مصدر سابق، ص ص 26-27.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

وقد وقعت أغلب القبائل الجزائرية إلى جانب الداي حسين (1818-1830)¹ في التحضير للدفاع عن الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، وهذا ما أكدّه بفايفر في مذكراته، حيث أورد أن الداي حسين سمح لكل القبائل الجزائرية بحمل السلاح لصدّ الكفّار²، حيث بادر الداي بإرسال رسائل إلى القبائل الجزائرية بهدف إخبارهم بنوايا الفرنسيين، وطلب التحضّر والاستعداد لذلك، وقد كان ردهم بالإيجاب له، وأنهم رهن إشارته³.

وأثناء الإنزال الفرنسي بالجزائر في 14 جوان 1830م ضمّ جيش الداي حسين قرابة 7000 مجند، وقد كان من بينهم قوات بايلك الشرق، بالإضافة إلى مجندين متطوعين إلا أنّهم تميزوا بكونهم غير مدربين ويمتلكون أسلحة محدودة⁴. فكان من بين أول من لبّوا نداء الجهاد لداي الجزائر هو أحمد باي (1826-1837م) وقد شارك في هذه الحملة بقوام جيشه الذي وصل 2000 مجند في معركة سطوالي بقيادة الأغا إبراهيم وصهر الداي⁵، وفقد حوالي 200 من رجاله فيها⁶، إلا أنّ هناك من ذكر عددا أكبر من هذا كسيمون بفايفر الذي أكد وصول أحمد باي 1826-1837م إلى الجزائر العاصمة بجيش قوامه 12000 مجند⁷، ويرجع التعداد الكبير لهذا الجيش إلى تلبية القبائل لنداء الداي

¹ الداي حسين: هو آخر دايات الجزائر من عائلة تركية، ولد سنة 1764م بقرية فرله بالشاطئ الجنوبي لجون أزمير، اكتسب مهارة في معالجة الأمور، وله معرفة بتصرف أمور الدولة، عمل على إقرار النظام والأمن والاعتناء بالبحرية وأمور الجيش، كما فرض هيبة للجزائر على المستوى الدولي، في عهده توترت علاقات الجزائر مع الدول الأوروبية خاصة مع فرنسا وإنجلترا، وفي آخر عهده تمّ احتلال الجزائر سنة 1830م. للمزيد ينظر: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص 351-360.

² بفايفر: مصدر سابق، ص 60-61.

³ خوجة: مصدر سابق، ص 149.

⁴ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج 1، المرجع السابق، ص 277.

⁵ فايس: المرجع السابق، ص 289. وينظر: عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج 1، نفسه، ص 312-313.

⁶ دوالي: مرجع سابق، ص 33.

⁷ بفايفر: نفسه، ص 74.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

حسين الذي وجهه لهم عن طريق أحمد باي (1826-1837م)، فهو في حاجة ماسة لمساندتهم له في هذا الظرف¹، وقد كان من بين أكبر المساندين له في هذا الجيش أسرة أولاد عز الدين إثر النداء الذي بعثه لشيوخ القبائل فقد زودوه بكل ما يحتاج²، وأسرة بوعكاز حكام فرجوية الذين وقفوا إلى جانب أحمد باي (1826-1837م) في مقاومة الاحتلال منذ بدايته وذلك بشهادة الفرنسيين المحتلين³، و إلى جانبهم نجد أحمد بن بوزيد المقراني⁴، وهنا يمكن أن يكون هذا العدد هو الأصح خصوصا لما نجد أن القبائل قد لبّت نداء الجهاد ضد الكفار.

كما لم يدّخر أحمد باي 1826-1837م جهدًا من أجل صدّ تحركات قوات الاحتلال ومحاولة منه لاسترجاع الأراضي المحتلة في بايلك الشرق بدعم واضح من القبائل الجزائرية بالباليك، فبحلول سنة 1835م شكّل أحمد باي 1826-1837م جيشًا لمحاربة الحامية الفرنسية بمركز الذرعان غير بعيد عن مدينة قالمة، ولم يتحقّق له النصر وعاد إلى قسنطينة⁵، وبعد مدّة أعاد الكرّة مرة أخرى على مركز تواجد الفرنسيين بقالمة، ورغم تنبيهه بعدم التحرك نحوه إلا أنّه وجّه حملة له بقيادة الأغا بن الحملوي و بوزيان بن العلمي بهدف محاصرة العدو وإخراجه من المنطقة، فهاجمهم ومارس سياسة الأرض المحروقة على منتج القمح التابع للقبائل الخاضعة له، فتضررت الأرياف القريبة منه وانتشر فيها الموت والحرق، وقد دام هذا الحصار مدة 30 يوما، لترجع الحملة دون نصرٍ يذكر، وتمّ بعدها تسريح القوم⁶.

¹ حرزالله: المرجع السابق، ص 37.

² طالي معمر وموساوي: مرجع سابق، ص 278.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، مرجع سابق، ص 94.

⁴ فركوس: المرجع السابق، ص 51.

⁵ فايس: المرجع السابق، ص 299.

⁶ نفسه، ص 302.

5. وُقُوف القبائل إلى جانب الباي وقت احتلال قسنطينة:

كان للقبائل الجزائرية ببايلك الشرق دورٌ بارزٌ في الوقوف إلى جانب مُمَثِّلِ سُلْطَتِهِم الوحيد بعد سقوط العاصمة الجزائر سنة 1830م، خاصة بعد وصول قوات الاحتلال أبواب عاصمة إقليمهم قسنطينة لذلك، التقوا حول قائدهم أحمد باي 1826-1837م، واستماتوا إلى جانبه من أجل الدفاع عن شرف هذه المدينة.

فقد قاد أحمد باي 1826-1837م مقاومة باسلة ضدّ الاحتلال الفرنسي¹، واجتمعت حوله القبائل الجزائرية وبقايا العثمانيين لمقاومة الفرنسيين² ماعدا قبيلة النمامشة، فهي لم تشارك في الدفاع عن المدينة، لأن علاقتها كانت سيئة مع السلطنة العثمانية باستمرار³، فخرج أحمد باي في نوفمبر 1836م⁴ على رأس قوة عسكرية ضخمة وصل تعدادها قرابة 6500 مجند⁵ من بينهم 1500 من جنود المشاة و5000 فارس⁶ و 1000 من السكان⁷، ومن أبرز القبائل التي ساندته أولاد عز الدين، حيث دعموه بكل طاقاتهم، وضمنوا أمن أفراد عائلته التي بقيت عند بورنان أحد أفراد هذه القبيلة⁸. و إلى جانبهم نجد

¹ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج1، المرجع السابق، ص280. ينظر: فايست: المرجع السابق، ص289.

² المدني أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي الجزائر، 2019م، ص77. ينظر: فيلالتي عبد العزيز: جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830-1850م، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2011، ص74.

³ كاستيل بيار: حوز تبسة، تع وتح وتق العربي عقون، ط1، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر، 2010، ص306.

⁴ للمزيد حول الحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة ينظر: شعيب محمد المهدي بن علي: المصدر السابق، ص417-419.

⁵ بوضرساية بوعزة: الحاج أحمد باي الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830-1848، ط2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص143.

⁶ باي أحمد: مصدر سابق، ص26. وينظر: عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج1، مرجع سابق، 2006، ص315، 317.

⁷ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج1، نفسه، ص315، 317.

⁸ طالي معمر وموساوي: المرجع السابق، ص280.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

وقوف أحمد بن بوزيد المقراني إلى جانب الباي؛ فهذه العائلة لطالما كانت سندًا مشكّلة دعمًا للسلطة خصوصًا في عهد آخر البايات¹، وقد اصطدم بجيش الاحتلال في منطقة عقبة العشاري، إلا أنه أثر الانسحاب إلى داخل أسوار قسنطينة نظرًا لتفوق الجيش الفرنسي عليه، وهناك انتظرهم حيث قسّم الجيش إلى قسمين، فجعل أحدهم داخل المدينة والآخر وراء الجيش الفرنسي يترقّب تحركاته، وقد كانت الظروف الطبيعية السيئة إلى جانب أحمد باي، حيث تمكّن من محاصرة القوات الفرنسية مدة 7 أيام²، فاستطاع النصر عليهم في جسر القنطرة، كما كبّدهم الخسائر الكبيرة في الأرواح والعتاد³. وبالتالي ساند المجندون من القبائل الجزائرية أحمد باي (1826-1837م) في صدّ الحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة، فقد ساند جنود المشاة من جهة، وفرسان القبائل من جهة أخرى، كما استولوا على عربات الذخيرة والأمتعة وقتلوا حراسها من الفرنسيين⁴.

ومما يثبت مساندة القبائل الجزائرية للسلطنة العثمانية في الدفاع عن قسنطينة ضدّ الفرنسيين المحتلين، ما صرّحه بن عيسى خليفة الباي في مذكراته حول الدفاع عن مدينة قسنطينة أنّه سنة 1837م باسروا في التدبير لمقاومة الاحتلال القادم، وبدأت أفواج من سكان البايك تتوافد إليهم من كل حدبٍ وصوبٍ وبدون مللٍ للمساهمة في تلك الاستعدادات حيث حرص هؤلاء السكان على إبقاء فتيل المدافع دوماً في اشتعال ليكُونوا متحضّرين للمقاومة، كما كُلفوا بمهمة المراقبة⁵. ومما تجدر الإشارة إليه هنا استماتة محمد بن قانة من أجل صدّ العدوان على البايك إلى جانب أحمد باي 1826-1837م⁶.

¹ فركوس: المرجع السابق، ص 51.

² عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج 1، المرجع السابق، ص 317، 315.

³ شلوصر: المصدر السابق، ص 58. وينظر: عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج 1، نفسه، ص 317، 315.

⁴ شلوصر: نفسه، ص ص 58-59.

⁵ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج 1، نفسه، ص 318.

⁶ حرزالله: المرجع السابق، ص 36.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

وعند تلقي القائد الفرنسي دمريمون¹ أمراً بالتحرك نحو قسنطينة والزحف عليها للمرة الثانية استدعى أحمد باي (1826-1837م) جميع قواته بالبايك² النظامية، كما وجه نداءً لجميع القبائل الجزائرية بالإقليم لمساندته بالمجندين³، فسارعت قبائل جيجل والقل وميلة إلى الانضمام له، والعديد من قبائل بايك الشرق، حيث وصل تعداد جيشه حينها 2500⁴ فرد مقاتل⁵، في حين ذكر أحمد باي (1826-1837م) في مذكراته أنّ جيشه بلغ 7000 من المجندين، وعند وصول القوات الفرنسية إلى قرابة قسنطينة التحق به 10000 مجند من مؤلّي الشقفة قائد جيجل، كما التحق به رجال من ميلة ومن كامل القبائل. ومن القادة الذين لبّوا نداء الباي نذكر مسعود بن المبارك شيخ ريغة ورزقي شيخ الحنانشة، ورجب شيخ الحراكطة، والعربي ضياف شيخ الأوراس، ومحمد بن بوعزيز شيخ بلزمة، وشيخ أولاد بوعون وقائد ساحل سكيكدة، ومحمد بن الحاج قائد التلاغمة، وبوعكاز شيخ فرجوة، وبن عز الدين شيخ الزواغة وقائد أولاد عبد النور⁶. في حين وصل عدد القوات الفرنسية 20000 مقاتل، وبالرغم من ذلك دار القتال بينهما مدة 3 أيام⁷، كما حضر رؤساء القبائل إلى قسنطينة⁸، وقد حَسِر الفرنسيون في هذه المعركة قائدهم والجنرال بيريفو⁹ Pérégaux

¹ دمريمون: هو جنرال فرنسي وقائد الجيش الذي شدّد الحصار على مدينة قسنطينة من 7 إلى 13 أكتوبر 1837م، حيث استعمل المدفعية وكثف من استعمال السلاح الناري. ينظر: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص 375.

² عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج1، المرجع السابق، ص 317.

³ فايس: المرجع السابق، ص 302.

⁴ باي أحمد: المصدر السابق، ص 48.

⁵ غير أن الباحث عبد العزيز فيلاي يذكر أن عدد أفراد القبائل حضرت من القل وجيجل والشقفة وغيرها ناهز 10000 مجند، وهو رقم ممكن أن يكون صحيحاً؛ وذلك نظراً لكثرة فرسان القبائل وإرادتها في الدفاع عن المدينة ضد الفرنسيين الكفار، وأنّ الكاتب عمار عمورة أخطأ في التقدير. ينظر: فيلاي: المرجع السابق، ص 91.

⁶ باي أحمد: المصدر السابق، ص 48.

⁷ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج1، نفسه، ص 317.

⁸ فيلاي: المرجع السابق، ص 90.

⁹ Hachette : op.cit, p6.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

والكثير من الجنود والضباط، وتمكنوا من الدخول إلى قسنطينة وتدمير أسوارها في 13 أكتوبر 1837م¹، وعملوا على التخريب وقتل المقاومين ، وأمام هذا المشهد لم تنتقص عزيمة أحمد باي (1826-1837م) بل أراد مواصلة المعركة خارج المدينة، إلا أن بوعزيز بن فانة غير رأيه، واقترح عليه الانسحاب إلى الصحراء ومواصلة المقاومة من هناك²، وقد كان ممن استشهد من الشيوخ في هذه الحملة رجم شيخ الحراكمة³.

6. مشاركة أفراد القبائل في جيوش السلطنة:

ظلت القبائل الجزائرية تشكل سندًا أساسيًا في تكوين جيوش السلطنة العثمانية بالبايلك حتى سقوط عاصمة الإقليم قسنطينة، فأفراد القبائل اعتبروا جنودًا ضاربة في وجه المتمردين والأعداء المتربصين لها.

وقد أكد وليام شالر أن جيش السلطنة العثمانية قد ضم القبائل الجزائرية، فحسب قوله كانت تمده بالفرسان الخيالة، وهم يتوزعون على الحاميات المنتشرة على مختلف أراضي الإيالة، كما أكد أن المساعدين في سلاح الخيالة لجيش السلطنة هم من القبائل الجزائرية العربية⁴. وما يؤكد قوله في بايلك الشرق هو ما لعبته قوات من الحاناشة والقرفة وأولاد يحي بن طالب وكذلك من مجانة من دور كبير في حفظ الأمن واستتباب الأمن في البايك في كثير من الأوقات، كما ساعد شيوخها في جباية الضرائب إلى جانب رجال السلطنة العثمانية، فقد توزعت على الأبراج والحصون والخوانق في البايك، وبجوار الأسواق والجسور

¹ للمزيد حول الحملة الفرنسية الثانية على قسنطينة ينظر: شعيب: مصدر سابق، ص ص 431-438.

² شلوصر: المصدر السابق، ص ص 64-65. وينظر: عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج 1، المرجع السابق، ص 317. وينظر أيضا: فايس: المرجع السابق، ص ص 304-305.

³ شعيب: نفسه، ص 438.

⁴ شالر وليام: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر 1816-1824، تعر وتق وتغ إسماعيل العربي، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 61، 109.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وغيرها¹. وكذلك ممّا أكّده العدوانى من مشاركة أفراد من القبائل الجزائرية إلى جانب السلطنة كجيشٍ احتياطيٍّ في كثير من المناسبات².

وفي نفس السياق وجه أحمد باي بن علي القلي (1756-1771م) جيشاً تضمن عدداً هاماً من قبائل الجزائرية بالبايلك خارج إقليمه نحو فليسة لتهديئة انتفاضتها، ونجح في إخمادها وخسر جيشه الكثير، ففقد على إثرها خيرة جنوده من القبائل الجزائرية كشيخ العرب ابن قانة وشيخ بلزمة، وفرحات بن علي وبلقاسم بن مداح قائد الزمالة³، والعديد من أشجع أفراد القبائل الجزائرية في البايلك⁴.

كما تكوّنت قوات أحمد باي (1826-1837م) من المشاة تحت قيادة خليفة الباي والفرسان أو قوم المخزن الذي تشكّل من قسمين؛ قسم أول خاضع للأغا تكوّن من قبيلة الزناتية وأولاد الزناتي والسرّاوية وعرب وادي بوصلّاح وفرسان المدينة، أما القسم الثاني فكان تحت قيادة الأغا، يُدار من قبل القياد أو الأعيان كوسطاء وقد شمل قبيلة التلاغمة وأولاد عبد النور، وأطلق على القسم الأول الظهايرية والثاني الزمالة. كما اعتبر عرب الزمالة الذي كان يُعيّن قيادتها الباي قوات احتياطية للبايلك. وبالنسبة للمشاة فهي تابعة للباي وهي مخصصة لحراسة المدينة وحمايتها⁵.

¹ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 267.

² العدوانى محمد بن محمد بن عمر: تاريخ العدوانى، تح وتق وتو أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1996، ص ص 304-305.

³ الزمالة: وجمعها زُمُول وهم الخيّالة، فرسان بايات قسنطينة استوطنتهم السلطنة قرب باتنة في سهول عين مليلة. ينظر: بن العطار أحمد بن المبارك: تاريخ بلد قسنطينة، تح وتو وتو عبد الله حمادي، ط.ج، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011، ص 139.

⁴ فايس: المرجع السابق، ص ص 143-144.

⁵ فركوس: المرجع السابق، ص 40.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

زيادة على هذا ظلّت العائلات الكبرى ببايلك الشرق تمُدّ السلطنة العثمانية، فأتثناء حكم أحمد باي (1826-1837م) أمدّته بالقوات العسكرية غير النظامية، فمثلا قبيلة زمورة بمجانة كانت توفر قرابة 150 فارس و1000 من المشاة في الحروب¹، كما ظلّت عائلة بن قانة تدعّمه أثناء حكمه، حيث أمدّته في حملاته العسكرية ب 400 فارس للوقوف إلى جانبه، نظراً لصلة القرابة التي تربطه بها²، وظلّت عائلة بن عزّ الدين تمُدّ أحمد باي (1826-1837م) بما يحتاج، وضمنت له الأمن في منطقتها، كما ظلّت عائلة بوعكاز بن عاشور من الرجال المخلصين له حتى بعد سقوط قسنطينة فقدّمت له ما احتاجه³، وما يمكن التنويه له هو أنّه لمّا بدأ أحمد باي (1826-1837م) في مقاومة الاحتلال الفرنسي تشكل جيشه من القبائل الجزائرية فقط⁴، وهذا دليل واضح على مساندة القبائل له.

كما دأبت القبائل الموالية للسلطنة العثمانية في بايلك الشرق على تقديم فرق من رجالها في شكل جيش غير نظامي أطلق عليه فرق الزواوة، وهذه الفرق تنظّم إلى الجيش الإنكشاري في العديد من الحالات، التي تكون السلطنة في حاجة إليهم كالدفاع عن البلد في حالة الحروب ضدّ دول أخرى أو لتدعيم المحلّة عند جباية الضرائب أو وقت توجيه الحملات على المتمرّدين من القبائل، فيتشكّل بذلك فرسان هذا الجيش⁵. وقد شكّل أحمد باي 1826-

¹ فركوس: المرجع السابق، ص 40.

² دوبالي: مرجع سابق، ص 97.

³ فركوس: نفسه، ص ص 51-52.

⁴ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج 1، المرجع السابق، ص 313.

⁵ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 263. وينظر: غطاس: مرجع سابق، ص 84.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

1837م فرقا منها بعد رجوعه لقسنطينة إثر سقوط مدينة الجزائر سنة 1830م، والتي كانت له عونًا في قمع المتمردين حينها¹.

ويتجلى لنا دور القبائل الجزائرية في جيوش السلطة الجزائرية أيضا من خلال استعمال قبائل المخزن فيها، وإلى جانبها فرق القوم، فقد شكّل الباي تشاكر (1814-1818م) جيشًا احتوى رجال الزّماله، وكان قائدهم سي أحمد بن الشريف سنة 1817م بمنطقتي تارة وزانة للهجوم على أولاد دراج المستقرين حينها بمنطقة المتكوك، وفي طلّعتة نحوهم أخذ معه فرسان القوم، وبعض أفراد محلة الشتاء، لتنتهي معركته هذه بهزيمة مهينة في حقه². كما تمّ استخدام الدواير والزمالة في المحلات الغازیة، وكذلك قوات شيوخ الأسر الحاكمة فيها إلى جانب قوات الباي، ومن أمثلة ذلك نذكر استخدامهم في هجوم الباي أحمد المملوك (1233هـ/1818م) على القبائل الحدودية بشرق البايك³.

ومما يؤكّد دعم القبائل الجزائرية بالباييك للسلطة العثمانية بالجيوش هو انضمام أفراد منها عند عبور جيش أغا الجزائر سنة 1806م عبر أراضيها عندما كان متوجها نحو قسنطينة للوقوف مع الباي عبد الله 1804-1806م⁴ طواعية وحتى بالقوة، وكان النصر حليفهم في النهاية⁵، ومشاركة القبائل الجزائرية في جيش عثمان باي (1803-1804م) لغزو القبائل المساندة للشريف، حيث انضمت أفرادٌ إليه من الدائرة والأعراس لملاقاة هذا

¹ فايس: المرجع السابق، ص 290.

² نفسه، ص 248.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في باييك الشرق...، المرجع السابق، ص 264.

⁴ الباي عبد الله: تولّى الحكم عقب مقتل عصمان باي، وقد فرح أهل البايك به، وفي زمانه عاش البايك القحط لمدة سنة كاملة، كما وقعت الحرب بين الجزائر وتونس، ومما شاع عليه أن امرأته تشاركه الأحكام فعزل وأمر الباشا بقتله. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص ص 73-74.

⁵ دودو أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830م-1855م، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م، ص 52.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

الثائر بوادي الزهور وإلى جانبهم لبّت كل القبائل التي مرّ بها نداءه للانضمام لجيشه¹ حيث وصل عدد جيشه 4000 جندي عثماني ومشاة الزواوة الذين حضروا بقوة و إلى جانبهم 3500 فارس من القبائل الجزائرية، وكان ذلك سنة 1804م². فشيوخ بعض القبائل الكبيرة وقفوا إلى جانب السلطنة لمحاربة هذا الثائر كونه يعرّض مكانتهم إلى الخطر فسارعوا بإرسال فرسانهم لدعم جيش السلطنة، ومن أبرز تلك القبائل نذكر أولاد مقران وأولاد عاشور وعائلة بن قانة. كما لا ننسى دعم القبائل المخزنية للسلطنة هذه الثورة حيث أرسلت 3500 فارس من قبائل دريد وعبد النور والزّمول وأولاد عنان والتلاغمة وريغة³. كما تمّ استخدام بعض القبائل كقوات مساعدة في الحملات، ومن أمثلة ذلك نجد ما ذكره فايست حول طلب محمود تشاكر خليفة باي أحمد المملوك (1820-1822م) لأولاد براهيم أحد بطون قبيلة الوندانية في توجيه حملة لأهل الساحل، وقتل 40 من فرسان القبيلة الأوفياء للسلطنة بالإقليم⁴، وما ذكره شلوصر حول ارسال قائد أحد القرى فلاحيه لمساندة جيوش الباي⁵.

وفي الإطار نفسه شكّلت فرق القوم قسماً هاماً من قوات الحملات العسكرية، وتمّ توظيفها كفرق خاصة ترسل مع الباي أو خليفته للقبائل عند الاستهانة بقوة القبائل، وبهدف عدم اشراك كامل القوات المشاركة في تنفيذ مهمّة الحملة، ويتجلى ذلك في الحملة التي قادها خليفة الباي براهيم القريتلي⁶ (1821-1824م) الحاج الحسين على قبيلة أولاد سي علي تاحمات الممتنعين عن دفع الضرائب وغير المغتربين بسلطة أعضاء المخزن سنة

¹ بن العطار: المصدر السابق، ص113.

² فيرو شارل: تاريخ جيجلي، تر عبد الحميد سرحان، ط1، دار الخلدونية، القبة الجزائر، 2010، ص156.

³ سعيدوني: ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص ص209-291.

⁴ فايست: المصدر السابق، ص ص 267-268.

⁵ شلوصر: المصدر السابق، ص81.

⁶ براهيم القريتلي: هو أحد بايات الشرق الجزائري، دام حكمه من 1821م إلى 1824م، وهو من أصل تركي، عرف برزاقته وإشفاقه على الرعية، تمّ عزله ولم يأمر بقتله. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 88-

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

1823م، وبوصول الجيش إلى أراضيهم تقدّم الخليفة مع قوة صغيرة ومعه القوم تاركًا قواته ومستهيًا بقوة هذه القبيلة، فانتَهت هذه الحملة بمقتل الخليفة وهزيمة قواته أمامهم، ورجعت الحملة منهزمة إلى قسنطينة. كما استخدمها أحمد باي 1826-1837م في حملته على مركز الذرعان الذي تمركز به الفرنسيون بقالمة بعد الحملة الفرنسية الأولى على قسنطينة سنة 1836م، إلا أنّ حملته هذه فشلت رغم الحصار الذي دام ثلاثين يومًا، وعند رجوعه إلى قسنطينة سرّح هذه المجموعة التي استفاد منها، ولم يعلم بالحملة الجديدة التي كانت تحضّر له¹.

كما وجب الإشارة إلى أنّ بعض القبائل التي ارتبطت بعلاقة مصاهرة مع بعض البايات تعمل على دعمهم بالفرسان في كثير من المرات، وما يؤكّد ذلك إرسال أولاد مقران الذين جمعتهم علاقة مصاهرة مع حسين باي (1792-1795م) عددا كبيرا من شبابهم لدعم جيوشه السائرة إلى قسنطينة بعد تعيينه بايّا عليها، وللوقوف بجانبه ضدّ صالح باي؛ الباي السابق المدعّم من طرف أتراك المدينة، وبفضلهم كان له ما أراد².

ولا نقوتنا هنا الإشارة إلى استخدام أحمد باي 1826-1837م فرسان قبائل بدو الصحراء في حملاته العسكرية ضدّ المتمرّدين في بايلك قسنطينة بعد سقوط العاصمة وذلك في خريف سنة 1830م ضد قبائل نواحي سطيف وقبيلة أولاد عبد النور، واستطاع بفضلهم تحقيق النصر المؤكّد واسترجع سلطته عليهم³. كما وظف أفرادًا من القبائل الأمازيغية - الفقراء الذين لا يحبون العمل كجنود في جيشه مهما كان سنّهم - مقابل راتب شهري، إلا

¹ فايس: المرجع السابق، ص 273، 274، 302.

² الزبيري: المرجع السابق، ص 26

³ فايس: نفسه، ص ص 290-291. وينظر:

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

أنهم لا يستمرون معه ليتوجهوا إلى الفرنسيين فيعملون عندهم كجنود مدّة معينة، وكثيراً ما يرجعون للخدمة تحت راية الباي من جديد متخذين أعداراً واهيةً لقبولهم بينهم في الكثير من المرات، أو اتخاذ أسماء مزيفة حتى لا يتعرف عليهم الباي، وبكسبهم المال يفرون إلى الجبال في نهاية المطاف¹.

وقد أكد لنا شلوصر أن حملات الباي أحمد 1826-1837م احتوت على المجندين العرب، وخير مثال على ذلك وصفه لسير حملة هذا الباي على المدينة بعد احتلالها من قبل الفرنسيين، حيث ذكر وجود العرب في مقدّمة الحملة والفرسان العرب في آخرها بعدد كبير، كما احتوى جيش الحملة على جنود الدائرة ممثلين في الخيالة بعدد وصل 20000 خيال².

7. إرسال الوفود للتفاوض:

لجأت السلطنة العثمانية إلى إرسال ممثلين عنها من القبائل الجزائرية المستقرة بباليك الشرق، وذلك من أجل التفاوض مع الإيالة التونسية في الكثير من المرات، وجاء ذلك كحلٍ ظرفي وفي ظروف استثنائية. كما وجدت نفسها مرغمة على القبول بافتداء أسرى لدول أجنبية لقبائل لم تتمكّن من السيطرة عليها في ساحل بايلك الشرق.

ومن مظاهر استخدام السلطنة لأفراد من القبائل الجزائرية كوفود لها إلى تونس، نجد إرسال الباي مصطفى انجليز (1798-1803م) واحد من أولاد بن زكري الذي كان قد استعمله في مخزنه حينها إلى تونس من أجل حاجة له³. واختيار السلطنة العثمانية لممثليهم عند التفاوض مع الإيالة التونسية من شيوخ خنقة سيدي ناجي، فكثيراً ما كان هؤلاء الشيوخ

¹ شلوصر: المصدر السابق، ص 98.

² نفسه، ص 49.

³ بن العطار: مصدر سابق، ص 115.

سبباً في ضمان الهدوء بالمنطقة نظراً لتدخلهم في وقف الحروب بين الطرفين، ومن أبرز الشيوخ الذين لعبوا دوراً في ذلك نجد أحمد بن ناصر الذي تولّى الحكم سنة 1144هـ/1732م¹. ومما تقدّم ندرك حاجة السلطنة لأفراد من القبائل الجزائرية وجدت فيهم النباهة والدهاء لتتخذهم ممثلين لها لضمان ربح التفاوض، ولإبعاد شبح قتل المفوضين من العثمانيين.

8. استخدام الشيوخ والمرابطين والأجوة لهم:

وظّفت السلطنة العثمانية شيوخ القبائل للسهر من أجل إبقاء طرق البايلك في حالة من الأمن، خاصة تلك المعروفة بمرور قوافل الحج عبرها أو الخاصة بالجنود، كما كان للمرابطين دورٌ فيها، حيث يضمن شيوخ القبائل أمن تلك القبائل، شريطة الإقرار بولائها لكل مرابط في منطقة تواجد، وإلا تحتمّ على تلك القوافل والفرق التنقل بحراً²، فالحاميات عند توجّدها لبجاية مثلاً يرافقها أحد المرابطين، وإلا وجب عليها اتباع طريق البحر من أجل سلامتها³. وبفضل المرابطين وشيوخ القبائل استتبّ الأمن وعمّ أراضي البايلك⁴، فالشيوخ والزعامات المحلية استخدمتهم السلطنة العثمانية كوسيلة لبسط سيطرتها على القبائل الجزائرية التي لم يقدروا على إخضاعها، كما يمكن اعتبارهم واسطة بين السلطنة والقبائل⁵. فتحول بعضهم إلى أداة طيّعة في يد السلطنة العثمانية توجّدها كما تشاء خدمة لمصالحها في البايلك⁶.

¹ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 96، 97.

² خلاصي: مرجع سابق، ص 74.

³ خوجة: مصدر سابق، ص 74.

⁴ خلاصي: نفسه، ص 196.

⁵ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 109.

⁶ سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 443.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وقد تمّ توظيف العائلات المرابطية من قبل السلطة العثمانية حتى تكسب مصداقيتها على القبائل وتتمكّن من فرض الهيمنة عليهم¹. فقد تمّ استخدامهم في وظائف مختلفة ومن بينها نقل رواتب الجيش من الباي إلى حامية جيجل، ومن أمثلة ذلك ما أورده شارل فيرو حول رسالة الباي أحمد سنة 1170هـ/1756م يقرّ فيها بتكليف المرابط سي أحمد المكي بذلك بدلا من حفيده سي المهدي². ومن هذا نستنتج الاستفادة الكبيرة للسلطة من هؤلاء المرابطين خصوصا في المناطق الشمالية من البايك المشهورة بانعدام الأمن فيها ومن خلالهم تمّ تأمين نقل المرتبات والدنوش وقوافل المسافرين عبر أراضيهم الخطرة.

وقد تفتّنت السلطة في طرق الاستفادة من أفراد القبائل، حيث نجدها وظّفت إحدى القبائل المرابطية وهم بنو مقران في تأمين القوافل المتنقلة في شمال البايك، كما تمّت الاستعانة ببعض أفراد القبيلة التي يمرون على أراضيها لحمايتها مقابل بعض الامتيازات كبعض المكافآت في الأعياد الدينية أو منح أراضي خصبة بالسهول³.

كما ناشد مرابط سيدي أمقران القبائل المجاورة له للوقوف ضدّ الثائر الشريف بن الأحرش⁴، مساندة منهم للسلطة العثمانية في المنطقة، ومن بين القبائل التي لبّت النداء قبائل المزايا والعودة أولاد عبد الجبار للدفاع عن بجاية⁵، كما تمّ استخدامه من قبل السلطة

¹ فيرو: المرجع السابق، ص 137. وينظر: سعيدوني: رقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 443.

² عباد: مرجع سابق، ص 363.

³ فيرو: نفسه، ص 144.

⁴ بن الأحرش: هو محمد بن الأحرش الدرقاوي، مغربي مالكي المذهب يدعي الشرف ومتزعم ثورة بالشرق الجزائري، شارك في مقاومة الفرنسيين المحتلين لمصر بقيادة نابليون 1798-1801م، اكتسبت ثورته تأييد العديد من القبائل ورجال الطرق الصوفية، وقد أثارت ثورته قلق السلطة العثمانية، كما تسبب بالكثير من الخسائر لها. للمزيد ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 70-73. وينظر أيضا شعيب: المصدر السابق، ص 339-341، وأيضا سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص 341-347. وأيضا ينظر: أبو عمران: مرجع سابق، ص 25-30.

⁵ Féraud: Histoire des villes ..., Bougie, op.cit p215.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

العثمانية للقضاء على تائر جديد يدّعي بأنه حفيد التائر بن الأحرش سنة 1809م حيث كلف هذا الم رابط كل من مقربيه يحي البلهوان والطيب بوجعادة لتعقبه وقتله، وتمكنا من ذلك، وحملا رأس التائر إلى دار السلطان ليتّم مكافأة الرجلين بمبلغ من المال وهدايا ثمينة للم رابط¹.

أما الشيوخ الم رابطين فقد تدخلوا كوسطاء بين القبائل الجزائرية والسلطنة العثمانية في البايك للتوفيق بينهم في بعض الحالات، أو لإنهاء أزمات وإيجاد حلول عملية تضمن سلامة الطرفين، ونجد من مظاهر ذلك توجّه الأشراف من منطقة جيجل وعلى رأسهم الم رابط سيدي محمد مقران في وفدٍ لدار السلطان بهدف طلب العفو من باشا الجزائر، بعدما دعمت قبائل من جيجل التائر بن الأحرش، والتمسوا منه أن يحميهم بعدما وضع حدًا له، وقد قبل طلبهم وعاملهم بلطف وأرسلهم عبر البحر لمنطقتهم، و أعاد تثبيت حامية عسكرية جديدة بتلك المنطقة². وأيضًا تدخل الم رابطين بين تشاكر باي وأولاد دراج سنة 1817م، بعدما كان قد غزاهم هو وفرسان القوم وأفراد من محلة الشتاء، إلا أنهم حوصروا من قبلهم، ودخلوا معه في محادثات، طالبين منه إخلاء المنطقة لهم، أو هلاكه هو ورجاله، غير أنه طالبهم بشروط لم ترضهم، تمثّلت في استرجاعه أسراه منهم، وجثامين قتلاه والذين من بينهم رجال المخزن خاصته، هنا تدخل الم رابطون وضغطوا على أولاد دراج، لتتمّ الموافقة على الشروط، كما تحمّلوا مشقة تسليمهم القتلى ودفنهم بطريقة تليق بهم³.

ومما وجّب الإشارة إليه أنّه قد أسند للم رابطين منصب مشيخة القبيلة، ومثال ذلك تعيين أحمد بن بلعيد شيخًا على قرية كرشة الواقعة جنوب مدينة قسنطينة من طرف الباي قليان

¹ فيرو: المرجع السابق، ص170.

² نفسه، ص168.

³ فايس: المرجع السابق، ص 249.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

حسين بن كميّة 1129هـ/1717م مقابل ضريبة يدفعها له سنوياً، كما تمّ تكليف بعضهم بضمان الهدوء بمنطقة، كتكليف الباي أحمد القلي (1756-1771م) للورثاني استتباب الأمن في بني ورثان، ودحر المتمردين من بني عساني وأولاد خلف بالمنطقة سنة 1170هـ/1756م، كما أمرهم بدفع ضريبة قدرها 170 ريال للباي¹.

وفي السياق نفسه استطاع أحمد باي (1826-1837م) الاستفادة من تأثير المرابطين على القبائل الجزائرية، ففي إحدى حملاته بالبايلك بعد سقوط العاصمة بعث برسائل لهم بقسنطينة والمناطق المجاورة لها، يطلب فيها منهم أن يساندوه ويقفوا معه في حربه ضدّ الفرنسيين، وقد كان هدفه من ذلك القضاء على أي معارضة، وبفضلهم اجتمع له حوالي 180 ألف رجل في وقت قصير جداً، وكانوا من المشاركين فيها، حيث يتقدّم الأولياء المرابطون وأتباعهم عند سير الجيوش جهة الميمنة والميسرة منها مبتدئين بالأدعية والمدائح². ومما نستنتجه هنا هو إدراك السلطنة العثمانية مقدرة المرابطين في إقناع القبائل وانقيادهم لهم، وبفضلهم اجتمعت حشودٌ غفيرة لم تستطع السلطنة جمعها في حملاتها السابقة حتى بالمال.

والجدير بالذكر هو توظيف المرابطين أيضاً من طرف القبائل نظراً لمكانتهم عند السلطنة العثمانية، ويظهر ذلك في حملة الباي براهيم القريتلي (1811-1824م) سنة 1823م على قبيلة أولاد سي علي تاحمامت، والتي تكبدت خسائر بشرية راح ضحيتها خليفة الباي الحاج الحسين وآخرون، وبانهزام هذه القوة تدخل المرابطون لتسليم جثامين القتلى للمعسكر، وبقي أفراد القبيلة متحصنين في الجبال القريبة من أراضيهم، ونظراً لتلك الهزيمة رجعت القوات إلى قسنطينة³.

¹ معاشي : الأسر المحلية الحاكمة في بايلك ...، المرجع السابق، ص 260.

² شلوصر : المصدر السابق، ص 52-53.

³ فايسر : المرجع السابق، ص 273-274.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وقد ظلّ رجالُ السلطة العثمانية يتخذون من المرابطين ملاجئ لهم في أوقات المَحَن، وخير مثال على ذلك التجاء علي بن صالح باي (1710-1713م) إلى زاوية سيدي علي بن أحمد أمقران بمنطقة مَجَّانة حتى وافته المنية، وهروب الباي حسين زرق عينو 1167هـ/1753م إلى مرابط التلاغمة سي محمد بن سيدي الناصر عند هجوم التونسيين عليه¹.

فمنذ 1671م وحتى وتولي صالح باي (1771-1792م) حكم البايك استطاعت السلطة العثمانية كسب المرابطين، وتمكّنت من استخدامهم فيما يخدم مصالحها، وعند تولي هذا الباي الأخير للحكم تأرجحت العلاقة بينهما؛ فتارةً نجدهم على وفاق وتارةً أخرى نجدهم على عداوة واضحة. ومن ملامح الوفاق نجد ممثلي السلطة يتقربون من المرابطين والأولياء وكذلك شيوخ الزوايا عن طريق تقديم الامتيازات المختلفة لهم بُغية دعمهم في أواسط القبائل الجزائرية عن طريق الهدايا والإقطاعات والعديد من المجاملات، وبفضل ذلك صنعوا حلفاء لهم دائمي الوفاء، وكانوا الدرع الواقى الذي كبّح تفجّر الثورات والتمردات².

كما ساند شيوخ القبائل في تأكيد سلطة البايك على أراضيهم، وساعده في إخماد تمردات قبائل البايك، وخير مثال على ذلك نجد مساعدة أولاد عز الدين للسلطة العثمانية لوضع حدٍ لثورة الشريف بن الأحرش³، وكذلك مساعدة شيخ العرب بن قانة لأحمد باي (1826-1837م) في إنهاء تمرد التلاغمة وأحلافهم، وإلزام سكان مَجَّانة بالطاعة وكذلك جهة بلزمة، كما أكّد شيخ العرب هذا سلطة البايك على أراضي الصحراء الشرقية بالبايك بعد

¹ معاشي : الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق ...، المرجع السابق، ص258.

² بوعزيز جييدة: الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايك الشرق أواخر العهد العثماني (1771-1837م/1185-1253هـ)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص الريف والبادية، إشراف جميلة معاشي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية 2011/2012م، ص47.

³ طالي معمر وموساوي: المرجع السابق، ص272.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

أن قضى على زعامة شيخ العرب بوعكاز فرحات بن سعيد وأنصاره الذواودة بمنطقة الزيبان¹. كما ساند شيوخ القبائل السلطة في الدفاع عن العاصمة سنة 1830م، وقد كان من بين أكبر المساندين لأحمد باي (1826-1837م) في الجيش الذي توجه به هناك أسرة أولاد عز الدين إثر النداء الذي بعثه لشيوخ القبائل، كما زودوه بكل ما يحتاج².

وقد نجحت السلطة العثمانية في توظيف شيوخ الأسر في بايلك الشرق خدمة لمصالحها، وذلك في تأجيج الوضع في إيالة تونس، ويظهر ذلك في تحريك شيخ أحرار الحنانشة إبراهيم بوعزيز سنة 1186هـ/1773م لغزو قرية شارن بتونس بهدف إرجاعها لأراضيها، ليجد سبباً وجيهاً للتحرك عسكرياً من أجل تنفيذ مخططاته³. كما تم إرسال شيخ الحنانشة بقيادة محلة بغمرة قمار الشرقية الشمالية سنة 1207هـ/1793م بهدف إسماع صوت محمد شيخ ثقلت على بعض أهل سوف، غير أن شيخ الحنانشة تخوف من مجيء أهل الوادي عليه لمؤازرتهم، لذلك جمع محلته وعاد أدراجه. كما تم استخدام شيخ بني جلاب إبراهيم بن الشيخ الحاج أحمد من طرف حسن باشا حيث أرسله في حملة إلى قمار سنة 1215هـ/1801م بهدف فتحها وإخضاعها، فنزل أفراد محلته هاته قرب المغير بقمار وتم محاصرتها لمدة شهرين و3 أيام، إلا أنهم لم يتمكنوا من فتحها، وقد ساند فيها أهل الوادي سكان قمار بالمؤن والسلاح وحتى المقاتلين، وانتهت هذه الحملة بالفشل وقتل أعداد كثيرة من أفراد المحلة⁴.

كما لجأ بعض أفراد السلطة العثمانية بالبائلك إلى شيوخ القبائل الجزائرية، بهدف مساعدتهم على الفرار والتوجه إلى عاصمة الإيالة بعد تأزم العلاقات بين أفرادها، ومن

¹ سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص 90.

² طالي معمر وموساوي: المرجع السابق، ص 278.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص ص 282-283.

⁴ العوامر: المصدر السابق، ص 278، 283.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

أمثلة ذلك نجد توجّه خليفة الباي إبراهيم الغربي (1235-1236هـ/1820-1821م) المدعو حاج أحمد بن الشريف إلى شيخ الزواغة عزّ الدين بن سعد السعود، الذي استقبله وأحسن استقباله بعدما ساءت علاقته مع الباي المذكور، ثم تحمّل مسؤولية بعثه إلى قريبه بورنان شيخ فرجيوة، الذي أوصاه عليه وبدوره أوصله إلى صهره بن قانة بن الحاج شيخ العرب، حتى يتمّ التحاقه بالجزائر العاصمة للقاء الداوي والنظر في قضيته، وقد تسبّب ذلك في نقم الباي من بن قانة، ممّا أدى إلى استقالته من منصب شيخ العرب الذي أعفاه منه وتكليف أصغر أفراد أسرة بوعكاز به وهو فرحات بن السعيد¹.

وفي عهد أحمد باي المملوك (1820-1822م) تمّ استخدام الشيوخ كل من فرحات بن السعيد والشيخ الذباح في غزو تقرت سنة 1237هـ/1821م، إلا أن الشيخ الذباح تدخل وأرسل إلى شيخ بني جلاب محمد بن جلاب يطلب منه الاستسلام فقبل ذلك، غير أنّ فرحات بن السعيد لم يعجبه ذلك التصرف وثار على الباي، مما استدعى طرده إلى أقصى الجنوب، وبعد موت الذباح استسلم للسلطنة وأبقوه في وظيفته السابقة².

ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى استخدام شيوخ الأسر الحاكمة بالبايلك كمرافقين لتسليم الدنوش إلى باشا الجزائر، ومثال ذلك مرافقة شيخ أحرار الحنانشة عثمان للباي مصطفى الوزناجي (1795-1798م) لتسليم الدنوش، واستخدامهم للقيام بأعمال إرهابية التي اشتهرت بها المحلّات التي تجوب أراضي القبائل، ومما نذكر هنا في ذلك مشاركة شيخ أحرار الحنانشة بقواته إلى جانب الباي أحمد المملوك (1233هـ/1818م) عند هجومه على القبائل الحدودية الشرقية بالبايلك، وقيام قواته بأعمال إرهابية -إلى جانب الباي ومختلف قواته- في حق تلك القبائل كانت لها خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات. واستخدام الشيوخ

¹ شعيب: المصدر السابق، ص 365-366.

² نفسه، ص 370-371.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

لرئاسة رُكْب الحج، حيث استخدم الباي أحمد القلي (1756-1771م) الشيخ بن قانة لرئاسة رُكْب الحجج لأول مرة سنة 1176هـ/1762م وهذا الامتياز كان من حق أسرة بوعكاز مما تسبب في إشعال فتيل التمردات وإعلان الثورة على الباي من قبل هذه الأسرة¹.

9. سياسة التحالف واحتواء القبائل:

عمدت السلطنة العثمانية على انتهاز سياسة التحالف المرتكزة على بناء تكتلات قبلية وأحلاف تعتمد فيها على قوة الأسر المحلية في بايلك الشرق ونفوذها هناك، بهدف ضمان الولاء واستمرارية الاستفادة من خدماتهم.

ومما يلاحظ على الكثير من الزعماء المحليين للقبائل الجزائرية أنهم شكّلوا أحلافًا مع السلطنة العثمانية في أرياف بايلك الشرق، ويشتهر هؤلاء الزعماء بنسبهم العريق ونفوذهم الديني في الإقليم، كما أنهم مثّلوا القبائل الجزائرية في مناطق تواجدهم كشيوخ الزوايا والمرابطين وغيرهم، والملاحظ عليهم أيضا عدم خضوعهم للسلطة مباشرة، إلا أنهم يقومون بدفع أتاوة للسلطة حتى يحظوا بنوع من الاستقلال الذاتي، ومن أبرزهم نجد عائلة المقراني بمجانة والحنانشة. وبهدف تمتين الروابط معهم أيضا عملت السلطنة العثمانية بدورها على التقرب منهم عن طريق المصاهرة، وتقديم الهدايا المختلفة لهم بهدف استخدامهم، نظراً لمكانتهم بين الرعية². لذلك سعت السلطنة العثمانية للحصول على تحالفات مساعدة مع القبائل إما بواسطة تشجيع قبيلة على أخرى أو عن طريق منح الامتيازات والتسهيلات لبعض شيوخ القبائل والأسر الكبرى وغيرها³، وعن طريق تلك الامتيازات والتسهيلات والمجاملات كسبت السلطنة حلفاء أوفياء لها ساهموا في كبح روح الاستقلال والانفصال

¹ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص 283، 264، 288.

² عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج 1، المرجع السابق، ص 253.

³ بوعزيز: المرجع السابق، ص 41.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

عنها داخل القبائل الجزائرية، وأسهموا في استتباب الهدوء والأمن بالمنطقة¹، كما تجنبوا أحياناً الصدام معها بواسطة هذه السياسة².

كما سارعت السلطنة العثمانية في العمل من أجل إيجاد حلفاء لها في البايك، لذلك ربطت علاقات مع المرابطين في البايك، وبفضلهم استقادت منهم عند الحاجة لهم، فكانوا لها المعين في تهدئة القبائل الجزائرية بمنطقة تواجدهم، كما ساعدوا على تقبل الحكم العثماني³.

ومن مظاهر تلك السياسة نجد تحالف حسين بوحنك 1736-1754م⁴ مع الشيخ سديرة من أجل القضاء على علي باشا، وكان الثمن إرجاع المشيخة له سنة 1165هـ/1752م غير أن هذا الشيخ تعرض للقتل من قبل الباي المذكور نتيجة فشله في حملته الأولى على علي باشا وتم تعيين عمه على مشيخة العرب⁵. وفي عهد صالح باي (1771-1792م) تمكن هذا الباي من استتباب الهدوء في جنوب البايك بعد ارجاع المشيخة لعائلة بوعكاز وبفضل هذا التحالف تمكن من إنجاز إصلاحاته والمضي في حروبه بشمال البايك، كما استطاع إقناع محمد الذباح بتقسيم المشيخة بينه وبين بن قانة، وقد نتج عن هذا التحالف بداية التحرك للسيطرة على بني جلاب⁶.

كما تحالفت السلطنة العثمانية مع المرابط سيدي محمد أمقران بمنطقة بجاية بهدف ضمان خضوع قبائل المنطقة، لأنه يعتبر من الشخصيات الدينية ذات التأثير عليهم من

¹ فيرو: المرجع السابق، ص 137.

² طالي معمر وموساوي: المرجع السابق، ص 272.

³ Féraud: *Histoire des villes ... , Bougie, op.cit*, p198.

⁴ حسين باي بوحنك (1736-1754م): أحد بابايات بايلك الشرق من أصول تركية، في عهده عمل على إصلاح حال البلاد والعباد. للمزيد ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 56.

⁵ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص 281.

⁶ نفسه، ص 290-291.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

جهة، وضمانًا للترود بالخشب الموجود بغابات المنطقة لبناء الأسطول البحري من جهة أخرى¹. كما أبقت السلطنة العثمانية تحالفها مع أحد أبنائه وهو سيدي عبد القادر في المنطقة، واستفاد هو بدوره من الكثير من الامتيازات في شكل خدمات قُدمت له، كما قُدم خدمات كثيرة لها. وبعد وفاة هذا الأخير تمّ استبداله بأحد أبنائه سنة 1702م وهو سي محمد الشريف ليبقى التحالف قائمًا بين عائلة أمقران والسلطنة العثمانية².

وفي نفس السياق تحالفت القبائل الجزائرية بدورها مع السلطنة العثمانية في كثير من الأوقات لمحاربة قبيلة ثائرة³، وخير مثال على ذلك معاضدة بن قانة وقبائل الصحاري وبوعزيز والسلمية والرحمان المناصرة للسلطنة العثمانية في جهودها لإخماد التمردات، والتي من بينها تمردات قبائل الهضاب العليا كقبائل جهة مجانة وريغة وعامر العلة الذين ثاروا على السلطنة بسبب اغتيال شيخ مجانة المقراني في عهد أحمد باي (1826-1837م)⁴.

ومن أبرز التحالفات في بايلك الشرق بين السلطنة والأسر النافذة نجد التحالف مع أسرة بوعكاز الذواودة والتي بقي نفوذها بارزًا في البايك طيلة حكم العثمانيين للإيالة⁵، و إلى جانبها نجد أنها قد تحالفت أيضا مع أسرة أحرار الحنانشة، فحافظت السلطنة العثمانية على تحالفها معها، وبذلك كسبت ولاءها، وجعلت منهما حكاما فعليين على الأراضي المسيطرين عليها، وكلاهما يلبسان خلة الولاية بعد الباي نظرًا للمكانة التي حظيا بها⁶، وهذا ما أشار إليه شارل فيرو حول أحرار الحنانشة⁷، كما أشار لويس رين إلى التحالف هذا بقوله: «...كان

¹ بوطبة لخضر: غابات منطقتي بجاية وجيجل ودورهما في تدعيم قوة الاسطول الجزائري خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 1، العدد 5، 2017، ص 43.

² Féraud: *Histoire des villes ... , Bougie, op.cit*, p 200,205 .

³ خوجة: مصدر سابق، ص 73.

⁴ موساوي: مرجع سابق، ص ص 199-200.

⁵ معاشي: الإنكشارية والمجتمع ...، مرجع سابق، ص 101. وينظر: رحموني: مرجع سابق، ص 260.

⁶ معاشي: الإنكشارية والمجتمع ...، نفسه، ص 101.

⁷ Féraud: *Les Harar ... , op.cit*, p23.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

بعضهم أقوى بكثير من البايات... وكان تحالفهم مكلفا للغاية... شيخ العرب من بيت بوعكاز وشيخ الحنانشة والعديد من الآخرين»¹. لذلك أصبح كل من أسرة بوعكاز الذواودة وأحرار الحنانشة بفضل هذا التحالف والتقارب جزءا هاما من قوات المخزن بالبايك. كما استقادت السلطنة العثمانية من تحالفها العسكري مع أسرة المقراني أسياد منطقة مجانة أيضا، فهو من التحالفات القديمة لها، وجعلتهم قوات مخزنية تساهم في استتباب الأمن وجمع الضرائب، وهم بذلك يقرّون بالسلطنة العثمانية ويمثلونها². ومن بين الأسر التي تحالفت معها السلطنة العثمانية أيضا نجد أولاد عز الدين، حيث استقادت هذه القبيلة من المشيخة التي تمّ استحداثها بها قرابة 73 سنة قبل سقوط قسنطينة، وقد ظلّوا في تحالف دائم³.

10. استعمال القبائل وتوظيفها:

اعتمدت السلطنة العثمانية في إدارة البايك على قبائل المخزن، الذين اعتبروا وسيلة أساسية في تنفيذ أوامره، وأداة طيعة لضمان سيطرته على الأراضي الخاضعة له⁴، فهذه القبائل لطالما كانت الداعم الأساسي في الحملات العسكرية التي شنتها السلطنة العثمانية على المناطق الحصينة والعاصية عنها⁵. كما أنّ إعلانها لتبعيةها للبايات المعيّنين يظهر مدى الولاء للسلطنة، كما ساعدت على حكم البايك. وقد تمّ تثبيت قبائل مخزن الحراكمة على طريق الشرق نحو مدينة قسنطينة في المناطق الحصينة، كما تمّ استخدام قبائل الزواتنة وبن هارون على الجهات الصعبة فيه، وكلّ هذا من أجل مراقبة القبائل الجزائرية ومنع

¹ Rinn: op.cit, p5.

² معاشي : الإنكشارية والمجتمع ...، المرجع السابق، ص 101-102.

³ طالي معمر وموساوي: المرجع السابق، ص 272.

⁴ سبساوي أحمد: البعد البايليكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون 1838-1871م، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف كمال فيلالي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية 2019-2014م، ص 24.

⁵ سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792م-1830م، ط 3، البصائر للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، 2012، ص 114، 115. وينظر: سعيدوني: وثائق جزائرية ...، المرجع السابق، ص 209.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

تمرد¹ها، وتمّ تتصيب مَحْزَن بن داخة لمراقبة أولاد سلطان جهة بلزّمة، ومَحْزَن الأعشاش لمراقبة القبائل الصحراوية، ومَحْزَن دائرة الواد في واد بوصلّة، ومَحْزَن قَرْفة بوادي الزناتي للوقوف على القبائل المعروفة بإنتاجها الكبير من الحبوب². فقبائل المخزن ساعدت السلطنة في حراسة المستودعات والطواحين القريبة من المراكز العسكرية أو عند أطراف المُدن، كما راقبت مختلف القبائل التي تأتي إليها وتقصد³ها. هذا وقد قامت السلطنة بتغيير أماكن تواجد القبائل المخزينة، فالباي بوحنّك (1736-1754م) قام بتغيير مكان معسكر الزّماله، فبعدما كان مستقرا بوادي الرمال عمل على تثبيته في منطقة تيكمارت، وعند وُصول أحمد باي بن علي القلّي (1756-1771م) عمل على تغيير مكان تواجد الزّماله، ووضع مخيمهم في عَقْبة الجمالة جهة طريق باتنة من اليمين، وأعطاهم أراضي لاستغلالها من مدلسو وحتى بومرزوق، كما تمتعت هذه القبيلة بمجموعة من الامتيازات كإعفائها من تسديد الضرائب، ونيلها كل الغنائم المسلوبة من القبائل المتمردة. ومن جهته قام صالح باي (1771-1792م) أيضًا بتغيير الزماله نحو سهول مليلة الخضبة الواقعة على طريق باتنة⁴.

ومما وجب التنويه له هو استخدام السلطنة العثمانية للقبائل المخزنية كحُرّاس للطرق في البايك و مراقبين للقبائل المشهورة بتمرد⁵ها عليها، ومن بين أمثلة ذلك نجد قبيلة أولاد إبراهيم التي كُلّفت بمراقبة مَمَرّ الكنشور الرابط بين مدينة قسنطينة وسطّورة، كما ظلّ الطريق الرابط بين العاصمة ومدينة قسنطينة مراقبًا من قِبَل الزواتنة وحرشاوة على وادي سفلات

¹ بوعزيز: المرجع السابق، ص44، 45.

² موساوي: المرجع السابق، ص177.

³ سعيدوني ناصر الدين: دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر، مجلة الأصالة، ع 32، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر، أفريل 1976م، ص58.

⁴ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص57، 61، 64. وينظر: فايس: المرجع السابق، ص130، 144، 145، 170.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

والصحاري¹. كما وُظفت القبائل المخزنية لحراسة الممرات الجبلية بباتنة بهدف مراقبة جهة بلزمة ومخزن الصحاري لمراقبة نواحي بسكرة الشرقية والشمالية².

ومن مظاهر استفادة السلطنة العثمانية من خدمات القبائل كذلك مقابل بعض الامتيازات، نجد استخدام القبائل المخزنية بالقيام بأعمال عسكرية وإدارية فهي تستجد بهم، وتوظفهم في عملية جمع الضرائب المتنوعة³، ومن خلالهم يتم المحافظة على أمن الإقليم⁴. أما أفراد الزمالة فقد تمّ استعمالهم كجنود مشاة ولإمداد السلطنة العثمانية بفرسان الخيول عند الاحتياج لهم مقابل السماح لهم بالاستقرار في مواطنهم الحالية، وضمان أمنهم ممن يطاردونهم⁵.

ومما يُبرز استخدام السلطنة العثمانية للقبائل وتوظيفها فيما يخدم مصالحها، هو عدم تمكّن السلطنة العثمانية بداية القرن 19م من إخماد ثورة الشريف بن الأحرش سنة 1804م نواحي قسنطينة إلا بمساعدة من آل المقراني سنة 1807م بمجانة بفرسان مخزنه، حيث تمّ توظيفهم للقضاء على الثورة وإنهاءها في المنطقة بعد تكبّدهم لخسائر كبيرة⁶. وما أشار إليه السيد دانكور الذي زار بايلك الشرق أواخر القرن 11هـ / 17م بوجود قوّة تساعد جيش حاكم إقليم الشرق تتراوح ما بين 5000 إلى 6000 من العرب⁷. كذلك ما ذكره المؤرخ الإنجليزي جوزيف مورغان عن حامية الباي بقسنطينة سنة 1144هـ / 1731م بكونها حامية قوية وأنها

¹ الأرقش: مرجع سابق، ص 149.

² بوعزيز جهيدة: المرجع السابق، ص 44.

³ بن ميمون: مصدر سابق، ص 105.

⁴ عمورة: موجز في تاريخ الجزائر...، مرجع سابق، ص 105.

⁵ بن ميمون: نفسه، ص 39.

⁶ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ج1، المرجع السابق، ص 234، 235. وينظر: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص 77.

⁷ سعيدوني ناصر الدين و سعيدوني معاوية: ذاكرة مدينة قسنطينة من خلال النصوص التاريخية، ط خ، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، 2016، ص 140.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

قد تشكّلت من 300 صباهي و1500 جندي من القبائل الجزائرية خصوصاً من العرب¹. كما أشار صاحب التحفة المرضية محمد بن ميمون الجزائري إلى تجنيد السلطنة العثمانية للسكان في طائفة رياس البحر من مختلف فئاتهم، مما جعلهم طبقة محبوبة في الوسط الشعبي بقوله: «...وكانت تجنّد رجالاً من مختلف طبقات الشعب، فيصبحون بحارةً ماهرين»²، وهذا ما يجعلنا نستدلّ على مشاركة أفراد من القبائل الجزائرية في وسط هذه الفئة العسكرية.

وتجدر الإشارة هنا إلى استخدام أسلوب تأليب القبائل على بعضها وتوظيفها من قبل السلطنة العثمانية في عديد المرات، ويظهر ذلك في توظيف الباي مصطفى إنجليز (1212هـ-1218هـ/1798-1803م) لقبيلة أولاد سيدي يحيى بن طالب³ الواقعة شمال تبسة والمشهورة بمحافظتها على علاقاتها الوطيدة والطيبة مع السلطنة العثمانية⁴ ضدّ أولاد علي بن يحيى العواسي عند الحنانشة بعد أن قتلوا شيخهم وأعلنوا التمرد، كما قد فشلت الحملتان اللتان أرسلهما الباي إنجليز كلاًهما، فكان الحلّ الوحيد له استخدام طريقة تأليب القبائل المجاورة عليها، فهجم الشيخ يونس على الحنانشة، وقتل زعيمهم أحمد بوعزيز وأخاه، وبهذا انتهت الثورة واستتب الأمن في المنطقة ونجح الباي في مساعاه⁵.

كما استعملت السلطنة العثمانية في كثيرٍ من المرات قبيلة أولاد حركات-الزيجانية- القريبة منطقتها من جبل الأوراس وغيرهم من العرب لمساندتها في صراعها مع قبيلة أولاد عبد النور، والتي كانت بقيادة أميرها علي بن جيدون، والذي تمكّن من الانتصار عليهم

¹ سعيدوني ناصر الدين و سعيدوني معاوية: المرجع السابق ص148. وينظر:

Tassy: op.cit, p128.

² بن ميمون: المصدر السابق، ص 42.

³ فايس: المرجع السابق، ص 200.

⁴ فركوس: المرجع السابق، ص42.

⁵ فايس: نفسه، ص 200. وينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص69.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

أكثر من مرة وأجبرهم على الاستسلام. وكذلك قبيلة الحاناشة التي تُعتبر من القبائل الحربية التي تتميز بالقوة والتحضر، فالسلطنة العثمانية مدينة لهذه القبيلة في حروبها ضد التونسيين في الفترة الأخيرة من تواجدها بالإيالة، وذلك لما قدمه الحاناشة لهم من مزايا متعددة¹.

كما تمّ استخدام أفراد من القبائل الجزائرية التي تعيش بمنطقة بسكرة في إنجاز العديد من الأشغال العمومية لصالح السلطنة العثمانية²، فقد تمت الاستفادة من خدماتهم حتى خارج إقليم البايك، ونجد ذلك في الاستعانة بهم من أجل إعادة بناء مدينة الجزائر وتحسينها في عهد الداي عمر³. ومما يلفت الانتباه هو استطاعة السلطنة العثمانية ممارسة الضغط على بعض القبائل الصحراوية نظراً لحاجتها في التوجّه نحو أراضي شمال البايك، والعمل على استدراجها من أجل تحويلها لخدمة مصالحها، ومن هذه القبائل نجد قبيلة سعيد عطية بورقلة، حيث تحتمّ عليها أن تصير من العائلات المخزنية، وذلك للاستفادة من المراعي الشاسعة للمواشي الخاصة بها، وكان ذلك على حساب قبائل أخرى قوية كالمخادمة والشعانة وبني ثور⁴.

وفي عهد أحمد باي (1837-1826م) تمّ الاستعانة بالشيخ الرزقي قائد الحاناشة بهدف مساعدة السلطنة العثمانية على مباغثة التمامشة الممتنعين عن دفع الضرائب طيلة 4 سنوات بداية من سنة 1830 وحتى 1834م، وألحق بهم خسائر جسيمة ونهب منها عدداً كبيراً من الماشية والإبل⁵. كما أورد الضابط الفرنسي نيال في مذكرته سنة 1255هـ/1839م أنّ

¹ Shaw: op.cit, p361, 378.

² شالر: مصدر سابق، ص110.

³ شالر: نفسه، ص168. وينظر: أوجرتي محمد: الفقهاء والسلطنة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830، أطروحة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، تخصص تاريخ الجزائر العثماني، إشراف محمد صاري، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2014-2015م، ص336.

⁴ شعباني نور الدين: علاقة السلطنة العثمانية بإمارات الصحراء الكبرى، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 04، ع 02، 2020، ص93.

⁵ كاستيل: مصدر سابق، ص178.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

أحمد باي (1826-1837م) استعمل القبائل الجزائرية من أجل دعم سلطته بعد سقوط مدينة الجزائر، فقدّم لهم العديد من الامتيازات كتقلّدهم أعلى المراتب فازدادت هيبتهم وقوي نفوذهم، كما استخدمهم في الدفاع عن قسنطينة بعد حصارها. ولعلّ ما يُبرز مدى استعانة السّلطة الجزائرية بمختلف سُكان البايك في الدفاع عن مدينة قسنطينة ضدّ الاحتلال هو ما أورده المارشال سانت آرنو 13-14 رجب 1253/13-14 أكتوبر 1837م بقوله: «...إلا أن لا شيء أكثر رعبًا من المقاومة المستميّة لرجالٍ يجب قتلهم مرّتين، ومدينةٍ يجب أخذها بحدّ الخناجر»¹.

وقد حرصت السّلطة العثمانية على الاستفادة من خدمات بعض القبائل الجزائرية واستخدامها كأداة لتطبيق القوانين، ولضمان الأمن في طرق البايك، وكقوة مساعدة في الحملات، ومن أمثلة ذلك نجد ما ذكره فايس حول طلب محمود تشاكر خليفة باي أحمد المملوك (1820-1822م) لأولاد براهيم أحد بطون قبيلة الوندالية في توجيه حملة لأهل الساحل ثم غدر بهم وقتل أربعين (40) من فرسانهم الأوفياء للسّلطة بالإقليم، وهذا ما أقرّه الباي أحمد المملوك (1820-1822م) حيث ذكر هذا الأخير أنّه يستخدمهم في مراقبة الطُرق وكانوا من الخدم الأوفياء للسّلطة العثمانية². فقد أُجبرت القبائل الجزائرية على مساندة السّلطة العثمانية في تحقيق أمن الطرق، وهذا حتى يستتبّ الأمن بين كل قبيلة وجارتها³.

كما تمّ استخدام قبائل الدواير والزمالة وكذلك شيوخ الأسر الحاكمة بالبايك للقيام بمختلف الأعمال الإرهابية التي اشتهرت بها المحلّات التي تجوب أراضي القبائل، ومن بين أمثلة ذلك مشاركة شيخ أحرار الحنانشة بقوّاته إلى جانب الباي أحمد المملوك (1233هـ/1818م)

¹ سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: المرجع السابق، ص 267، 238.

² فايس: المرجع السابق، ص ص 267-268.

³ خوجة: مصدر سابق، ص 123.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

عند هجومه على القبائل الحدودية الشرقية بالبايلك، وقيام قواته بأعمال عنفٍ في حق تلك القبائل، كانت لها خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات إلى جانب الباي ومختلف قواته¹.

وقد ألفت السّلطة العثمانية الاستفادة من مساعدة القبائل الجزائرية كفرسان مخزن أو زعماء لها وهم المتعاملون معها، وذلك في حالات الحملات العسكرية على المتمرّدين وذلك في مجال التزوّد بالمؤن، ومن أمثلة ذلك تزويد ابن كانون بالبيان والمقراني بمجانة بالمؤن للسّلطة العثمانية في حملتها على المتمرّدين سنة 1240هـ/1825م².

كانت هذه أبرز مظاهر التواصل والولاء في علاقة السّلطة العثمانية بالقبائل الجزائرية على المستويين السياسي والعسكري، وفيما يلي سنُبْرِز أهم المظاهر الاقتصادية في تلك العلاقة.

¹ معاشي : الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 264.

² سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص 88-89.

المبحث الثاني: اقتصاديًا.

1. تحصيل الضرائب المفروضة على القبائل:

إنّ الكثير من القبائل الجزائرية قد ارتبطت بالسلطنة العثمانية بدفع الضرائب لها، وهم تابعون لشيوخهم الذين يطبقون عليهم قوانينهم الخاصة، وبالتالي فهم شبه مستقلين عنهم¹، وهذا ما جعل الكثير من المؤرخين يلخّصون علاقة السلطنة العثمانية بالقبائل الجزائرية بدافع للضرائب بمستلمها في الكثير من الأحيان². فقد اعتبرت السلطنة العثمانية عملية أداء الضرائب من قبل القبائل الجزائرية لممثليها من رموز التبعية والولاء لها؛ بالرغم من ضالتها في بعض الأحيان³، فالضرائب تمثّل خضوع سكان البايك للسلطة الحاكمة⁴. كما أنها تعدّ من العوامل المهمة في استمرارية الدولة وقوتها⁵.

وقد وقّف البايات على عملية جمع الضرائب، وهذا ما أشار إليه شالر⁶، وما يدلّ على ذلك أيضًا ما ذكره ابن العنّري في الفريضة المنسية حيث ذكر خروج قليان حسين باي بوكمية 1713-1736م بنفسه إلى الأوطان لجمع الضرائب عن طريق المحلّة وكذلك الباي حسين زرق عينو 1754-1756م وصالح باي 1771-1792م⁷، وما أورده صاحب التّحفة المرضية محمد بن ميمون الجزائري بقوله: «...بأنّ باي الناحية الشرقية قد جمع الضرائب وهرب بها»⁸، وهذا دليل واضح وإقرار منه على وقوف البايات على تحصيلها وطمعهم وجشعهم من جهة، وإثبات على كثرتها ممّا أنقل كاهل القبائل بها من جهة أخرى.

¹ شالر: المصدر السابق، ص108.

² سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص113. وينظر: موساوي: مرجع سابق، ص122.

³ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، مرجع سابق، ص52.

⁴ فايس: المرجع السابق، ص144.

⁵ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، نفسه، ص211.

⁶ شالر: نفسه، ص59.

⁷ بن العنّري: فريضة منسية...، المصدر السابق، ص55، 59، 62.

⁸ بن ميمون: المصدر السابق، ص31.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وقد مارس البايات القوة والضغط على السكان في عملية تحصيل الضرائب - وقد أكد شالر ذلك - لضمان بقائهم في مناصبهم القائمة، وبسببها عاشت القبائل الجزائرية حالة صعبة تميّزت بشيوع مظاهر البؤس بينهم¹. ومن أبرز هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر محمد باي مناماني (1824-1826م) الذي فرض على كل أسرة تقديم 10 بوجو (18.80 فرنك²)؛ وهو مبلغ كبير مقارنة مع الظروف التي كانت تعيشها قبائل الرعية³، وإلى جانبهم مارس شيوخ القبائل القوة والعنف في عملية جباية الضرائب، وهم الذين كُلفوا بهذه العملية من قبل السلطنة العثمانية، وقد شاهد آثار ذلك ج او هابنسترايت في رحلته في بايلك الشرق حيث أخذت شيخ الحنانشة بوعزيز أعمال عنف على قبائل منطقة القالة من أجل جباية الضرائب والتي وصلت 30 ألف قرش، لضمان منصبه كقائد دائم على هذه القبيلة، وذلك بأخذه أغنام القبائل الجزائرية التي تتعامل مع الشركة الإفريقية المتواجدة هناك، كما تأثرت سلبيًا تجارة القمح في المنطقة بسببه⁴. فالقياد وشيوخ القبائل استفادوا من مشاركتهم في تحصيل الضرائب، حيث كان لهم نصيب منها في إطار الامتيازات المقدمة لهم⁵. وفي عهد أحمد باي (1826-1837م) تمّ استخدام المرابطين في جمع الضرائب -القليلة- من الجبال التي تقطنها القبائل الأمازيغية غير الخاضعة للسلطنة العثمانية بالبايلك⁶.

وتسببت سياسة السلطنة العثمانية الضريبية هذه في البايك نهاية القرن 17م في استنزاف كبير لثروات أرياف البايك، فقد كانت ضرائبها ثقيلة على القبائل الجزائرية

¹ بن ميمون: المصدر السابق، ص 45.

² الفرنك: عملة فرنسية وزنها 5 غ من الفضة وهي تقسم إلى عرين جزء كل جزء منها يسمى الصوردي وهو من النحاس ثم صار من الكاغد ثم القصدير ثم الحديد وهذا بسبب ظروف كل عصر. ينظر: شعيب: المصدر السابق، ص 326.

³ موساوي: المرجع السابق، ص 121.

⁴ هابنسترايت: مصدر سابق، ص 91.

⁵ الملي: مرجع سابق، ص 303.

⁶ شلوصر: المصدر السابق، ص 99.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

بالإقليم¹، الأمر الذي أُرجع إلى كثرة الضرائب المفروضة على بايات قسنطينة، فقد قدر القنصل الأمريكي شالر قيمة الضرائب على باي قسنطينة سنة 1822م بـ 60000 دولار إسباني²، وهو مبلغ كبيرٌ وجب عليه تحصيله بمختلف الطرق.

ومما يبيّن ثقل الضرائب على القبائل في البايك أيضًا ما ذكره فايسست على محمود تشاكر خليفة باي قسنطينة براهيم الغربي (1819-1820م) حيث كان يسلط الضرائب والإتاوات على الغارمين بمحض إرادته الشخصية دون الرجوع إلى الباي نفسه، وهذا ما جعله يكتسب مداخيل مالية فاقت مداخيل الباي³. ومنه نستنتج بأن السياسة الجبائية للسلطنة العثمانية كانت سببًا رئيسًا في تفجر التمردات لمختلف القبائل الجزائرية.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ عملية جباية الضرائب من طرف السلطنة العثمانية كانت توافق ما جاء في القرآن الكريم فقد تشكّلت أساسًا في الزكاة⁴، بالإضافة إلى ضرائب غير شرعية⁵. وقد تنوّعت الضرائب بسبب التوسّع الذي شهدته الجزائر خصوصًا في نهاية القرن 18م⁶، ومن الضرائب التي فُرضت على القبائل الجزائرية إلى جانب الزكاة⁷ والأعشار التي نصّها الشرع الحكيم على الأرض والحيوانات، نجد ضريبة اللزّمة المفروضة على القبائل الرّحل⁸ التي كانت تُقرض على القبائل الجزائرية البدوية وعلى الساكنين بالواحات، وكذلك على العديد من الفلاحين المستوطنين ببلاد القبائل⁹، ومما يلاحظ على هذه الضريبة أنّ

¹ سعيوني: ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 209

² شالر: المصدر السابق، ص 59.

³ فايسست: المرجع السابق، ص 262.

⁴ شالر: نفسه، ص 58.

⁵ وقاد محمد: ظاهرة التهرب الضريبي والتمرد ضد السياسة الجبائية العثمانية في الجزائر أواخر العهد العثماني (1700-

1830م)، مجلة الأبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 2، ع 1، جانفي 2021، ص 96.

⁶ هلايلي: مرجع سابق، ص 109.

⁷ الزكاة: هي الزكاة التي تقرض على الأموال والمواشي. ينظر: محمد: نفسه، ص 96.

⁸ بن ميمون: المصدر السابق، ص 40.

⁹ سبنسر: مصدر سابق، ص ص 149، 150.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

السلطنة العثمانية ظلت تستخلصها بصورة منتظمة من قبائل الرعيّة بالبايلك، في حين كانت تشن الغارات والحملات لاستخلاصها من القبائل المستوطنة في الجبال أو الواقعة بالصحراء¹، وأيضا نجد الضريبة المفروضة على العقار، ويدخل في إطارها الضريبة على أشجار النخيل²، بالإضافة إلى ضرائب أخرى غير اعتيادية³، كما فُرضت ضريبة على أعيان المناطق التي وُجدت عندهم جثة لمقتول لم يُعرف قاتلها فُدرت بـ 10 آلاف فرنك توزع على أهل المقتول بما أقره الشرع⁴. وقد شكّلت أموال العشور⁵ والغرامة⁶ المصادر المهمة للخرينة، يضاف إليها رسوم الحُكُور على أراضي البايلك⁷ والزكاة، وضرائب العرش التي تُدفع سنويا⁸، وكذلك اللزّمة⁹، والمكوس¹⁰ على جميع الأسواق¹¹. كما نجد إلى جانبها ضريبة الخطيّة¹² وأراضي الموات¹³.

¹ موساوي: مرجع سابق، ص 106.

² بن ميمون: المصدر السابق، ص 40.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 24.

⁴ خوجة: المصدر السابق، ص ص 123-124.

⁵ العشور: ضريبة عادة ما تُقدّر بعشر المحصول أو عشر الإنتاج الزراعي. ينظر: وقاد: المرجع السابق، ص 96.

⁶ الغرامة: إحدى الضرائب الاستثنائية تدفع عينا أو نقدا. ينظر: نفسه، ص 97.

⁷ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 24. وينظر عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج 1، المرجع السابق، ص 250.

⁸ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج 1، نفسه، ص 250.

⁹ اللزّمة: هي إحدى الضرائب التي كانت تأخذ من القبائل الجزائرية بهدف تمّوين الجند بالأرياف. ينظر: بن ميمون: المصدر السابق، ص 40. وينظر عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج 1، نفسه، ص 250.

¹⁰ المكوس: هي ضريبة فرضتها السلطنة العثمانية على مختلف الأسواق، وتدفع لها عينا أو نقدا. ينظر: وقاد: نفسه، ص 98.

¹¹ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج 1، نفسه، ص 250.

¹² الخطيّة: ضريبة نقدية تفرض على أفراد القبائل من ارتكب مخالفة في حق الشيوخ والقياد. ينظر: وقاد: نفسه، ص 97.

¹³ وقاد: نفسه، ص 97.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

كما فرضت السلطنة العثمانية غرامة كل سنة على أراضي العرش؛ والتي كانت تدفع نقداً، وأحياناً كثيرة ضريبة اللزمة والمعونة¹ عليها أيضاً، وهذه الضريبة تأخذ عيناً مع بعض النقود، أما الأراضي المشاعة فقد فرضت عليها بعض الضرائب، والتي تستخلص منها كل فصل، ويطلق على هذه الضرائب مصطلح العوائد وهي متنوعة كحق البرنوس والبشارة والفرح وغيرها²، وهي ضرائب ظرفية، ومنها أيضاً ضريبة الدنوش المفروضة على شيوخ القبائل، وضريبة المهر باشا لتجديد عتاد البايك، تكون على شكل مساهمات من القبائل، وضريبة الضيافة التي دفعها شيوخ القبائل عند تخيم الباي بأراضيهم، وضريبة الفرس والكباش وخيل الرعية³. وقد بالغت نوعاً ما السلطنة العثمانية في قيمتها، فمثلاً نجد ضريبة البشارة والفرح وحدها وصلت 20000 ريال بوجو ببايك الشرق، في حين استتنت الضريبة من أراضي العرش الواقعة بالمناطق البعيدة والصعبة، كالأراضي الصحراوية والجبلية، لذلك وجهت السلطنة العثمانية نحوها جام غضبها عن طريق الحملات العسكرية، وبفضلها تم إلزامها بدفع الهدايا المختلفة والإعانات المتنوعة، ومن أمثلة ذلك ما فرض على قبائل منطقة الزيبان حيث وصلت قرابة 21850 ريال بوجو، حيث التزم شيخ العرب هناك بتسليمها لها نيابة عن تلك القبائل⁴.

ومن الضرائب النقدية الأخرى التي فرضت نجد ضريبة تسمى رسم العسة⁵، حيث فرضت على قبائل الشعانبة وسعيد وعطية والأرباع وأولاد يعقوب والزرارة والمخادمية التي

¹ المعونة: ضريبة تفرض على قبائل الرعية بهدف تمويل المحلة في حالة عدم كفاية تحصيل الزكاة والعشور منها. ينظر: وقاد: المرجع السابق، ص 97.

² سعيدوني، بوعبدلي: مرجع سابق، ص 53. وينظر: دادة محمد: الحياة الزراعية في الريف الجزائري في أواخر الفترة العثمانية، مجلة عصور جديدة، المجلد 3، ع 7-8، 1433-1434هـ/2012-2013م، ص 149.

³ وقاد: نفسه، ص 98.

⁴ سعيدوني، بوعبدلي الشيخ: نفسه، ص 53.

⁵ رسم العسة: وسمى أيضاً ضريبة الحصة وهي إحدى الضرائب التي أقرتها السلطنة العثمانية على القبائل البدوية التي تأتي إلى للتزود بالحبوب من المناطق التلية سنوياً. ينظر: موساوي: المرجع السابق، ص 114-115. وينظر: بن فرح حسين جيلالي: الأسواق والاقتصاد الريفي في الجزائر خلال عهد الدايات 1671-1830م، أطروحة لنيل شهادة=

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

تتردّد على أسواق ومراعي البايك التي تقوم عليها القبيلة المخزنية أولاد خليف¹. ومما يلاحظ على الضرائب اختلاف قيمتها حتى بين القبيلة الواحدة في البايك، فمثلا نجد فرقة أولاد فُرْغان الفواقة يدفعون ضرائب نقدية قُدِّرَت بـ 300 ريال سنة 1771م، في حين أنّ التحاتة بلغت ضرائبهم المستحقّة منهم 800 ريال². وقد كانت القبائل الجزائرية تدفع الضرائب في الغالب عروضاً لا نقوداً³، ولم تُستثنِ القبائل المخزنية المتعاونة مع السلطة من دفع الضرائب، بل كانت تدفع ما عليها من ضرائب كضريبة الزكاة والعشور والتي دفعتها كضرائب عينية تيسيراً لها⁴، فقد كانتا تعتبرهما السلطة رمزاً للتحالف والتعاون⁵.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ أغلب هذه الضرائب والرسوم المفروضة غير قارّة بل يتمّ تحديدها حسب الظروف المعاشية حينها⁶، أما في السنوات الأخيرة من التواجد العثماني فقد زادت قيمة الضرائب والرسوم، وتسبّب ذلك في ركود الاقتصاد⁷، كما ساهم ذلك في شيوخ حالة الفقر في الأرياف، ومناسبة لتفجّر النزاعات في المنطقة⁸، فمن البايات المتأخرين

= الدكتوراه ل م د في التاريخ الحديث تخصص مشروع السلطة الاقتصادية والمجتمع خلال العهد العثماني (1519-1830)، اشراف دحو فغرور، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 1442-1443هـ/2021-2022م، ص327.

¹ الأرقش: المرجع السابق، ص150. وينظر: سعيدوني: دور قبائل المخزن....، مرجع سابق، ص56.

² شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته، مرجع سابق، ص 221.

³ بن ميمون: المصدر السابق، ص41.

⁴ الأرقش: نفسه، ص149.

⁵ سعيدوني: دور قبائل المخزن، نفسه، ص55.

⁶ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ج1، المرجع السابق، ص 250. وينظر: شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته، نفسه، ص216.

⁷ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ج1، نفسه، ص 250.

⁸ برنيان أندري وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، تر رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص168.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

الذين عُرِفُوا بفرضهم للغرامات الثقيلة نجد إبراهيم خوجة الغربي 1819-1820م الأمر الذي سَمَحَ له شخصيًا باكتساب أموال ضخمة¹.

وقد اهتمّ البايات في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بإقرار الضرائب وتنظيمها في البايلك، فمن الضرائب التي أقرّها صالح باي نجد ضريبة الجبّري، والتي قُدِّرَت بـ 5 و 12 صاعًا من القمح، ومثلها من محصول الشعير، وإلى جانب ذلك 10 شبكات من التبن كعلفٍ للحيوانات². كما فُرضت ضريبة الزمة من قبله على قبيلة أولاد سيدي عبيد والمقدرة بـ 2 فرنك لكل خيمةٍ عن طريق حملته العسكرية التي شنّها على زاوية القنتيس، ممّا عَجَّلَ بهجرة بعض عشائر بايلك الشرق نحو الجارة تونس مثل الشابية³. هذا وقد نظّم أحمد باي 1826-1837م عند تولّيه السلطنة ضريبة العشور، والمتمثلة في عُشْرِ الغلّة من منتج الحبوب واستطاع بقوته ورهبة القبائل منه تأسيس هذه الضريبة وتحصيلها بسلسلة⁴، كما كان الباي أحمد يأخذ ضريبة الزمة بداية فصل الربيع⁵.

وقد كان أولاد بلقاسم الذين سَكَنُوا الجبال الصَّعبة من الأوراس ملزّمين بدفع الغرامة⁶ في حالة استقرارهم في المناطق الصالحة للزراعة، وفي حالة رفضهم يتمّ سلبُ محاصيلهم أو حرقها⁷، ومن بين القبائل الجزائرية التي ظلّت ملزّمة بدفع الغرامة في بايلك الشرق نجد الحنانشة⁸، وبني صالح والنمامشة⁹، والحراكتة والبابور وقبيلة أولاد عبد النور وإلى جانبهم

¹ موساوي: المرجع السابق، ص 121.

² بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 65.

³ فركوس: المرجع السابق، ص 46.

⁴ فايس: المرجع السابق، ص 287. وينظر: موساوي: نفسه، ص ص 127-128.

⁵ شلوصر: مصدر سابق، ص 36.

⁶ الغرامة: ضريبة تمّ فرضها على القبائل الممتنعة والبعيدة عن عاصمة البايلك خاصة المناطق الجبلية. ينظر موساوي: نفسه، ص 106.

⁷ فايس: نفسه، ص 123.

⁸ العدوان: المصدر السابق، ص ص 208-210.

⁹ موساوي: نفسه، ص ص 106-107.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

عشائر فرجيوة وزراردة والسقنية والمسيلة، كما لا ننسى أيضًا عشائر الأوراس وكذلك الزييان وأولاد حدّاد، حيث قُدّرت سنة 1830م بـ 389,85 فرنك¹.

ومما يلاحظ على القبائل التي تعيش بنوع من الاستقلال الذاتي بمنطقة القبائل والمناطق المتواجدة بالصحراء أنها تدفع الإتاوات للسلطنة العثمانية²، وقد أكد أيضًا شلوصر على دفع القبائل الجزائرية الواقعة بالقرى للضرائب³، غير أنّ القبائل الأمازيغية الساكنة بالجبال ليست خاضعة لسلطة البايك في فترة حكم أحمد باي (1826-1837م)، كما أنّه لا يُحارب العرب إلا إذا ضَمِنَ حياد القبائل الأمازيغية⁴. في حين نجد أنّ قبائل واد سوف مثلاً لم تكن تعترف بالسلطنة العثمانية⁵ إلا اسميًا، وكانت لا تدفع الضرائب إلا بالقوة، وقد قدّم شيخ تشرت الضرائب المفروضة عليه خوفًا ممّا حدث لقبائل وادي سوف بعد حملة أحمد المملوك (1235هـ/1820م)، كما منحه العديد من الهدايا المعنوية كالأقمشة، ومسحوق الذهب ونقودًا عليها نقوش لصور بايات تونس وعدداً من الغزلان وغيرها⁶.

كما لا نقوتنا هنا الإشارة إلى أنّ قبيلة النمامشة في حالة سلّمها مع السلطنة العثمانية نادرًا ما تدفع ضرائبها المترتبة عليها⁷، وفي حالة دفعها تكون غير كاملة⁸، فتسعى السلطنة لجباية ضرائبها المتأخرة التي كانت قيمتها قد تساوي ضرائب عشر سنوات تقريباً⁹، وهنا

¹ شجري معمر: قبيلة عبد النور بالجزائر ...، مرجع سابق، ص 715.

² عمورة: موجز في تاريخ....، مرجع سابق، ص 105.

³ شلوصر: المصدر السابق، ص 81.

⁴ فايس: المرجع السابق، ص 265.

⁵ يذكر ابن الدين الأغواطي في رحلته نهاية الحكم العثماني للجزائر أنّ سكان منطقة وادي سوف لم تخضع إلى حاكم، ولم يطيعوا أي سلطان فهم في حالة استقلال كامل، وهذا ما يفسر عدم تقديمهم للضرائب إلا بالقوة للسلطنة العثمانية، فخضوعهم هذا ضروري مؤقت. ينظر: بن الدين الحاج الأغواطي: مجموع رحلات، تح أبو القاسم سعد الله، ط خ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 96.

⁶ فايس: نفسه، ص 265.

⁷ كاستيل: مصدر سابق، ص 177.

⁸ لعريبي: مرجع سابق، ص 154.

⁹ كاستيل: نفسه، ص 177.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

يَظهر انتهاز السُّلطة العثمانية لحالة السِّلْم هذه لتعويض ما لم تحصِّله من ضرائب على هذه القبيلة. كما كانت السُّلطة العثمانية تستغل حاجة القبائل الممتنعة عن أداء الضرائب لدخول أسواق البايك المختلفة من أجل فرض الضرائب عليها وتحصيلها¹. غير أنَّ النَّماشة بسبب أحمد باي 1826-1837م - الذي أخذ تمردهم - كَوْنوا علاقة حسنة معه وصاروا يَدْفَعُونَ الضَّرَائِبَ له². ومن بَيْنَ القبائل التي كانت تَدْفَعُ الضرائب للسلطة العثمانية قبائل منطقة مرداس³، وبنو جلاب حيث كانوا يدفعون 100000 ريال للباي المملوك منذ 1818م إلى غاية سقوط قسنطينة سنة 1837م⁴.

2. إلغاء الضَّرَائِبِ والمَطَالِبِ المَخْزَنِيَّة:

اعتُبرت سياسة الإعفاء من الضرائب من أبرز السياسات التي ركزت السلطة العثمانية في الاعتماد عليها في تعاملها مع القبائل الجزائرية بالبايك في الفترة المدروسة، وذلك لما جَنَّتْهُ من ثمارها قبل سنة 1671م.

وقد اعتمدت السلطة العثمانية سياسة الإعفاء الضريبي كأحد الوسائل لإحكام السيطرة على المشيخات وإخضاعهم، والتقرب إلى الشيوخ والمرابطين من أصحاب الرأي والتأثير، وتسليم الهدايا لهم وغيرها⁵، وقد استفاد المرابطون الذين تولوا مرتبة شيوخ الزوايا و إلى جانبهم رجال العلم المكلفين بمهمة الإفتاء والتعليم و أيضا الإمامة من إعفاء ضريبي⁶، فالعلماء استفادوا من الإعفاء الضريبي نظير العلاقة الحسنة التي ربطتهم

¹ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص51.

² فركوس: المرجع السابق، ص45.

³ الوثيقة 13 بالمجموعة 1642. ينظر: الملحق رقم 07، ص287.

⁴ بن معمر محمد: علاقة بني جلاب سلاطين تغرت بالسلطة العثمانية في الجزائر، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 9، ع12، 15 جوان 2015، ص23-24.

⁵ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص109.

⁶ بحري أحمد: ضرائب الجزائر العثمانية من خلال بعض الظواهر المازونية، مجلة الجزائر للمخطوطات، المجلد 9، ع10، 2013، ص09. وينظر: الوثيقة 52 بالمجموعة 3206 الملحق رقم 12، ص292.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

بالسلطة، كما استفاد أبناؤهم و حتى أحفادهم من هذا ¹. فولاء هؤلاء كان في نظر السلطة يجازى بالإعفاء من الضرائب حسب ما ذكره وليام سبنسر ².

وفي الإطار نفسه منحت السلطة العثمانية للقبائل المخزنية امتيازات عدة، نظير دعمها لها ومساندتها في مختلف الظروف، وكان من أبرز تلك الامتيازات الإعفاء الضريبي على جميع أراضيها التي تقوم على استغلالها في البايك ³، ونخص بالذكر ما تعلق بضريبة اللزمة والغرامة والحكور، ومختلف الضرائب الرذعية والاعتباطية التي كانت تفرض على القبائل ⁴.

فمن بين المستفيدين من هذه السياسة نجد حسب ما أكده فايست في تعليق له، أن عائلة أولاد ذياب قد منحهم دالي باي (1676-1679م) سنة 1088هـ/1677م إعفاءات ضريبية ⁵.

ومن بين الذين استفادوا من الإعفاء الضريبي أيضاً نجد زاوية سيدي عبد الوهاب وزاوية بن سيدي المهيوب اللتين امتلكتهما قبائل أولاد سالم بالمنطقة الجبلية المحاذية للبابور وإيمولا الواقعة بمنخفض واد الساحل سنة 1118-1119هـ/1707م، حيث تم تحرير عقد لهما يقر بإلغاء الرسوم على سلعيهما الغذائية والزيت التي يتم بيعها بسوق الجزائر، ولهما الحق في إخراج احتياجهما منه بدون دفع أي رسم. كما استفاد كل من له صفة المرباط من هذا الإعفاء بالإضافة إلى خدمهم ⁶، مثل المرباط محمد بن علي المتواجد بأرض أولاد عبد

¹ منادي عثمان: العلماء والسلطة في الجزائر العثمانية دراسة تاريخية للتقارب والقطيعة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 08، ع01، أكتوبر 2022، ص476. وينظر: الوثيقة 52 بالمجموعة 3206 الملحق رقم 12، ص292.

² سبنسر: مصدر سابق، ص86.

³ موسنييه رولان: تاريخ الحضارات العام، القرن الثامن عشر، عهد الأنوار، تر يوسف أسعد داغر وفريد داغر، ط2، منشورات عويدات، بيروت وباريس، 1987م، ص 314. وينظر عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج1، المرجع السابق، ص 253. وينظر أيضاً: عمورة عار: موجز في تاريخ...، المرجع السابق، ص 105.

⁴ الأرقش: مرجع سابق، ص149.

⁵ فايست: المرجع السابق، ص106.

⁶ فيرو: المرجع سابق، ص ص 138-139.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

النور، والذي أعفاه الباي بوكمية منها بعدما أظهر له بعض كراماته، كما استفاد من الحماية على زاويته¹.

كما منح حسين باي بوحنك (1736-1754م) إعفاءً ضريبياً لزاوية الشليحي بأرض أولاد عبد النور، والتي قام عليها الولي الصالح الشيخ الشليحي آنذاك، بعدما رأى منه عديد الكرامات، كما أعطى له داراً أصبحت تُعرف بدار الشليحي²، وكذلك زاوية بن عبد الرحمن الأخصر هي الأخرى استفادت من هذا الإعفاء³.

ومن بين البايات الذين انتهجوا سياسات كان لها الأثر الإيجابي على مختلف سكان البايك نجد صالح باي (1771-1792م)، حيث عمل على تحسين أحوال القبائل الجزائرية، خصوصاً ما تعلق بالضرائب، فقد عمل على تخفيف الضرائب عنهم بعدما لاحظ تحسن مداخل البايك وأضحت تكفي متطلبات الموظفين ومطالب الحكومة بدار السلطان⁴. وفي حالات الجراد أو الجفاف فإن السلطنة العثمانية في البايك طيلة الفترة المدروسة قامت بإعفاء القبائل المتضررة منها من تسديد الضرائب نظراً لوضعها المتأزم⁵، وما يُستنتج من إقرار العنتري بها إلا حسن تدبير البايات في تسيير الإقليم زمن المحن والشدائد، مما حسن من صورة السلطنة العثمانية القائمة حينها في نظر القبائل الجزائرية.

وعلى إثر قتل المتمرد أحمد شاوش القبائلي (1223هـ/1808م) فرض أحمد باشا غرامة على القسنطينيين بلغت 200000 سلطاني، كما فرض عليهم غرامة أخرى قُدّرت بـ 400000 سلطاني نُقِدم مع دنوش باييك الشرق بسبب عدم حيولتهم دون نجاح تمرده منذ البداية، فتخوفوا وحزنوا، فتوسط لهم شيخ البلاد محمد الفقون طالباً من الباشا رفع هذه

¹ شكري معمر: قبيلة عبد النور بالجزائر ...، المرجع السابق، ص 717.

² بن العطار: مصدر سابق، ص 129.

³ منادي: المرجع السابق، ص 476.

⁴ موساوي: المرجع السابق، ص 75.

⁵ بن العنتري محمد الصالح: مجاعات قسنطينة، تح وتق رايح بونار، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م، ص 42.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

الضريبة عنهم ومسامحتهم¹. ويُعتبر هذا العمل الذي قام به أحمد باشا الجزائر من مظاهر التواصل بين السلطنة والقبائل الجزائرية في بايلك الشرق حيث تمكّن - بإسقاطه لهذه الغرامتين - من تجديد روح العلاقة معها وكسب ولائها.

وكذلك سُيُوخ الأُسُر الحاكمة فهم أيضا تمّ إعفاؤهم من الضرائب، ومثال ذلك شيخ منطقة مجانة، فقد استفاد من هذا الإعفاء، ما عدا ضريبة القفطان التي ظلّ يدفعها للسلطنة العثمانية مقابل تركيّته لحُكْم المنطقة، والتي كانت تقدر بـ 10000 بوجو².

ومن العائلات المُرابطية التي استفادت من إعفاءات ضريبية في منطقة تبسة نجد الوكاكسة، ويرجع السبب في ذلك إلى أنّ السلطنة العثمانية في البايك كانت تحترم جدّهم المدعو بووكس، وكذلك العديد من العائلات المُرابطية المتواجدة بمرتفعات البابور، فالعائلات المُرابطية استفادت من الاحترام، وكذلك من الإعفاءات الضريبية نتيجة قبولهم بالولاء للسلطنة الحاكمة³.

ومما وجب ذكره أنّ بعض من مثّل السلطنة العثمانية قد أمر في بعض الحالات بالعفو الكلّي عن أخذ المطالب المخزنية في زمن المجاعات، حيث يذكر محمد الصالح بن العنتري بأنّ الباي عبد الله في زمن الشدّة والمجاعة التي حصلت أثناء حكمه للبايلك امتنع عن أخذ المطالب المخزنية، وقد أعجب المؤرخ بهذا العمل، إلا أنّه لأمّ عليه عدم تدخّله من أجل فتح مخازن البايك وتوزيع الحبوب على الفقراء وتركهم بدون مؤونة تُذكر⁴، كما تمّ إعفاء المزارعين من دفع الضرائب في حالة إثبات أنّ أراضيهم لم تنتج شيئا⁵.

¹ فايس: المرجع السابق، ص 229.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 166.

³ سعودي أحمد: علاقة القوى الروحية بالإدارة العثمانية في إيالة الجزائر 1519-1830م - المرابطون والطرق الصوفية انموذجا-، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 6، ع 11، جوان 2018، ص 501.

⁴ بن العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص 42.

⁵ خوجة: مصدر سابق، ص 106.

زُدَّ على ذلك أن أحمد باي 1826-1837م قام بإعفاء القبائل المرابطية من الضرائب والعديد من التكاليف التي كانت موجودة قبله، وهذا كي يكسب ولاء القبائل المرابطية ببابيك الشرق وبواسطة ذلك يكون قد استفاد من أخطاء البايات السابقين له في تسييرهم للبابيك، وخير مثال على ذلك إعفاؤه الضريبي لزاوية القننيس بوصوله للحكم، فهذه العائلات المرابطية استفادت من الاعفاء الضريبي، وكذلك من مختلف التكاليف¹.

ومما يؤكّد تقاني السلطنة في تطبيق سياسة الإعفاء الضريبي وإلغاء المطالب المخزنية ما أورده حمدان خوجة في المرآة بأنّ باي قسنطينة -يقصد به أحمد باي- اكتفى بـ 15 فرنكا بدلَ حمولة البعير من الشعير والقمح عن المحراث الواحد، بهدف كسب ثقة القبائل²، وهذا دليل واضح يُبرز إرادة السلطنة العثمانية في التقليل من الضرائب وإلغاء بعضها.

3. تَنْظِيمُ الْأَسْوَاقِ وَاسْتِغْلَالِهَا:

اعتمدت القبائل الجزائرية على الأسواق نظرًا للدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تلعبه في حياة أفرادها، لذلك عملت السلطنة العثمانية على تنظيمها واستغلالها بما يخدم مصالحها.

وقد اعتُبرت الأسواق فضاءً لبيع منتجات القبائل الجزائرية³، والتي كانت أراضيها مجالاً لتتوّع الأسواق بها، فنجد فيها أسواقاً محلية وأخرى خاصة بقبيلة معينة، وأسواقاً لأكثر من قبيلة أو تكون جهوية تستقبل الوافدين من القبائل المختلفة⁴. كما لعبت الأسواق أدواراً أخرى

¹ فركوس: المرجع السابق، ص46.

² خوجة: المصدر السابق، ص108.

³ بن فرج: مرجع سابق، ص325.

⁴ الزبيري: مرجع سابق، ص112. وينظر لعبيدي علي: الحركات المناوئة للسلطنة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519م-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أرزقي شويّتام، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، السنة الجامعية 2018/2019م، ص158.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

غير البيع والشراء تمثلت في كونها مكانًا للقاء الأقرباء، ولتدارس قضايا التحالف والعدا، لذلك وضعت السلطنة العثمانية شرطة للنظر فيما يقع بها، ولمعرفة ما يُشترى ويباع فيها، ومن يأتيها ومن يغيب عنها من القبائل الجزائرية¹.

وقد شكّلت الأسواق الأسبوعية والموسمية فضاءً لتوزع النشاط التجاري، بالإضافة إلى المدن الكبرى ومن بينها نجد مدينة قسنطينة التي تُعتبر مركزًا تجاريًا هامًا في بايلك الشرق²، فهي مدينة عامرة وتكثر بها التجارات والأسواق ومنتجاتها تُسوّق إلى كل مناطق البايك³. وقد شهد ذلك محمد بن عبد الوهاب المكناسي الذي زار قسنطينة في رحلته سنة 1202هـ / 1787م، ومما شاهده قدوم أفراد القبائل ببضاعتهم إلى سوق المدينة الذي يقع خارج بابها، وهو سوق رائج في كل الأيام من الأسبوع⁴. ولذلك عملت السلطنة العثمانية على تنظيم الأسواق الأسبوعية، والتي كانت منطقة هامة تتم فيها المبادلات التجارية بين سكان المدن والقبائل الجزائرية بالأرياف⁵، مما أنشأ علاقات تجارية بينهما⁶، فتحكمت بفاعلية تلك الأسواق عن طريق عملية المراقبة من خلال الأبراج وبواسطة قبائل المخزن التي تولّت مهمة مراقبة الاتصال الدائم بين القبائل الجزائرية⁷. فالأسواق خضعت لإشراف السلطنة المحلية، وهذه الأخيرة منعت دخول القبائل البدوية الرافضة لدفع الضرائب⁸.

¹ بن فرج: المرجع السابق، ص325.

² سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص77.

³ مقديش محمود: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح علي الزواري ومحمد محفوظ، المج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1988، ص83.

⁴ سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: مرجع سابق، ص181.

⁵ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج1، المرجع السابق، ص249.

⁶ موساوي: المرجع السابق، ص54.

⁷ بن فرج: نفسه، ص326.

⁸ آل الشيخ: مرجع سابق، ص406.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

أما فيما يخص عملية البيع والشراء فقد تمت بواسطة المقايضة وبالنقود¹، كما سلّطت السلطنة العثمانية على التجارة بالأسواق ضرائب باهظة على مرتاديها²، حيث فرضت عليهم ضرائب مرتفعة على المصنوعات المحلية داخل الأسواق الداخلية³.

كما شجعت السلطنة العثمانية عمليات التبادل التجاري⁴ بغية التحكم في القبائل خاصة الممتنعة عنها، فهذه القبائل تكون في حاجة للتزوّد بالسلع والبضائع من أسواق البايك الخاضعة للسلطنة العثمانية⁵، ونظرًا لحاجة القبائل الممتنعة لدخول الأسواق بسبب عدم اكتفائها ذاتيًا، استغلت السلطنة العثمانية ذلك لصالحها من أجل الضغط عليها للحصول على الضرائب المترتبة عليها⁶. لذلك أقامت أسواقًا موسمية وأخرى أسبوعية قرب الحصون وأماكن تواجد الحاميات وقبائل المخزن لفرض حكمها على تلك القبائل، والإيقاع بهم ساعة ترددهم عليها، كما لم تسمح السلطنة العثمانية بعملية التبادل التجاري خارج تلك الأسواق⁷. فالأسواق وسيلة بسّطت السلطنة العثمانية من خلالها حكمها على المناطق الجبلية والوعرة مما أجبر الكثير من القبائل المعلنّة تمردها على الرضوخ لها لتلبية حاجياتها منها. ومما وجّب التنويه له هو غياب السلطنة المحلية التي أوكلت لها مهمة التنظيم وجباية الضرائب من الأسواق التي تقام في موسم الحج، فيكتفي شيخ القبيلة التي استقبل هذا الركب بفرض ضريبة المرور على أراضيه⁸.

ومن أجل تنظيم بعض الأسواق تمّ فرض بعض الضرائب النقدية الإضافية، وخير مثال على ذلك فرض ضريبة رسم العسة على قبائل سعيد و المخادمية و الزرارة والشعانبة

¹ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج1، المرجع السابق، ص 249.

² Rinn: op.cit, p4.

³ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص62.

⁴ نفسه، ص74. وينظر: سعيدوني: النظام المالي للجزائر ...، مرجع سابق، ص36.

⁵ سعيدوني، بوعبدلي: نفسه، ص74.

⁶ شويّتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص51. وينظر: بن فرج: المرجع السابق، ص325.

⁷ سعيدوني، بوعبدلي: نفسه، ص74.

⁸ بن فرج: نفسه، ص325، 328.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

والأرباع نظير ترددهم على الأسواق التي خضعت لمراقبة القبيلة المخزنية أولاد خليف¹. كما تم فرض ضريبة قدرت بـ 10% من ثمن البضاعة على البضائع التي أدخلتها أفراد القوافل القادمة من بسكرة وورقلة بهدف تنظيم الأسواق وتشديد الرقابة على القبائل الصحراوية خصوصاً العاصية وحتى تُفرض عليها سلطتها². وقد تواجد بالأسواق القواد والمرابط بهدف الحيلولة على فض المنازعات بين مرتاديها من سكان الدواوير المعروفين بإثارة المشاجرات لأنفقه الأسباب، لذلك تلجأ السلطنة لجعلهم تحت رقابة هؤلاء³. فقائد السوق هو مفتش الأسواق في البايك⁴، فهي خاضعة له⁵، ولذلك تولّى مهمة تنظيم الأسواق الأسبوعية، وتبرز أهمية هذا القائد فيها كونه يحصل على الاعتراف من قبل القبائل الجزائرية بالولاء له، والتبعية للسلطة العثمانية التي يمثلها، كما يقوم من خلالها بإعلامهم بأوامر الباي، وموعد تحصيل الضرائب، وما تعلق بها، ومواعيد خروج المحلة والقوم⁶.

وإلى جانب القايد نجد القاضي الذي ترأس السوق⁷، ومن بين القضاة الذي شاع صيته واشتهر بين القبائل نجد المرابط وشيخ الزاوية الرحمانية سيدي علي بن عيسى (ت 1836م) الذي كان دائم التواجد بالأسواق للحكم في مختلف القضايا التي تخص المعاملات التجارية وكانت كلمته مسموعة بين أفراد القبائل⁸. كما يتمّ توظيف بعض المرابطين لإيصال رسائل الباشا إلى تجار الشمع والجلود بجيجل من أجل منعهم من البيع ببونة⁹، وإرسالها لأسواق

¹ الأرقش: المرجع السابق، ص 150.

² شعباني: المرجع السابق، ص 93.

³ شلوصر: المصدر السابق، ص 90.

⁴ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 23.

⁵ موساوي: المرجع السابق، ص 114.

⁶ بن فرج: المرجع السابق، ص 325.

⁷ نفسه، ص 330.

⁸ شلوصر: نفسه، ص 21.

⁹ بونة: مدينة عتيقة بناها الرومان، وقد كانت تسمى في القديم أوربونة. ينظر: الوزان: وصف إفريقيا، ج 1، مصدر

سابق، ص 61.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

الجزائر، وتحذيرهم من عواقب مخالفة ذلك، وقد تمّ تكليف المُرابط سي محمد امقران سنة 1237هـ/1821م المتواجد بجيجل بذلك، كما تمّ تكليفهم بطلب تحضير الفحم من قبل العاملين عليه وأمر رياس القوارب بشرائه¹.

كما كانت تتواجد عند مداخل الأسواق بعض أفراد الجند لحراسة الأبواب ونزع الأسلحة من أفراد القبائل القاصدة دخولها، ومن أمثلة ذلك سوق الجمعة بجيجل². ونستنتج من هذه الإجراءات التنظيمية أنها كانت تصبّ في خدمة السلطة بالدرجة الأولى حتى تبقى القبائل الجزائرية تحت نظرها وتستفيد منها في كلّ الظروف.

فالأسواق الأسبوعية كانت قبلةً يتوافد عليها أفرادٌ عدّة من القبائل، فهذه بجاية يتوافد إليها قرابة 30000 من الزوّار بسوق الخميس³، كما تردّد العديد من أفراد القبائل على سوق جيجل، هذه المدينة التي تُعتبر مركزاً تجارياً هاماً في المنطقة، ومن بين الأسواق الأسبوعية في جيجل نجد سوق الإثنين ببني عمران وسوق الخميس في الشقة لبني إيدر وسوق الجمعة بسيدي خليفة جهة زيامة وسوق السبت بسلمى لبني فوغال وسوق الأحد بجيملة لبني عافر⁴، وبقصر الطّير يتمّ البيع والشراء خاصة من زوّارها الحجيج المتوجّهين للبيت الحرام⁵، ومن أشهر الأسواق في البايك أيضاً نجد سوق الحراكطة وأولاد عبد النور وتقرت وورقلة، وإلى جانبهم نجد أيضاً سوق السقنية والتلاغمة وسوق الوادي، أما سوق العثمانية فكان يُعتبر معرضاً يقام كل سنة يرأسه شيخُ العرب في المنطقة⁶ حيث كانت

¹ فيرو: مرجع سابق، ص ص 170-171.

² نفسه، ص 171.

³ Féraud: *Histoire des ...*, Bougie, op.cit, p215.

⁴ Féraud Charles: *Histoire des villes province de Constantine*, Gigelli, typographie et lithographie L. Arnolet, Constantine, 1870, p16, 74.

⁵ الورثاني: نزهة الأنظار ...، ج1، مصدر سابق، ص 83.

⁶ الزبيري: مرجع سابق، ص 112.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

تراقبه دائرة الصراوية ومخزن بوصول¹، وبالرغم من وجود سطيف وتبسة في مفترق طرق التجارة بالبايلك، التي كانت بها أسواق مهمة، إلا أنها بقيت تحت رقابة قسنطينة سياسيًا واقتصاديًا، وهما خاضعين لموظفي البايلك². ومن بين الأسواق السنوية أيضا هناك الخروب والشرية جهة النمامشة³، فالقبائل الرحالة نشطت هذه الأسواق وساهمت في عملية التبادل التجاري بين مختلف جهات البايلك⁴.

ومما يلاحظ على أفراد قبيلة النمامشة وأولاد عبيد توجههما إلى أسواق المدن التونسية كقفصة والقيروان وتونس العاصمة وغيرها للترود بالمؤمن، وعملت كلتاها على بيع إنتاجهما الحيواني في سوق الشريعة وتبسة وخنشلة ومسكيانة وعين البيضاء⁵.

ومما يمكن الإشارة إليه تدخل المكاتلين والمراقبين للمواد الغذائية في الأسواق، لتنظيم عملية بيع الحبوب أوقات المجاعات بإذن من السلطة العثمانية، فيقفون على عملية الكيل والتوزيع، ثم يأخذون الثمن لصاحب الزرع. ومن بين القبائل التي ساهمت في تموين الأسواق بهذا المحصول نجد كل من قبائل ريغة وفرجوة القريبة من مدينة سطيف في عهد عبد الله باي (1804-1806م) الذي فرض حينها أخذ الكفاية فقط من الحبوب بهدف ضمان تأمين التزود بها لكل الفقراء والمحتاجين⁶.

¹ سعيدوني: دور قبائل المخزن ...، مرجع سابق، ص58.

² قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ، إشراف محمد الهادي الشريف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 1419هـ/1998، ص267. (غير منشورة)

³ موساوي: المرجع السابق، ص53.

⁴ عباد: مرجع سابق، ص339.

⁵ كاستيل: مصدر سابق، ص111.

⁶ بن العنتري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص41.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

ومما وجب التّويه له أنّه منذ احتلال عنابة وحتى سقوط قسنطينة 1837م زادت أسعار المواد الغذائية والمواشي وغيرها في البايك ممّا جعل الباي أحمد (1826-1837م) يُضطرّ إلى توزيع الخبز والقمح والأغنام على الفقراء في البايك أكثر من مرّة¹.

4. العُمُلاتُ المُتداوِلَة:

تُعتبر العملة الأداة الأساسية لإتّمام ونجاح معظم التعاملات المالية، وهي تعكس مظهرًا من مظاهر العلاقة بين السلطنة العثمانية والقبائل في البايك².

ظَلَّت السلطنة العثمانية تجعل من البايك سوقًا حرّة لتداول العملات حيث نجد العملات المحلية والأجنبية أداة للتعامل بهما دون تمييز³. ولقد ارتكز النظام المالي في الإيالة الجزائرية على الذهب والفضة⁴، وامتازت العملة الجزائرية بالتنوع في مادتها واختلاف قيمتها، فنجد في البايك العملة الذهبية كالسلطاني وإلى جانبها العملة الفضية كالزوج بوجو أو دورو الجزائري، وريال بوجو⁵، الذي تمّ التعامل به أول مرة سنة 1735م⁶، وربّعه وثمنه، وإلى جانبهم المؤزونة وريال درهم ونصفه، بالإضافة إلى النقود البرونزية والنحاسية كالخروبة والدرهم صغار وأسبر شيك. كما تمّ التداول بالعملات الأجنبية حيث سمحت السلطنة العثمانية بالتداول بها كالعملة الإسبانية والعديد من العملات الأوروبية الأخرى، فضلًا عن عملات تونس كالسلطاني والدّهرم الناصري، ونقود الدولة العثمانية بالمشرق كالمحبوب والسلطاني وغيره⁷. ومن أبرز العُمُلات المتداولة في النظام النقدي في

¹ شلوصر: المصدر السابق، ص 87.

² سعيدوني: النظام المالي للجزائر ...، المرجع السابق، ص 179.

³ سعيدوني: النظام المالي للجزائر ...، نفسه، ص 206. وينظر: لعربي: مرجع سابق، ص 215.

⁴ يوسف صرهودة: معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، السنة الجامعية 2004-2005، ص ص 99-100.

⁵ سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، مرجع سابق، ص 128.

⁶ يوسف: نفسه، ص ص 99-100.

⁷ سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، نفسه، ص 128.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

القرن 17م نجد الدينار السليماني والدينار الناصري المحمدي والدرهم التونسي والريال والقفصي¹.

ومما يُثبت تداول العملات التونسية في بايلك الشرق هو ما ذكره فايست حول ما قدمه شيخ تشرت عند تسليمه للضرائب المفروضة عليه خوفاً مما حدث لقبائل واد سوف بعد حملة أحمد المملوك (1235هـ/1820م)، فقد منح الباي العديد من الهدايا معتبرة كالأقمشة، ومسحوق الذهب ومن بين الهدايا نقودا عليها نقوش لصور بايات تونس وغيرها².

والجدير بالذكر أنّ السلطنة العثمانية استطاعت أن تفرض عملتها المحلية على القبائل الجزائرية بفضل محافظتها على نسبة عالية من الذهب والفضة بها، ممّا جعل السكان يُقبلون على استعمالها يومياً مقارنة بالعملات الأجنبية، لذلك أضحت العملة هي أساس التعامل المالي بالبايلك خصوصاً بالحواضر الكبرى. وظلّت العملة تُضرب بدار النقود القريبة من قصر الداوي بدار السلطان، وبعد سنة 1817م أُختير لها موقع بالقصبة لتكون ملحقة بالخزينة³. وكثيراً ما لجأت السلطنة العثمانية إلى السكان من أجل شراء سبائك الذهب والفضة حتى تضمن كميات منها لضرب العملة⁴. وبعد سقوط العاصمة أنشأ أحمد باي (1826-1837م) داراً لضرب السكة بجانب داره، وجعل العملة باسمه سنة 1831م⁵، وهي نقود من الفضة والنحاس، وقد لاقت رواجاً في كامل البايك، وأصبحت عملة التداول هناك⁶، غير أنّه تعمّد سنة 1833م إصدار عملة جديدة من النحاس لها نفس القيمة من العملة الفضية الرائجة في البايك، كما أمر باسترجاع العملة الفضية مقابل العملة

¹ بلخوص الدراجي: جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 10-11هـ/16و17م، مذكرة من أجل الحصول على شهادة الماجستير، اشراف مختار حساني، فرع التاريخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2012، ص ص 111-113.

² فايست: مرجع سابق، ص 265.

³ سعيدوني: النظام المالي للجزائر ... المرجع السابق، ص 179، 191، 192، 205.

⁴ عباد: المرجع السابق، ص 344.

⁵ فايست: نفسه، ص 292. وينظر: فيلالي: مرجع سابق، ص 68.

⁶ فايست: نفسه، ص 292.

النحاسية، حيث لاقت هي الأخرى رواجاً كبيراً ليعمل على شراء الرطل منها بـ 12 عملة فضية وهذا ما لم يستحسنه السكان، ومن القطع النقدية التي أمر بضربها أحمد باي (1826-1837م) هي السلطاني وقيمتها 5 ريالات¹. ومما وجب الإشارة إليه أن العملة في بايلك الشرق قد شهدت انخفاضاً في قيمتها منذ 1823م إلى 1837م ويرجع ذلك إلى تأثرها بالسوق التونسية وآثار احتلال العاصمة الجزائرية عليها، ففقدت الكثير من قيمتها². كما شهد عهد أحمد باي (1826-1837م) تهريب العملة الجزائرية إلى تونس من طرف تجار قسنطينة، مما تسبب بأزمة نقدية حادة بالإقليم³.

وقد اشتهر في بلاد القبائل مزيفو العملة، خاصة منها الإسبانية التي برعوا فيها، وهم ينشرونها بتعاملاتهم مع القبائل المختلفة خصوصاً بالصحراء⁴، حيث يسهل تصريفها في كثير من الأسواق الموجودة بالأرياف بعيداً عن مرأى المكلفين بها⁵.

5. ضمان المواد الأولية من مواطن القبائل:

اعتمدت السلطنة العثمانية في بناء أسطولها البحري على المواد الأولية الموجودة بمواطن القبائل، ولعل من أهمها الخشب كونه المادة الأساسية في بنائه، ومن أجل ضمان التزود بهذه المادة اضطرت السلطنة إلى التقرب من بعض الشخصيات المهمة ذات التأثير الديني على أفراد القبائل بالبايلك، ومن أبرزها في منطقة بجاية نجد المرابط سيدي محمد أمقران، الذي بفضلته تمكنت السلطنة من استغلال تلك المادة⁶، ونقل الأخشاب من منطقة بجاية باتجاه ميناء مدينة الجزائر، وهذا النوع تستخدمه في بعض المرات لصناعة

¹ شلوصر: المصدر السابق، ص 80، 88.

² سعيدوني: النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص 205.

³ نفسه، ص 187. للمزيد حول أزمة العملة بالبايلك ينظر: الوثيقة رقم 25 من المجموعة 1642 بالمكتبة الوطنية بالحامة، ينظر: الملحق رقم 05، ص 285.

⁴ شلوصر: نفسه، ص 97. وينظر: سعيدوني: النظام المالي للجزائر ...، نفسه، ص 202-203.

⁵ موساوي: المرجع السابق، ص 51.

⁶ بوطنبة: مرجع سابق، صص 42-43.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

السفن¹، وكذلك من جهة بني صالح و ايدوغ وسيبور والقاله، حيث حَوّت هذه المناطق أشجاراً تميّز خشبها بجودته خصوصاً في أعمال البناء وصنع السفن².

كما تمكّنت السلطنة العثمانية من استغلال مناجم الرصاص بالبايلك، فها هي قبيلة بني بوطالب تُعتبر من أبرز القبائل القوية في المنطقة، وهم يتمركزون وراء ريغة على مسافة 14 فرسخاً شمال شرق المسيلة، ومن أراضيها يتمّ استغلال مناجم الرصاص، غير أنّ هذه القبيلة لا تسمّح إلا باستغلال ما هو ضروري للاستخدام مقابل امتياز يقدّم لهم³. كما تحتوي جبال القبائل الجزائرية بالصحراء على معدن الملح ولهم تجارة كبيرة به، كما توجد بها مناجم للملح الذي ترسله هذه القبائل نحو قسنطينة، هذه الأخيرة التي تستورد منها أخشاب العرعار أيضاً. وتزخر جبال القبائل الجزائرية الأمازيغية بالعديد من المعادن التي نجد من بينها الفضة⁴، وبجبل ايدوغ قرب بونة يكثر معدن الحديد، و يُجلب من بجاية الزّفت عالي الجودة، كما تحتوي على الحديد أيضاً⁵. وفي عهد أحمد باي (1826-1837م) تمّ استغلال أحد المناجم ببلاد الحراكطة لاستخراج الفضة، حيث عُرفت برداءة معدنها هناك، واستفاد منها في ضرب العملة التي تميّزت وقت حكمه بالنقص في الأسواق⁶.

كما أُعتبر البارود من المعادن التي يتمّ استخراجها من مناطقها التي تتواجد فيها، ويتمّ استخراجها من مناطق عدّة بالبايلك، ومن بين القبائل التي تُشتهر باستخراجها نجد قبيلة غبولة الواقعة بمنطقة القبائل، حيث تبّيعه لمن يحتاجه⁷. فالقبائل الجزائرية الأمازيغية في بايلك الشرق تصنّع البارود بنفسها ولا تحتاج لاستيراده، كما تمتاز بالصناعة الجيدة للبندقيات

¹ شالر: مصدر سابق، ص30.

² سعيدوني: ورقات جزائرية ...، مرجع سابق، ص467.

³ Shaw: op.cit, p384.

⁴ شلوصر: المصدر السابق، ص 96، 97، 101، 102.

⁵ مقديش: مصدر سابق، ص 93، 124.

⁶ سعيدوني: النظام المالي للجزائر ...، المرجع السابق، ص183.

⁷ لعريبي: مرجع سابق، ص201.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

ذات الاطلاق الجيد¹، ويتم صناعة البنادق بجرجرة والحضنة والزيبان والقرقرور ومدينتي تشرت وبوسعادة، وتم تصنيع الأسلحة بجمال بني عباس. وقد أكد دي فونتان العالم الفرنسي الذي زار قسنطينة عام 1200هـ/1785م استعمال السلطنة العثمانية البارود الذي تصنعه القبائل وتستخدمه، كبارود القبائل الصحراوية بالبايلك الذي تُحضّره من الملح الذي يتم استخراجها من منجم لقساين القريب من بسكرة، حيث تم استخدامه في حصار وهران سنة 1791م، وإلى جانبه بارود جمال جرجرة الذي تميّز بجودته، وقد صرح الضابط الفرنسي سان هيبوليت أثناء وصفه لتحصينات قسنطينة سنة 1248هـ/1832م أنه بعد سقوط مدينة الجزائر أصبح الباي أحمد يصنع البارود في مدينة قسنطينة، وهو يجلبه من الأراضي القريبة منه².

ونظراً لأهمية الحبوب في ضمان تغذية الأفراد، فقد تحكّمت السلطنة في زراعتها بالبايلك وذلك بالسيطرة على الأراضي التي طالما كان يستغلها كبار الدولة وشيوخ الطرق الصوفية والزوايا أو حتى شيوخ القبائل المخزنية³، ومما يمكن الإشارة إليه هنا أن السلطنة العثمانية احتكرت عملية شراء المواد الأولية من القبائل الجزائرية بمدينة عنابة بأسعار متدنية بهدف بيعها للأوربيين بأسعار مضاعفة، ومثال ذلك شراء القمح منهم بـ 8.80 قرشاً ليطم تصديره لأوروبا بـ 26.30 قرشاً أو يزيد، وشراء الجلود ما بين 6.7 و 8.9 موزونة، ليطم بيعها من قبل رجال البايلك للتجار الأوربيين بـ 30 موزونة، وبهذا حققت السلطنة العثمانية أرباحاً طائلة دون عناء يُذكر⁴، وأيضاً بمنطقة سكيكدة⁵، وكذلك الحال بالنسبة للزيت والشمع والصوف والجلود والمواشي بمختلف المناطق بالبايلك. وقد استفادت السلطنة العثمانية أيضاً

¹ شلوصر: المصدر السابق، صص 96-97.

² سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 67، 66، 175، 219.

³ موساوي: المرجع السابق، ص 44.

⁴ سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 470.

⁵ الوثيقة رقم 22 بالمجموعة 1641. ينظر: الملحق رقم 08، ص 288.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

من جلود الماشية بالبابلوك في شكل أحذية لجنودها في الحملات العسكرية، حيث كانت تدفع مبالغ زهيدة لصنّاع الأحذية مقابل ذلك¹.

كانت هذه أبرز مظاهر التواصل والولاء في علاقة السلطنة العثمانية بالقبائل الجزائرية على المستوى الاقتصادي، وفيما يلي سنحاول ذكر أهم المظاهر الاجتماعية في تلك العلاقة.

¹ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 79، 63.

المبحث الثالث: اجتماعيًا.

1. المصاهرة لكسب القبائل:

عمدت السلطة العثمانية في بايلك الشرق إلى كسب الولاء الدائم للأسر القوية ذات الوزن السياسي والعسكري والديني، لضمان هدوئها بالمنطقة ودعمها عن طريق سياسة المصاهرة. وقد اعتُبرت هذه السياسة من أبرز مظاهر العلاقة الاجتماعية بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية على حدٍ سواء.

ارتأت السلطة العثمانية بالعاصمة أن تختار ممثلها الأول في بايلك الشرق من الذين لهم قرابة بالقبائل الجزائرية هناك¹. فمُصاهرة البايات للقبائل الجزائرية خاصة للأسر القوية المعروفة في البايك كان بهدف الاستفادة من دعم شيوخها لإخماد الثورات والحركات التمردية التي تتفجر من وقت لآخر²، والاستفادة من التأثير الديني لكثير من شيوخ الزوايا عن طريق المصاهرة³. وقد تحقق بواسطتها التواصل والاستمرار في تقديم تلك الأسر لخدماتها المختلفة وإعلانها التبعية وإنهاءها للخلافات، كما ساهمت في توسيع نفوذ السلطة على أراضي البايك⁴.

فعملت السلطة العثمانية بدورها على التقرب من الزعماء المحليين بالأرياف كشيوخ الزوايا والمرابطين الذين حظوا بنوع من الاستقلال الذاتي، ومثلوا القبائل الجزائرية في المنطقة التي تواجدوا فيها عن طريق المصاهرة، وتقديم الهدايا المختلفة لهم بهدف استخدامهم نظرًا

¹ سعيدوني: ورقات جزائرية ...، المرجع السابق، ص 188.

² شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته ...، المرجع السابق، ص 48.

³ عمورة: موجز في تاريخ ...، المرجع السابق، ص 105.

⁴ طالبي علي: الاعتبارات الجغرافية ودورها في رسم العلاقة بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية: الولاء والرفض أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) تخصص تاريخ الجزائر الحديث، إشراف بن شرقي حليبي، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حسنية بن بوعلي الشلف، 1444هـ/2023-2024م، ص 223.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

لمكانتهم بين الرعية¹، كما تمّ بفضلها تحويل قبائل من أعداء إلى أصدقاء متعاونين ومتحالفين مع السلطة. فالسلطة العثمانية ربطت علاقات مصاهرة مع هذه القبائل بهدف احتوائها واستخدامها لضرب القبائل المعادية لها، وبفضلها تأسست تحالفات قوية². فعلاقات البايات العائلية مع القبائل الجزائرية في بايلك الشرق شكّلت لهم مصدر قوة لا يستهان بها³.

وأول من سار في نهج هذه السياسة نجد رجب باي، حيث زوج ابنته أم هاني للقيدوم أخو شيخ العرب من عائلة بوعكاز أحمد بن الصخري، بعدما لم يستطع جباية الضرائب منها، ولم يتمكّن من فرض سلطته عليها⁴؛ وكان ذلك سنة 1673م⁵، لذلك أراد ربحها إلى جانبه بالطرق السلمية والدهاء السياسي⁶. إلا أن هذه المصاهرة لم تجلب إلا المشاكل للسلطة والقبائل على حدٍ سواء⁷، فقد قتل أخو أم هاني من طرف سكان المنطقة، فأشعلت ثورة عارمة عليهم، واستطاعت السيطرة على كامل المنطقة، وقُتل شيخ العرب أحمد بن علي والعديد من أصحابه في أورلال، ولولا تصدّي فرحات بن علي وابن رجاجة المقرانية لما هدأت المنطقة، فقد جمعوا القبائل وتمكّنوا من هزمها واللحاق بها إلى العلة⁸، ومن أجل كسب ولائها وتحالفها سارع الباي حسين بوكمية (1713-1736م) إلى مصاهرتها حيث طلب ابنها للزواج فقُبِلت، وتزوجها سنة 1724م وبالتالي كسب ولاءها وصادقتها⁹.

¹ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، ج1، المرجع السابق، ص 105.

² بوعزيز: المرجع السابق، ص47، 46.

³ وولف: المرجع السابق، ص394.

⁴ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، مرجع سابق، ص150.

⁵ شعيب: المصدر السابق، ص262.

⁶ حرزالله: المرجع السابق، ص75.

⁷ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، نفسه، صص 206-207. وينظر: لعبيدي: مرجع سابق، ص150.

⁸ حرزالله: نفسه، ص76.

⁹ فايس: المرجع السابق، صص 121-122.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

ولا تقوتنا هنا الإشارة إلى مصاهرة الباي بوكمية (1713-1736م) لابن بن سديرة قائد أولاد بلقاسم الذين يسكنون الجبال بالأوراس فبعد قتله لبن سديرة المشهور ببطولاته سارع بتزويج ابنته لابن بن سديرة، فصار هذا الصهر القائد لهذه القبيلة¹، مما جعل هذا الباي يتمكن من تهدئة الابن وإرجاع الهدوء والأمن للمنطقة. كما صاهر هذا الباي أيضا أحد المرابطين المدعو محمد بن يحي المتواجد بأرض أولاد عبد النور بعدما أُرعبه بكراماته كما خصّ زاويته بحصانة مميزة².

ومن أمثلة مصاهرة بعض ممثلي السلطة للقبائل هي مصاهرة علي بن صالح باي (1710-1713م) لأولاد مقران بمنطقة مجانة، حيث كان له ثلاث بنات فزوجهنّ لهم وذلك بعد تتحيه على السلطة³، حيث زوّج ابنته تركية للحاج بوزيد المقراني، وابنته خديجة لأحمد بورنان بن أخ الحاج بوزيد، وابنته الثالثة زوّجها لعبد الله الجليل بن أبي الفضل من عائلة المقراني، وقد لجأ إليهم بعد عزله⁴. ومصاهرة الباي أحمد بن علي القلي (1756-1771م) من المقرانيين حيث تزوّج بالدايخة بنت الحاج بوزيد المقراني⁵، بهدف تحسين علاقاته مع رؤساء القبائل القوية⁶. وقد صاهر أيضا أسرة بن فانة العريقة بالزيّبان، حيث مكّنها بفضل مصاهرته من أن تكون من الأسر الحاكمة فيما بعد⁷. كما كان للشريف محمد بن أحمد باي القلي زوجة من أعرق وأقوى الأسر في البايك حيث تزوّج الحاجة رقية بنت بن

¹ فايس: المرجع السابق، ص123.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص209، 253.

³ فايس: نفسه، ص118. وينظر: لعبيدي: المرجع السابق، ص150.

⁴ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، نفسه، ص219.

⁵ شويتام: المجتمع الجزائري...، المرجع السابق، ص49. وينظر: لعبيدي: نفسه، ص150.

⁶ شعيب: المصدر السابق، ص296.

⁷ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، نفسه، ص84. ينظر: شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته

...، نفسه، ص49.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السُلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

قَانَّة¹، التي وَلَدَتْ له أحمد باي آخر البايات²، وَرَوَّجَ مباركة أختَ زوجته لأحد شُيوخ عائلة بوعَكَاز، وبفضلِ هذه المصاهرة صارت أسرةُ الذواودة ذاتُ النفوذ البالغ على ثغرت ونواحيها تحت سيطرته، كما تَمَكَّن من كسب الأُسَر القويَّة إلى صالحه في البايك³. وقد شجَّع هذا الباي على سياسة المصاهرة، ومن أمثلة ذلك مصاهرة كبار المَوْظَّفين في السُلطة العثمانية لأسرة بن قانة - بتشجيع منه - حيثُ تزَوَّج قائد الزمالة إبراهيم بوصبُع من بنتِ بن قانة، وتزوج حسين بن بوحنَّك من أختها⁴. وجمعتُ حسين باي (1806-1807م) علاقة مصاهرة بأولاد مقران، وبفضل هذه العلاقة وقفوا إلى جانبه عند تعيينه بايا على قسنطينة، كما دَعَموه بجيوش كثيرة العدد سار بها نحو مدينة قسنطينة⁵.

وفي الإطارِ نفسه أقَدَم الباي محمد نَعْمَان (1226هـ-1229هـ/1811م-1814م) على مصاهرة أحد شُيوخ فرجية، وذلك بزواجه من جلبية بنت بكري عبد الحق القيوم الحاج بن عاشور سنة 1811م⁶. كما ارتبط أحمد باي المملوك (1820-1822م) هو الآخر في علاقة مصاهرة مع قبيلة أولاد مقران بمجانة⁷. وممَّا يُذكر أيضا أن الباي إبراهيم الذي عُزل سنة 1821م قد صاهر أحدًا من أفراد عائلة شيخ العرب فرحات بن سعيد من الأسرة المعروفة بوعَكَاز⁸، ويذكر شلوصر أن الباي أحمد 1826-1837م قد كان له صهر من القبائل الجزائرية بصحراء البايك، وقد جعله شيخًا للعرب هناك⁹، وبفضل هذه العلاقة تمَّ

¹ دوبالي: المرجع السابق، ص32. وينظر: حرزالله: المرجع السابق، ص77.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص211.

³ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص49.

⁴ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، نفسه، ص212.

⁵ بن العطار: مصدر سابق، ص142. وينظر الزبيري: مرجع سابق، ص26.

⁶ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، نفسه، ص113. وينظر: طاليبي: المرجع السابق، ص224.

⁷ فايس: المرجع السابق، ص270.

⁸ خوجة: المصدر السابق، ص39.

⁹ شلوصر: المصدر السابق، ص101.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

تقسيم المناصب الهامة بين أصهاره من عائلة بن قانة¹. فأحمد باي (1826-1837م) وطّد علاقاته بالعائلات الكبرى عن طريق المصاهرة، كما أبعد آخرين عنه والتي كان يراها مؤذية لحكمه، كعائلة بوعكاز وابن شنّوف².

وبالتّالي فسياسة المصاهرة التي اعتمدتها السلطنة العثمانية كانت لها غايات عديدة تتمثّل أساساً في إنشاء تحالف مع تلك القبائل من أجل تأمين نفسها، وضمان الدّعم اللّامحدود منها، كما كانت القبائل الجزائرية في حاجة ماسّة لمن يقوم بحمايتها، ويضمن هيبّتها ومكانتها في المجتمع³، وبفضلها تمّ تثبيت الحكم العثماني بالبايك⁴ والتغلغل عبر أراضيه⁵.

2. ترضية الرّعاعات القبليّة بالامتيازات:

استخدمت السلطنة العثمانية على القبائل الجزائرية بأرياف بايك الشرق الشاسعة سياسة تقوم على الاستفادة من النفوذ والتأثير الديني لبعض شيوخ الزوايا بواسطة منح الامتيازات المختلفة لهم⁶، فقد منحت التّرضيات والمكافآت المختلفة من قبلها بهدف توطيد نفوذها، ودّعماً لهيبّتها وسلطتها في البايك، وحفاظاً على مصالحها بين القبائل⁷، كما كان الهدف من هذه التّرضيات امتصاص غضب القبائل المتمردة أيضاً عن طريق إشغال بعضهم بوظائف عسكرية كمساعدين أو أفراد بحّارة⁸.

¹ بوعزيز: المرجع السابق، ص47.

² فركوس: المرجع السابق، ص47.

³ لعبيدي: المرجع السابق، ص151.

⁴ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق ...، المرجع السابق، ص220.

⁵ طالبي: المرجع السابق، ص225.

⁶ عمورة: موجز في تاريخ ...، المرجع السابق، ص105.

⁷ لعريبي: المرجع السابق، ص160.

⁸ سبنسر: مصدر سابق، ص86.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وفي إطار السياسة نفسها نجد السلطنة العثمانية تعمل على ترضية القبائل المخزنية وكسبها إلى صالحها باستمرارٍ عن طريق بيع المواشي والابقار المسلوبة من القبائل المتمردة لها بأسعار زهيدة، وترغيبًا منها لاستقطاب القبائل الممتنعة حتى تحذو حذو القبائل المخزنية في التعامل مع السلطة¹، ودليل ذلك ما قام به إبراهيم باي القریتلي (1821-1824م) عند توجيهه لحملتين، الأولى نحو النمامشة الرافضين لدفع الضرائب فسلم منهم 1000 من المواشي، والثانية نحو العمامرة وبني وجانة جهة الأوراس²، وباع هذه الغنائم بأسعار زهيدة للقبائل المخزنية³. كما تمتعت هذه الأخيرة بامتيازات خاصة بها قدّمتها لها السلطة كتمتعها بالأمن والحماية بعيدًا عن الغارات والتعدّيات خاصة في نهاية الحكم العثماني للإيالة، كما نعتت بالمستوى المعيشي الجيد بسبب الأراضي الخصبة التي مُنحت لها⁴، ومما قدّمته قبائل الرعيّة المجاورة لها⁵.

واستفادت قبائل الزمول من عديد الامتيازات، كإعفائهم من الضرائب ونيلهم الغنائم المنهوبة من القبائل المتمردة عن السلطة، واستغلالهم للأراضي الخصبة، ومثال ذلك إعطائهم أراضي لاستغلالها من مدلسو إلى منطقة بومرزوق في عهد أحمد باي بن علي القلي (1756-1771م)⁶، وإقطاع صالح باي (1771-1792م) لأخصب الأراضي بسهول عين مليلة والتي بلغت مساحتها قرابة 4000 هكتار والتي استفادت منها قبائل الزمالة⁷. كما تمّ إقطاع الدوائر أراضي بمواطن الحراكية، والتي تتّميز بشساعتها وخصوبة تربتها⁸، وأُعفيت

¹ لعبيدي: المرجع السابق، ص 162.

² بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 88. وينظر: فايست: المرجع السابق، ص 272. وينظر: موساوي: المرجع السابق، ص 182.

³ لعبيدي: نفسه، ص 162.

⁴ سعيدوني: دور قبائل المخزن...، مرجع سابق، ص 56.

⁵ برنيان: مرجع سابق، ص 161. وينظر: سعيدوني: دور قبائل المخزن...، نفسه، ص 56.

⁶ فايست: نفسه، ص 144-145.

⁷ بوعزيز: المرجع السابق، ص 44-45.

⁸ موساوي: المرجع السابق، ص 173.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

قبائل المخزن من ضريبة الزمة التي كانت تُفرض على القبائل الأخرى، وذلك في إطار سياسة تقديم الامتيازات¹، ولعلّ هذا من أجل ضمان مواصلة خدماتها لها.

ومن بين الامتيازات التي استفادت منها القبائل المخزنية في البايك أيضاً، دفعها لمختلف الضرائب الشرعية عيناً، وذلك تيسيراً لها من قبل السلطنة العثمانية، كما استفادت البعض منها من نسبة من الضرائب والمداخل المجبّة من القبائل الرعية، وخير مثال على ذلك استفادة القبيلة المخزنية أولاد خليف من رسم العسّة المفروضة على قبيلة أولاد يعقوب والمخادمية والشعانية وسعيد مقابل دخولهم للأسواق أو ترددهم على المراعي المراقبة من طرفها. ومن بين الامتيازات المقدّمة أيضاً للقبائل المخزنية استغلالها لأراضي المخزن، وقد تمكّنت بعض العائلات من امتلاك جزءٍ منها عُرفت بأراضي الشّاتي².

والى جانب قبائل الزّمول والدّواير - المستفيدة من تلك الامتيازات - نجد شيوخ بعض العشائر الكبرى، والذين يُعتبرون من القبائل الدّاعمة والمساندة للسلطنة العثمانية، وأيضاً لوجهاء كبار الأسر في البايك، وذلك من أجل ضمانة ولأئهم وبقائهم في تحالف دائم معها، لذلك قدّمت لهم أراضي خصبّة في إطار ما يُسمّى نظام العزل³.

كما جادت السلطنة العثمانية على المرابطين بالعطايا⁴ والأموال و تقديم الشهادات والرّخص لهم، و منحّتهم سلطة ونفوذ كبيرين في الأراضي التابعة لهم، واستفادوا من عدم تعرضهم للعقوبة في حال مخالفتهم للسلطنة العثمانية في البايك⁵، فقدّمت لهم أثن الامتيازات وأكبرها⁶، فاستخدمت السلطنة العثمانية المرابطين لإقامة العلاقات التجارية مع القبائل المستقلة في بايالك الشرق خصوصاً بأرض بجاية للاستفادة من الثروات الطبيعية

¹ بن ميمون: مصدر سابق، ص 39.

² الأرقش: المرجع السابق، ص 149، 150.

³ سيساوي: المرجع السابق، ص 24.

⁴ بوعزيز: المرجع السابق، ص 41، 42.

⁵ بوطنبة: المرجع السابق، ص 44.

⁶ خوجة: المصدر السابق، ص 73. وينظر: سعيدوني: وثائق جزائرية ...، المرجع السابق، ص 443.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

بالبايلك¹، ومن بين المرابطين في البايك نجد سيدي محمد أمقران²، حيث استطاعت السلطنة العثمانية إيجاد مؤيدين لها في البايك، فتمّ إنشاء تحالف مع أولاد أمقران³ بمجانة واستفاد شيوخ عائلة المقراني من امتيازات وترضيات نظير تعاونها مع السلطنة العثمانية في استغلال غابات بجاية وجيجل في إطار نظام الكراسته⁴، حيث تمّ تقديم شهادة مكتوبة لعبد القادر أمقران سنة 1682م من قبل السلطنة العثمانية لتشهد بذلك، كما تمّ تقديم نفس الامتيازات لمجموعة من المرابطين المتواجدين في جبال بابور وتابابورت والأراضي الملتصقة بها⁵. ومن بين ما استفادت منه القبائل الجزائرية المستقرة على أراضي غابات الكراسته هو التمتع بمساحات واسعة من الأراضي الخصبة في السهول⁶.

ومن بين الذين استفادوا من الامتيازات المختلفة نجد الحاج المكي بن محمد الشريف؛ وهو من أحفاد عائلة أولاد المقران، ثم أولاده سي محمد وسي الطاهر انطلاقاً من سنة 1800م حيث تمّ الإقرار له به من قبل الدولتي سنة 1755م. فاستفاد بذلك من الحماية التامة، فلا يتعرض له من رجال النوبة والقبائل المختلفة وغيرها⁷، كما تحصل المرابط سي أحمد المكي على امتياز الصيد ببني فوغال سنة 1750م، وكان هدف السلطنة من ذلك؛ الاستفادة والحصول على جلود النمر⁸. غير أن ذلك انعكس سلباً على الثروة

¹ Féraud: *Histoire des villes ...*, Bougie, op.cit, p197.

² بوطبة: المرجع السابق، ص43.

³ Féraud Charles: *Exploitation des forêts de la Karasta dans la kabilie orientale sous la domination turque (1)*, R A. V 13, Paris ,1869, pp36-37.

⁴ سعيدوني، بوعبدلي: مرجع سابق، ص60.

⁵ Féraud: *Exploitation des forêts ...*, ibid, pp36-37.

⁶ Féraud: *Histoire des villes ...*, Bougie, ibid, p210.

⁷ فيرو: المرجع السابق، ص141، 145.

⁸ عباد: المرجع السابق، ص365.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

الغابية بالمنطقة حيث تمّ اتلاف عدد كبير من أشجار الغابات سنة 1781م من أجل بناء 50 سفينة لدعم الاسطول البحري الجزائري¹، وقد بقيت تلك الامتيازات متوارثة في نسله².

كما منح أحمد باي (1826-1837م) الحُصوة لسي أحمد المكي من عائلة سيدي المقراني سنة 1243هـ/1837م³. ومن بين العائلات التي تولّت مهمة وكيل الكراسته واحتفظت بها إلى غاية سقوط الإيالة نجد عائلة حبيلس بن بوعكاز ببني فوغال وعائلة فرحات من قبيلة بني ميمون. كما قدّمت السلطنة العثمانية امتيازات للمرابط بن علي الشريف على شكل أراضي مقطّعة للزراعة قرب سطيف سنة 1825م، نظير مساعدته على مرور المحلّة لجمع الضرائب عبر أراضي القبائل المشهورة بكثرة تمرّداتها عليها⁴. كما تمّت الاستعانة ببعض أفراد القبيلة التي يمرون على أراضيها لحماية القوافل إلى جانب العائلة المرابطية بنو مقران، وذلك مقابل بعض الامتيازات كبعض المكافآت في الأعياد الدينية أو منح أراضي خصبة بالسهول لهم⁵.

وكذلك الحال لشيوخ القبائل خاصة المقربين منهم و طبقة العلماء، حيث مُنحت لهم عديد الامتيازات خصوصًا للقبائل الحليفة لها بالبايلك⁶، كمنح شيوخ القبائل النافذة تحصيل الضرائب من قبائل البايلك كالتّمامشة مثلاً التي لم تكن كلها تدفع الضرائب العينية⁷، كما استقادت أسرة بن ناصر حكام خنقة سيدي ناجي من تحصيل زكاة العشر من الزاب الشرقي وكذلك من جبل ششار⁸. فالقياد وشيوخ القبائل استفادوا من مشاركتهم في تحصيل الضرائب

¹ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 60.

² بوطوبة: مرجع سابق، ص 43.

³ فيرو: المرجع السابق، ص 174.

⁴ Féraud: *Histoire des villes ...*, Bougie, op.cit, p207, 235.

⁵ فيرو: نفسه، ص 144.

⁶ بوعزيز: المرجع السابق، ص 41، 42.

⁷ كاستيل: مصدر سابق، ص 306.

⁸ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص 96.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

حيث كان لهم نصيب منها¹. كما تمّ منح إقطاعات دينية على شكل أراضي للأسر المرابطة الشريفة، وكذلك للأسر الحربية العريقة ومن أمثلتها نجد الحانشة و الذواودة، وقد أُطلق على تلك الأراضي أراضي بالسيف². كما استفادت أيضا تلك الأسر النافذة من مزايا مختلفة، كالاستفادة من المراعي والاتجار في الأسواق مقابل إحدى الضرائب الرّمزية، وقد استفاد بعضها من تمتّعها بنوع من الاستقلال الذاتي مكنّها أن تشرف على مجموعة من القبائل كعائلة بن قانة مثلا³. ومن الشيوخ الذين استفادوا من تلك الامتيازات في عهد صالح باي (1771-1792م) نذكر شيوخ الأسر ذات الوزن في البايك كأولاد مقران وأولاد بوعكاز وأولاد عاشور وأولاد قاسم، وبفضلهم تمكّنت السلطة من مدّ نفوذها على مناطق شاسعة بالبايك⁴.

ومن بين الامتيازات المحصلة للقبائل نجد أن السلطة العثمانية منحت للمشيوخ امتياز توريثهم للمشخة وقدّمت لهم الحقّ في جباية الضرائب، وأعفتهم من تسديدها وهذا بهدف التّقرب من كبار القائمين عليها، كما منحت لهذه المشيخات حق توارث هذه الامتيازات وكذلك النفوذ⁵، وبفضلها عاشت الأسر الحاكمة بأسلوبها الخاص نتيجة تلك الامتيازات، واستفادت من تلك المعاهدات والتنازلات التي قدّمتها لهم السلطة العثمانية كما استفادت منها هي بدورها أيضًا حسب ما أكّده لويس رين⁶.

وكلّ هذه الامتيازات وغيرها فازت بها العديد من المشيخات كأولاد بوعزيز ببلزمة وأولاد بوضياف جهة الأوراس وابن زكري بن قانة بمنطقة الزيبان ومشخة قصر الطير بأراضي الهضاب العليا من الناحية الغربية، وبفضل هذه المشيخات استطاعت السلطة العثمانية

¹ الملي: مرجع سابق، ص ص 303.

² لعريبي: المرجع السابق، ص 160.

³ طاليبي: المرجع السابق، ص ص 225-226.

⁴ سعيدوني: ورفات جزائرية...، المرجع السابق، ص 253.

⁵ شجري معمر: قبيلة أولاد عبد النور بالجزائر...، مرجع سابق، ص 710.

⁶ Rinn: op.cit, p5.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

تثبيت حكمها في البايك لمدة طويلة، وخير مثال على ذلك هو صالح باي (1771-1792م) الذي ساعدته هذه المشيخات على بسط نفوذه على البايك حيث كان يُحسن التعامل معها¹.

ومما أوردّه الضابط الفرنسي نيّال في مذكرته سنة 1255هـ/1839م عن أحمد باي (1826-1837م) أنه استعمل القبائل الجزائرية من أجل دعم سلطته بعد سقوط مدينة الجزائر، فقدّم لهم العديد من الامتيازات كتقلدهم أعلى المراتب فازدادت هيبتهم ونفوذهم، كما استخدمهم في الدفاع عن مدينة قسنطينة بعد حصارها²، وحتى الرجال الأوفياء والمخلصين من قبائل المخزن في باييك الشرق قد استفادوا من تعاطف أحمد باي 1826-1837م معهم، حيث أقطعهم العديد من الأراضي، ومن أمثلة ذلك ما منحه لرجل يدعى الخوجة حيث منحه أرضا بعزل عين المرسى نظير خدمته المتفانية له، وكذلك السيد علي بن إيصار باش الحامية والذي استفاد من أرض ببني حميدان³، كما استفادت أسرة بن زكري بن قانة من المناصب الهامة أثناء حكمه كونهم أصهاره ففازوا بهذا الامتياز⁴.

3. تولية المناصب:

خصّصت السلطنة العثمانية بعض العائلات من القبائل الجزائرية بوظائف خاصة، ومن خلالها يظهر مستوى العلاقة التي وصل إليها أفراد هذه القبائل بالسلطنة، ومن بين من تولى مناصب القضاء بالباييك في منطقة جيجل نجد عائلة الفرقاني، حيث تولّى سيدي عبد الرحمن الفرقاني منصب القضاء بها، وقد عُرف بعلمه، كما تمّ تكليفه في عهد صالح باي (1771-1792م) بوظيفة كاتب الأغا قائد النوبة، و كان يساعد عائلة أولاد مفران المرابطية في ضمان خدمة القوافل بأراضي البايك، ففي جلّ الأوقات تواجد في مقدّمة

¹ بوعزيز: المرجع السابق، ص46.

² سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: المرجع السابق، ص267.

³ فركوس: المرجع السابق، ص46، 47.

⁴ بوعزيز: نفسه، ص47.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

القافلة أو مفرزة أفراد الانكشارية المتوجهين بهم من عاصمة البايك نحو جيجل، كما شغل أبنائه وأحفاده حتى سقوط قسنطينة هذه الوظيفة¹.

وتولت بعض الأسر البارزة مناصب هامة في البايك من خلال علاقة المصاهرة التي ربطتها بالسلطنة العثمانية، حيث دعم البايات شيوخ بعض القبائل، وكانوا لهم السند القوي لتقلد أهم المناصب في البايك، وهو منصب شيخ العرب، وتمكن بعضهم من تعيينهم بوظائف مرموقة بالجهاز الإداري الريفي، كما استفادت أيضا من مزايا مختلفة كالاستفادة من المراعي والإتجار في الأسواق مقابل إحدى الضرائب الرمزية، وقد استفاد بعضها من تمتعها بنوع من الاستقلال الذاتي مكنها أن تشرف على مجموعة من القبائل كعائلة بن قانة مثلا²، والتي استفادت من ترقية خاصة في المنصب، وذلك بتولية حسين باي بوحناك (1736-1754م) لمحمد بن الحاج بن قانة لمنصب الوزير، ليبقى منصب شيخ العرب فارغا، فنصب عليه ابن الوزير لتثور ثائرة أعمامه على هذه التولية، وتتفجر المعارك، ويبدأ الصراع داخل أسرة بن قانة، وأمام هذا الحال تدخل الباي إنجليز (1798-1803م) لينصب ذباح بن عكار على مشيخة العرب، واستمر الصراع على المشيخة بين أفراد الأسرتين³.

كما نصبت السلطنة شيوخا اختارتهم على القبائل لضمان ولائهم وعزلت آخرين، ومن أمثلة ذلك نجد تولية إبراهيم بن الشيخ الحاج أحمد على تقرت من طرف مصطفى الوزناجي بعد إبعاد الشيخ محمد بن إبراهيم الأكبر المعروف بالمهماس منها، والذي تم تعيينه من قبل أهل توقرت سنة 1795م⁴. ومما وجبت الإشارة إليه هو تنصيب الشيوخ المشرفين على

¹ فيرو: المرجع السابق، ص 145.

² طاليبي: المرجع السابق، ص ص 225-226.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص ص 292-294. للمزيد ينظر: نفسه، ص ص 294-305.

⁴ العوامر: المرجع السابق، ص ص 281-282.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

القبائل لمزاولة مهامهم من قبل القيّاد، وذلك بالرجوع - طبعاً - إلى آغا العرب في المنطقة¹، كما أسندت مهمة قيادة الحملات العسكرية لشيخ العرب في جنوب البايك على القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب².

وفي عهد أحمد باي (1826-1837م) استفادت القبائل الجزائرية بالبايك من تولّي أعلى المراتب من المناصب بعد سقوط مدينة الجزائر، وقد أكّد هذا الضابط الفرنسي نيال في مذكّره سنة 1255هـ/1839م، فزادت بذلك هيبتهم ونفوذهم، كما استخدمهم في الدفاع عن مدينة قسنطينة بعد حصارها³.

4. سياسة التقدير والاهتمام:

ومما يبيّن سياسة اهتمام السّلطة العثمانية بالشيوخ المرابطين والزعامات الروحية في بايك الشرق وتقديرها لهم، هو تقديم الباي امحمد تشاركر (1229هـ/1814م) للمرابطين والرجال الصالحين وحتى العرّافين ما يحتاجونه من متطلّبات؛ خاصة الخيل والبغال وحتى الأموال، وهو بذلك يريد أن يكسبهم، ولعل ذلك نابع من معتقداته نحوهم، وهو في الأصل من الرجال المحبين للإبادة والتقتيل⁴، والمُلاحَظ على المرابطين الدّراويش أنّ البّايّات يغضّون النّظر على أعمالهم في حضورهم، وتقديم السّلطة اللباس لهم سنوياً، هذا الأخير الذي تمثّل في البرنّوس والفندورة⁵.

ومما يؤكّد اهتمام السّلطة بالقبائل المرابطية إلى درجة التخوّف منها ما ذكره فايسست عن قبيلة أولاد سيدي عبيد الذين غزاهم شاكّر باي (1814-1818م) حين أراد صَبّ جام غضبه عليهم مكان النّمامشة - الذين فرّوا منه ولم تظلم يداه - سنة 1817م، فغنم منهم

¹ سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 229.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، المرجع السابق، ص 162.

³ سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: المرجع السابق، ص 267.

⁴ فايسست: المرجع السابق، ص 245.

⁵ شلوصر: المصدر السابق، ص 84.

الكثير، إلا أنه تراجع عن ذلك وأرجع لهم ما أخذ، كما منح رايةً لشيخهم، وقدم لهم مالاً لينبوا مزاراً لضريح جدّهم. وقد أولى بعض البايات اهتماماً بالغاً ببعض العائلات في البايك، ومن أمثلة ذلك ما فعله أحمد المملوك (1820-1822م) بعد رجوعه من حملته على وادي سوف حيث منّ على عائلة بن زكري وعائلة بن نعمون تعويضاً منه على ما ألحق بهما، بأمر من باشا الجزائر في فترة حكمه الأولى، وبالتالي أصبح كلاهما من ذوي الحضوة على السلطنة في البايك حينها. ومن مظاهر الاهتمام والتقدير التي أولاها البايات لبعض القبائل الجزائرية بالبايك نجد ما قام به الباي ابراهيم القریتلي (1821-1824م) عندما نصب ابنه إسماعيل قائداً على العواسي ملحقاً إلى جانبه الشيخ سي أحمد المعالي كمستشار ومعلم له أيضاً، وقد تميّز هذا الأخير بكونه رجل علم ودين قلماً تجد مثيله في البايك، وقد كان ابنه صغيراً فخاف أن يظلم المحكومين¹. ومن هذا يمكن أن نستنتج مدى اهتمام السلطنة بمن يمثلهم عند القبائل ذات الوزن الكبير بالبايك كالحراكتة مثلاً.

كما أظهرت السلطنة العثمانية اهتماماً بالغاً بالسكان في باييك الشرق جرّاء موجات الأوبئة والطاعون خوفاً على هلاكهم ممّا جعلها تتخذ إجراءات للحدّ من انتشاره في كل البايك، ومن مظاهر ذلك ما أمر به صالح باي (1771-1792م) سنة 1787م حيث فرض تشكيل حزامٍ صحيّ حول مدينة عنابة و تحوّمها لمنع انتشار الأوبئة، وغلقها للموانئ سنة 1793م ومنع الاتصال بالأجانب جرّاء موجة الطاعون التي ضربت البايك، ووصلت حتى منطقة الزيبان في الصحراء². كما وفّرت السلطنة العثمانية الحبوب لسكان البايك سنة 1800م من الخارج حتى تؤمّن الغذاء لهم جرّاء المجاعة حينها³. كما منّع أحمد

¹ فايس: المرجع السابق، ص 248، 266، 267، 272.

² موساوي: المرجع السابق، ص 65، 67.

³ عباد: المرجع السابق، ص 398.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

باي (1826-1837م) الاتصال بالأجانب المقيمين بالباستيون أثناء انتشار الطاعون في نواحيه¹.

وفي أيام المجاعات نجد القبائل الجزائرية بأرياف البايك تتوجّه نحو قسنطينة لطلب مساعدة رجال السلطنة هناك، لذلك يسعى البايات في مراسلة الأعراس بحمل الحبوب نحو قسنطينة لتُشرف السلطنة هناك على توزيعها لمستحقّيها، ومن البايات الذين أمروا بذلك نجد الباي عبد الله². كما أولت السلطنة العثمانية اهتمامًا بإقامة المقابر، ومنها نذكر إقامة تشاركر باي (1814-1818م) لمقبرة بالمنطقة المسمّاة سيدي عبد القادر، ويدخل هذا في اهتمامه بالصّدقات وبناء المؤسسات الدّينية³.

ومما وجبت الإشارة إليه أن السلطنة اهتمّت نوعا ما بالقبائل في وقت الأوبئة، ودليل ذلك تعيين أحمد باي (1826-1837م) سنة 1835م اتحادًا للمستبّلين، ضم 80 فردًا إثر وباء الطاعون الذي اجتاح البايك، فكانت مهمّته انتشال الجثث من البيوت، وقد تكلفت الإدارة مهمّة تسديد رواتبهم⁴. ويعتبر هذا دليلا واضحا على مدى اهتمام السلطنة العثمانية بالحالة الصحية لسكان البايك في فترة الأوبئة والمجاعات بهدف المحافظة على صحة الأحياء وضمان دفن الموتى بصورة تليق بهم.

5. سياسة غُضّ النظر عن التجاوزات.

لقد برزت هذه السياسة في القليل من المرّات نظراً لاتباع السلطنة العثمانية سياسة القوة والعنف مع القبائل في معظم الأوقات.

¹ الوثيقة رقم 36 بالمجموعة 1641. ينظر: الملحق رقم 06، ص286.

² بن العنّري: مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص15.

³ فايس: المرجع السابق، ص 250.

⁴ نفسه، ص299.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

ومن بين مظاهر هذه السياسة نجد عَفُو الباي ابراهيم القريتي (1821-1824م) على أبناء بن زكري الذين هربوا من السجن، وأعلنوا تمردهم على السلطنة، وتوجهوا نحو فرجوة عند مقورة بن عاشور، وقد انتهزوا فرصة تواجد مصطفى أخ الباي ضيفاً على المنطقة فاجتمعوا به وطلبوا توسّطه ليعفو عنهم الباي وكان لهم ذلك¹.

ومما يلاحظ على المرابطين الدراويش أن البايات يغضون النظر عن أعمالهم في حضورهم². كما غضت السلطنة نظرها على تجاوزات بعض المرابطين، كالمرباط سيدي محمد أمقران جرّاء سجنه لأغا النوبة بجيجل ثم أطلق سراحه، فتجاوزت عنه السلطنة واكتفت بتذكيره بمهمته واحترام سلطة الأغا والوقوف إلى جانبه³.

ويندرج في السياق نفسه ما قام به الباي أحمد 1826-1837م من غضّ النظر عن تجاوزات بعض الشيوخ، عند نهاية الحملة الفرنسية الأولى لقسنطينة سنة 1836م، عندما كان أهالي قسنطينة محاصرين لوحدهم ووجدوا أنفسهم أمام خيار الاستسلام، فبعثوا ب خطاب كان من بين من أمضوه شيخ البلاد سيدي الفقون⁴، وعلى إثر انهزام رجال الحملة وعودة الباي إلى قسنطينة، ومعرفته بنص الخطاب قتل المرابط العربي⁵، فلم يعجب هذا التصرف شيخ البلاد وخاطبه بأسلوب وبكلمات أنقصت من مكانة الباي، إلا أنه تجاوز عنه وكظم غيظه، ومن بين الكلمات نذكر ما أورده فايست بقوله: «...ألا يحسن بنا وبعائلاتنا أن

¹ فايست: المرجع السابق، ص 275.

² شلوصر: المصدر السابق، ص 84.

³ فيرو: المرجع السابق، ص 174.

⁴ كان إلى جانبه قائد الدار (أو مؤلى البلاد) ممن أقتنع باستحالة المحافظة على المدينة ووجوب الاستسلام، إلا أن السكان استأثروا وغضبوا من هذا الكلام وواصلوا مقاومتهم، وبعد فشل الحملة عفى عنهم الباي إلا أنه غرّمهم بغرامة كبيرة. ينظر: شلوصر: المصدر السابق، ص 57.

⁵ المرابط العربي: مرابط كرغلي تبادل عدة رسائل مع الفرنسيين، كما انظم إلى الفرنسيين ليقر بعدها إلى عنابة، وقد اعتقلته القبائل، واقتادوه إلى الباي الذي أمر بقتله. ينظر: نفسه، ص 57.

نستسلم ونطلب الأمان؟ فكفّ إذاً، أيها الحاج أحمد، عن ظلمك وجرائمك؛ لأننا عزمنا على مقاومة جبروتك»¹.

وفي أواخر الحكم العثماني ظلت السلطنة العثمانية سائرة في تبني سياسة غضّ النظر على ما يقوم به بعض الأفراد من الطرق الصوفية، خصوصاً تلك الخرافات التي ألقوا نشرها، وإلى جانبها انقيادهم للشعوذة، حيث لم تحرك ساكناً لمحاربتهم، بالرغم من أنها أصبحت مصدرًا للفوضى والفتن في البايك².

6. القرابة واستغلالها من طرف القبائل.

استفادت بعض الأسر البارزة من مناصب في البايك، مستغلة في ذلك علاقة المصاهرة التي ربطتها بالسلطنة العثمانية، فقد دعم البايات شيوخ بعض القبائل، وأصبحوا السند لهم ليتقلدوا مناصب في البايك غاية في الأهمية، ولعل من أبرزها منصب شيخ العرب، كما تمكّن بعضهم من شغل وظائف إدارية مرموقة بالأرياف، واستفادوا أيضا من مزايا مختلفة، كاستغلال المراعي والاتجار في مختلف الأسواق مقابل إحدى الضرائب الرمزية، وقد تمكّن بعضها من التمتع بنوع من الاستقلال الذاتي مكّنها أن تشرف على مجموعة من القبائل كعائلة بن قانة مثلا³. كما استفادت أسرة بن زكري بن قانة من المناصب الهامة أثناء حكم أحمد باي (1826-1837م) كونهم أصهاره ففازوا بهذا الامتياز⁴، كما تمّ منحها ترقية خاصة في المنصب، وذلك بتولية حسين باي بوحنّك (1736-1754م) لمحمد بن الحاج بن قانة لمنصب الوزير⁵.

¹ فايس: المرجع السابق، ص 301.

² الزبيري: المرجع السابق، ص 48.

³ طاليبي: المرجع السابق، ص ص 225-226.

⁴ بوعزيز: المرجع السابق، ص 47.

⁵ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، المرجع السابق، ص 294. للمزيد ينظر: نفسه، ص ص

294-305.

وقد استفادت عائلة بن قانة أيضًا من تولّيها منصب شيخ العرب بالصحراء سنة 1830م، فقد حظيت هذه العائلة برعاية خاصة من قبل أحمد باي (1826-1837م) كونه ترعرع بينهم، فقد أسند لبوعزيز بن قانة هذا المنصب، ممّا فتح عليه باب صراع مرير بين هذه العائلة وعائلة بوعكاز التي كان يترأسها فرحات بن السعيد، هذا الأخير الذي خاض حروبًا طاحنة ضدّ هذا الباي وبن قانة وإلى جانبهما عرب الشّراقة، والتي من بين فروعها أهل بن عليّة الأشراف وقمرة وأولاد أهل النور وأولاد سحنون بالحضنة وكذلك أولاد شتّوف¹.

7. التقرب بالهدايا للباي في الأعياد والمناسبات:

عملت العديد من القبائل الجزائرية بمختلف أطرافها في كثير من المناسبات على التقرب من السلطنة العثمانية في بابلك الشرق بالهدايا، إرادة منها في التودّد لها، والحفاظ على أمنها وامتيازاتها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره شلوصر لمّا تكلم على القبائل الجزائرية المتوطّنة بالصحراء بأنها كانت تبعث هدايا للباي من فترة إلى أخرى، وقد تمثّلت هداياها في شكل نعاعات يافعات. كما دأبت القبائل الجزائرية الصحراوية على إرسال قطع فضية كهدايا للباي، والتي غالبا ما وجدتھا داخل مغارات بالجنال الواقعة على أراضيها، وهي عبارة عن قطع نقدية قديمة².

كما ارتبطت بعض الزوايا بعلاقة ودّية مع السلطنة العثمانية، ومن أبرز مظاهر تلك العلاقة إرسالها للهدايا لأكبر ممثّل للسلطنة، ومن أمثلة ذلك نجد زاوية القننيس التي ظلت تتقرب من السلطنة العثمانية بتقديم الهدايا إلى البايات حتّى تضمن العيش في أمان وسكينة، وحتّى تحظى بالاعتبار بين قبائل المنطقة³. ويمكن أن نستنتج من خلال عملها

¹ فركوس: المرجع السابق، ص ص 48-49.

² شلوصر: المصدر السابق، ص 101، 103.

³ فركوس: نفسه، ص 46.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

هذا أنها تريد شراء السلم مع السلطنة في البايك، والتي عرفت بممارستها للقوة في كثير من المرات.

والملاحظ أن تقديم الهدايا للبايات من قبل بعض الشيوخ السابقين لقبائل كان بهدف استرجاع المنصب، وإظهار الطاعة للسلطنة العثمانية ومحاولة استمالتها، ومن أمثلة ذلك نذكر تقديم الشيخ فرحات بن جلاب هدية عظيمة لحسن باشا عند توليه الحكم على البايك، والتي حوت عددا من العبيد و15 أمة ومهران، وكثيرا من النقود طمعا في استرجاع ولايته، إلا أن الباي المذكور أخذ الهدية وسجنه، وأكرم الرجال الذين أتوا معه من الوادي، ثم سمح لهم بالرجوع إلى منطقتهم¹.

كانت هذه أبرز مظاهر التواصل والولاء في علاقة السلطنة العثمانية بالقبائل الجزائرية على المستوى الاجتماعي، وفيما يلي سنحاول التركيز على أهم المظاهر الثقافية في تلك العلاقة.

¹ العوامر: المرجع السابق، ص282.

المبحث الرابع: ثقافياً.

1. إنشاء المؤسسات التعليمية:

ظلت المدارس منتشرة في كامل أرجاء الإيالة¹، فالحركة العلمية في الجزائر أثناء العهد العثماني لم تتوقف في كل بايلكاتها²، وقد لعبت الأوقاف إلى جانب المدارس دوراً أساسياً في الميدان التعليمي في جميع البايلاكات، حيث أنفقت عوائدها على المعلمين، وتقديم العديد من المساعدات للطلبة، وأيضاً لبناء المدارس وصيانتها، وبذلك فقد انتشر التعليم في الأرياف وكذلك المَدُن بفضل عوائد الأوقاف والزوايا أيضاً³، وحتى مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر بقيت العلوم تدرّس بمختلف الزوايا والمساجد، بالرغم مما أصاب الحالة العلمية من ارتباك نتيجة أهوال الحروب والمعارك⁴.

ومما لاحظته الورثاني في رحلته نهاية القرن 17م عدم اشتغال السلطنة العثمانية ببناء المدارس ولا بكثرة الأوقاف بالبايلك⁵، ولكن وصول صالح باي (1771-1792م) للحكم كان له الأثر الإيجابي على التعليم ومؤسساته، فقد جعل التعليم من أولوياته، ومن مساهمة صالح باي (1771-1792م) في النهوض بالتعليم بمختلف مناطق البايك نذكر تخصيصه لقسم من مداخل البايك لإنشاء المدارس والمساجد في قسنطينة، ومختلف أراضي بايلك الشرق في المدن وحتى في المناطق الصحراوية بالبايلك، كما جعل عليها أوقافاً وساهم السكّان بأوقاف لهم عليها بهدف دعمها⁶. وفي هذا الإطار بنى صالح باي (1771-1792م) مدرسته المسماة بمدرسة سيدي الكتاني حيث انتهت بها الأشغال سنة

¹ الزبيري: المرجع السابق، ص 47.

² المدني: كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص 127.

³ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج 1، المرجع السابق، ص 258. وينظر: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، مرجع سابق، ص 126.

⁴ المدني: كتاب الجزائر، نفسه، ص 132.

⁵ الورثاني: الرحلة الورثانية...، المجلد 2، مصدر سابق، ص 791.

⁶ شعيب: المصدر السابق، ص 315. وينظر فايس: المرجع السابق، ص 167، 168.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

1189هـ/1775م، وهي ملحقة بمسجد سُمِّي بنفس الاسم، حيث انتهى من تشييده سنة 1190هـ/1776م، فقد أراد الباي إيجاد مدرسة تكون مَهْمَّتُها الاهتمام بالتعليم العالي للشباب من مختلف جهات البايك، كما قام ببناء مدرسة بجانب مسجد سيدي لخضر سنة 1203هـ/1789م¹، وجعل للمدارس نظامًا خاصًا تتبَّعه في جميع أراضي البايك، فقد اهتمَّ بالمعلمين والمتعلمين على حدٍّ سواء، و كان من بين القوانين المنظمة قبول الطلبة الحافظين لكتاب الله سواءً من الأرياف أو المدينة².

2. تسيير الأوقاف:

وجدت السلطة العثمانية أنَّ خير وسيلة لتأكيد نفوذها وبقاء الاستمرار لسلطتها على القبائل الجزائرية يظهر في تعزيز الروابط الروحية، فبادرت بإظهار الورع والقيام بتخصيص أوقاف تُصرف على احتياجات الرعية، فعَمِلُوا على تنظيمها وحفظ مواردها وتسجيل عائداتها³، ولكون الوقف من أبرز الأجزاء المهمة والمُشكَّلة للنسق الاجتماعي بالأرياف وكذلك الحواضر في العهد العثماني⁴.

فاهتمَّت السلطة العثمانية بتنظيم الأوقاف والحبوس في البايك، خصوصاً تلك التي كانت موجَّهةً لخدمة التعليم والمساجد، وقد كان أول من قام بذلك الباي صالح⁵، وابتداءً من أبريل 1776م أُسند للقضاة والمُفتين مَهْمَّةُ البحث عن الأوقاف التابعة للمساجد، وكذلك المساجد التي حُوِّلَت إلى مدارس، كما أمر بتدوين ذلك في سجلات خاصة تُحفظ عند أمين بيت المال وشيخ العرب والقاضيين المالكي والحنفي كل له نسخته الخاصة، وقد ساهم هذا

¹ فايس: المرجع السابق، ص، 163، 166، 165. وينظر: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص 74.

² فايس: نفسه، ص، 163، 166، 165.

³ سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، نفسه، ص 124.

⁴ بوغفالة ودان: الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني، ج 1، ط 1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر 2015م، ص 30.

⁵ شعيب: مصدر سابق، ص 08.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

في وقف التجاوزات التي كانت تحصل. كما أمر بإيجاد حبوس جهة عناية لتكون موجّهة للإنفاق على الحفر وقنوات لصبّ مياه السهل نحو وادي سبيوس والوقوف على صيانتها¹. ومن بين من اهتمّ بالأوقاف أيضًا نجد حسين باي بوحنّك (1756-1771م) الذي بنى الجامع الأخضر وأوقف عليه حبوسًا². ومما وجبت الإشارة له وجود مكتبات عامة أوقفت على المساجد والزوايا والمدارس، وهي منتشرة في ربوع البلاد خاصة في المدن كقسنطينة مثلاً، وقد كان الطلبة والأساتذة يرتادونها من كل النواحي³.

3. إنشاء الزوايا ودعم السلطنة لها:

ساهمت السلطنة العثمانية في تأسيس الزوايا للمرابطين معهم في البايك، ومن أبرز هؤلاء المرابطين نجد سيدي عبد القادر مقران، حيث أنشأت له السلطنة العثمانية بمنطقة البرباشة زاوية خاصة به سنة 1682م، ومنحته أوقافاً له ولذريته، فاستقادوا بذلك من الزكاة والخراج، كما منع التّعريض له⁴. بالإضافة إلى هذا أنشأ الباي حسين بوحنّك (1736-1754م) للولي الصالح الشيخ الشليحي زاوية له ناحية أولاد عبد النور؛ عُرفت بزاوية الشليحي، بعدما أُرعبه بعدد كراماته التي أذهلته، وصار يؤمن بكرامة الأولياء من وقتها، كما أعطاه داراً عُرفت بدار الشليحي⁵. وبفضل هذا الم رابط أصبح الباي حسن سخيّاً على الأولياء والصالحين ومتصالحاً معهم⁶.

وقد استفادت زاوية الم رابط محمد بن علي بأرض أولاد عبد النور من حماية الباي بوكمية بعدما حاول استخلاص الضرائب منه بالقوة، إلا أنّ الم رابط أظهر له بعض كراماته ممّا

¹ فايس: المرجع السابق، ص 168، 169.

² بن العطار: المصدر السابق، ص 130.

³ بن ميمون: المصدر السابق، ص 61.

⁴ Féraud: *Histoire des villes ...*, Bougie, op.cit, p201.

⁵ بن العطار: نفسه، ص 129.

⁶ سعودي: مرجع سابق، ص 506.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

جعله يلغي الضرائب عنه ويُقوّم بحماية زاويته¹. ولعلّ بواسطة تلك الحماية التي ضمنها زاويته استطاعت تلك الزاوية من أن تحتلّ مكانةً خاصّةً بين القبائل وممثلي السلطنة في البايك.

كما استفادت زاوية سيدي عبد الوهاب وزاوية بن سيدي الميهوب اللتين امتلكتهما قبائل أولاد سالم بالمنطقة الجبلية المحاذية للبابور، وإيمولا الواقعة بمنخفض واد الساحل من عقد تمّ تحريره سنة 1118-1119هـ/1707م من طرف السلطنة العثمانية بدار السلطان، تطلب فيه من القبائل أن يحترموا الزاويتين وأن يُشرّفوهما، كما استفادا من امتيازات اقتصادية مختلفة² وهذا إقرارٌ صريحٌ يُظهر مدى دَعْمِ الباشوات للزاويا بباييك الشرق.

4. الاستفادة من الزاويا:

كان لبعض شيوخ الزاويا في باييك الشرق نفوذٌ وتأثيرٌ كبيران على القبائل الجزائرية بهذا الإقليم، لذلك عمدت السلطنة العثمانية على استخدامهم بمختلف الطرق كتقديم الامتيازات المختلفة للاستفادة منهم³، ومن بين مظاهر ذلك استخدام رجال الزاويا كوسطاء خصوصا بمنطقة القبائل، حيث تدخل آل مقران في حادثة السفينة التي رست بين جيجل وبجاية من أجل تحرير زوجة القنصل الفرنسي وابنه من قبائل المنطقة بعدما فشلت كل محاولات السلطنة حينها⁴. وإلى جانبها زاوية بلحاج الواقعة بين باتنة وسريانة، حيث تعدّ من الزاويا التي تمتعت باحترام وتقدير القبائل في المنطقة، وبفضل هذه السمعة نصّبت نفسها كوسيط بين القبائل والسلطنة العثمانية، وبمثابة حلقة وصل بين الطرفين. وإلى جانبها توجد

¹ شكري معمر: قبيلة عبد النور بالجزائر...، المرجع السابق، ص717. وينظر: معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في باييك الشرق...، المرجع السابق، ص253.

² فيرو: المرجع السابق، ص138.

³ عمورة: موجز في تاريخ...، المرجع السابق، ص105.

⁴ بن واز مصطفى و حيمي عبد الحفيظ: علاقة الطرق الصوفية في الجزائر بالسلطنة العثمانية بين المساندة والمعارضة، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 14، ع 01، جوان 2014، ص81.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

بمنطقة الأوراس الزاوية المعروفة بمُول السبيل بالمنعة، والتي طالما قدّمت خدماتٍ متنوعةً إلى القبائل الجزائرية بالمنطقة وكذلك للسلطنة العثمانية بالبايلك¹.

وفي السياق نفسه استفادت السلطنة العثمانية من مساندة رجال الزوايا لها والوقوف إلى جانبها في زمن الثورات، وبفضلهم تمكّنت السلطنة من القضاء على أعنف الحركات بالبايلك، وهي حركة بن الأحرش والتي بفضل الاستعانة بأتباع الطريقة الرحمانية الذين عرفوا بمعاداتهم للدقاويين تمّ هزم هذا المتمرد، وتوجّه هارباً نحو الغرب الجزائري².

ولطالما ظلّت الزوايا ملجأً للبايات أثناء فترات التوتر الداخلية، ومما يبرز ذلك توجّه الباي علي بن صالح (1710-1713م) إلى إحدى الزوايا الواقعة بمنطقة مجانية والتي تُدعى زاوية سيدي أحمد بن علي سنة 1710م نظراً للأوضاع المتوتّرة حينها³، أو يتمّ استغلالها لمصالح البايات الشخصية، كاستغلال الباي إنجليز (1798-1803م) زاوية سيدي السعيد الموجودة بكُدية علي في دفن أموال له، والذي عاد لسحبها هو وابنه بعد حصار قسنطينة من طرف حمودة باشا⁴، ويُستنتج من هذا أن بعض ممثلي السلطنة استغلوا بعض الزوايا لخدمة مصالحهم الخاصة، الأمر الذي أضّرّ بسُمعتها بين الجميع.

5. الاهتمام بالمرابطين والعلماء والاستفادة منهم:

لقد استفاد المرابطون من احترام السلطنة العثمانية لهم، كما أجادت عليهم العديد الامتيازات، ومن بينها أن أضحت منازلهم وأضرحتهم مقدسة، وكل ملتجئ لها لا يمكن المساس به، وقد اتبعت السلطنة العثمانية هذه السياسة من أجل كسب ودّ القبائل

¹ سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 445، 444.

² سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص 77.

³ غراف هجيرة: مسار العلاقة بين السلطنة الزمنية والسلطنة الدينية من خلال أنموذج إيالة الجزائر العثمانية، مجلة مدارات تاريخية، المج 02، ع04، 2020، ص 388.

⁴ Féraud Charles: *Un vœu d'Hessien bey. Constantine 1807*, R A, V 7, Paris, 1863, pp 90-91.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

الجزائرية¹، حتى أصبح بعض البايات يزورونهم ويقدمون نذورًا في حالة نجاح حملاتهم على بعض المناطق، كنذر حسين بن صالح باي (1806-1807م) لسيدي العريان بخاب بأن يبني له مسجدًا و دارًا، و أن يخصص له أوقافًا لزويته سنة 1222هـ/1807م في حال نجاحه على حمودة باشا²، وكذلك للشيخ محمد بن سي سعيد³.

ومن أبرز مظاهر تواصل السلطنة العثمانية مع المرابطين وطلبها الوقوف إلى جانبها في إخماد الثورات والتمردات، نجد طلب الحاكم الباشا يوسف من مرابطي بايلك الشرق مساعدة جيوش البايك في إخماد التمردات و من بينهم نذكر المرابط محامد بن عيسى، وطلب كل من تشاكر باي (1814-1818م) وأحمد بن فرحات (1700-1703م) من المرابطين ليكونوا عونًا لهما في إخماد الثورات في البايك⁴.

كما ساهم المرابطون في بايلك الشرق بإطلاق النداء للقبائل من أجل الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م⁵ وبعدها، حيث نجد من بين المرابطين سيدي علي بن عيسى (ت1836م)، إذ يذكر شلوصر أنه شاهده يدعو لمحاربة الفرنسيين في بجاية فاجتمع عليه أفراد محاربون من القبائل وأعيانهم من كل حذب وصوب، وانطلقوا في محاربة الفرنسيين، وقد كانت كلمته مسموعة بين القبائل⁶، ولقد كان من بين أهم الأدوار التي قام بها المرابطون هو دعم الحكم القائم⁷.

أما طبقة العلماء في الجزائر أثناء العهد العثماني فقد عرفت بأنها من الطبقات المميزة والمحترمة بين الجميع، إذ لاقت هذه الطبقة اهتمامًا من السلطنة العثمانية، فلم يهينوهم أو

¹ خوجة: مصدر سابق، ص73.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص253.

³ Féraud: *Un vœu d'Hessien bey...*, op.cit, pp 91-92.

⁴ موساوي: مرجع سابق، ص191.

⁵ Féraud: *Histoire des villes ...*, Bougie, op.cit, p229.

⁶ شلوصر: المصدر السابق، ص21.

⁷ عباد: المرجع السابق، ص366.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

يُؤسّوا بكرامتهم بل كانوا يعملون على استجلابهم نحوهم وبنصائحهم يعملون ويقتدون¹، فقد أيّدت هذه الطبقة من المجتمع حُكم السلطة العثمانية في المنطقة لأنّه حُكم شرعيّ في نظرهم ولا يمكن الخروج عنه².

وفي أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بدأت تتدهور علاقة السلطة العثمانية بالعلماء، وقد تخلّل ذلك بعض مظاهر التقارب بينهم بهدف تبادل المصالح بين العلماء وكذلك شيوخ الزوايا وإلى جانبهم المرابطين مع السلطة العثمانية في عديد المناسبات³. ولذلك فالسلطة العثمانية كان لها ميلٌ بالاهتمام بالعلماء، وتقريبهم إلى صفّها نهاية الحكم العثماني، كما شجعت ما تعلّق بالحركة العلمية والدينية⁴. فقد ارتبطت السلطة العثمانية بعلاقات جديدة مع فئة العلماء، ومن مظاهر ذلك نجد محافظة الباي إبراهيم باي القریتلي (1811-1824م) على علاقاته الجيدة والدائمة بهم ممّا أكسبه ذلك تعاطف الجميع لفترة طويلة⁵.

كما حرص بعض البايّات على إشراك بعض العلماء والاستفادة من خبرتهم وتوظيفهم كمستشارين ومعلّمين لقيّاد بعض القبائل، وهذا يُعتبر من مظاهر الاهتمام والتقدير التي أولّاها البايّات لهم، وخير مثال على ذلك نجد ما فعله الباي ابراهيم القریتلي عندما نصّب ابنه قائداً على العواسي وألحق إلى جانبه الشيخ سي أحمد المعالي كمعلّم له ومستشاراً أيضاً نظراً لصغر سنّ ابنه. وقد اكتسب ابراهيم باي القریتلي (1821-1824م) محبة الجميع

¹ المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص62.

² بلخوص: جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية ...، المرجع السابق، ص74.

³ منادي: المرجع السابق، ص470.

⁴ طاليبي: مرجع سابق، ص213.

⁵ Vayssettes E : Histoire des derniers beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute d'Hadj Ahmed (1) Braham bey El-Greitley 1822, R A, V 7, Paris, 1863, pp 114-115.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

نظراً لعلاقاته الطيبة التي ربطها مع الأهالي خاصة العلماء منهم¹، حيث نال العلماء مكانة خاصة بين القبائل الجزائرية في بايلك الشرق، كما استفاد منهم الكثير².

وقد أرادت السلطنة العلمية توظيف العلماء من أجل خدمة مصالحها، خاصة المتمثلة في إخماد الثورات والتمردات، وذلك نظراً لمدى تأثير هذه الطبقة على أفراد القبائل الثائرة، لذلك أرادت استخدامهم بهدف نصح الرعية بوجوب طاعة ممثلي السلطنة في البايك وتقادي الفتن³.

وقد ساهم الفقهاء في عديد المرات في دعم السلطنة والوقوف بجانبهم في مناسبات عديدة وحثّ أفراد القبائل على مساندة السلطنة ودعمها، إذ تمّ استخدام أفراد من قبائل منطقة بسكرة في إنجاز العديد من الأشغال العمومية لصالح السلطنة العثمانية⁴، وتمت الاستفادة من خدماتهم حتى خارج إقليم البايك، ونجد ذلك في الاستعانة بهم من أجل إعادة بناء مدينة الجزائر وتحسينها في عهد الداي عمر⁵، فقد عمل الفقهاء على حثّ الحرفيين والعامّة من أجل المساهمة في أعمال البناء لتحسين أبراج دار السلطان وإعادة بناء مدينة الجزائر بعد أن تعرّضت لحملة إنجليزية هولندية في عهد هذا الباي⁶.

كما تمّ التواصل مع بعض العلماء نظراً لمكانتهم بين القبائل الجزائرية، وذلك من أجل الاتصال بالرعية لحثّهم على دعم السلطنة العثمانية، والوقوف إلى جانبها جهاداً ضدّ الإنسبان، ومن مظاهر ذلك إرسال يوسف باشا برسالة إلى محمد ساسي البوني يطلب منه

¹ فايس: المرجع السابق، ص 272، 271.

² المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 128.

³ سعد الله أبو القاسم: رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة، مجلة الثقافة، ع 51، وزارة الاعلام والثقافة، مايو- جوان 1979م، ص 17.

⁴ شالر: مصدر سابق، ص 110.

⁵ نفسه، ص 168. وينظر: أوجرتي: مرجع سابق، ص 336.

⁶ أوجرتي: نفسه، ص 336.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

حثّ الخاصة والعامة على الجهاد ضدّ الإسبان في وهران¹. ومن خلال هذه الرسالة تظهر مكانة العلماء بين القبائل وعند السلطة فهم الداعم الروحي للسلطة بين القبائل، كما اتخذهم السلطة كأداة طيّعة تستعملهم في بعض المناسبات المهمة من أجل حشد قوى القبائل للدفاع عن الدين والوطن.

كما ظلت السلطة في اتصال مع العلماء المشهورين في مناطقهم، واستمرت في الإشادة بهم وبإنتاجهم العلمي، ومن بين هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر، نجد أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني والذي أرسل له محمد بكداش سنة 1115هـ/1705م رسالة يذكر فيها مدى إشدّته بهذا العالم، وبسروره بمؤلفاته التي وصل صيتها إلى مدينة الجزائر والذين فرحوا بها، كما طلب منه إبلاغ السلام له ولأهله ومن يقرب منه، راجباً منه النصح والدعاء له². فعائلة الساسي البوني بعناية تآزرت مع السلطة العثمانية في البايك وساعدتهم³. وكل هذا يعتبر من مظاهر التقارب بين السلطة والعلماء في البايك.

كما أسندت السلطة العثمانية مناصب خاصة بالعلماء نظراً لرفعة مكانتهم بين العامة، فقد كلفتهم بمهمة الإفتاء والخطابة والإمامة في المساجد، إضافة لتقلد بعضهم وظائف دينية حساسة كالقضاء مثلاً⁴، أو استخدامهم كوسيط بينها وبين السكان، ومن بين العلماء نجد الحسين الورثاني⁵ الذي استعانت السلطة العثمانية به لحل بعض المشاكل في منطقة زواوة⁶، ولعل هذا بهدف تخويف السلطة من قبائل المنطقة التي لا تتقبل العنصر

¹ سعد الله: رسائل بين باشوات...، المرجع السابق، ص 21-23.

² نفسه، ص 18.

³ سعودي: مرجع سابق، ص 503.

⁴ منادي: المرجع السابق، ص 473.

⁵ الورثاني الحسين: هو الحسين بن محمد المولود ببني ورثان سنة 1125هـ من أسرة عربية شريفة، صاهر جده أسرة أولاد أمقران حاكم منطقة قنزات، وهو من المرابطين، كما كانت أسرته على صلة بعائلات قسنطينة. للمزيد ينظر: سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج 2، ط خ، دار البصائر، حسين داي الجزائر، 2007، ص 394-398.

⁶ منادي: نفسه، ص 475.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

الخارجي وعدم سيطرتها عليها، ولكون السلطة تتبنى سياسة التقرب من العلماء، وتعمل على استمالتهم لصفها بهدف ضمان الهدوء والأمن في بعض المناطق من البايك.

ومن مظاهر التواصل والتقارب بين السلطة العثمانية والعلماء نجد مبادرتها إلى ربط علاقة مصاهرة معهم واستفادتهم من إعفاءات هامة من الضرائب¹، وكل هذا يندرج في العلاقة الودية التي ارتبط بها العلماء مع السلطة في البايك.

ومن بين العلماء الذين أرادت السلطة العثمانية تكليفهم بمناصب دينية نجد امحمد بن حالة وهو شيخ زاوية المزين بمنطقة عشابو بالدهامشة، والذي شاع صيته بين قبائل البايك نظرا لتدخلاته في حل الخصومات بين الأفراد والقبائل لذلك استدعاه الباي وأراد تكليفه بذلك المنصب إلا أنه أبى متعذرا بوقوفه على الزوايا بمنطقته، ولم يُرد الباي تسريحه هكذا فأراد التقرب منه واستماله لذلك بادر بمصاهرته، حيث زوجّه بإحدى نساء عائلته².

6. الإنتاج العلمي:

6. 1 العلماء:

تميّزت الحركة الثقافية بتركزها ببعض المدن، والقليل من المداشر والقرى، وقد ظلّ عنصر العلماء نادراً، خصوصاً في المناطق البعيدة عن السواحل، والكثير من المناطق

¹ منادي: المرجع السابق، ص 470.

² بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة المحروسة في الجزائر المحروسة، ط1، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص ص 137-138.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

الصَحْرَاوِيَّة، وهذا ما أَشَارَ لَهُ بَعْضُ الرَّحَّالَةِ أَمْثَالُ الْوَرَثَلَانِي¹ وَالْعِيَّاشِي²، لَدَرَجَةِ أَنَّ أَيَّ مَحَدِّثٍ أَوْ مَفَسِّرٍ أَوْ غَيْرِهِمَا صَارَ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ عَالِمًا وَيُلَقَّبُ بِسَيِّدِي فُلَانٍ³.

وقد مثَّلت هَيْئَةُ الْعُلَمَاءِ بِمَدِينَةِ قَسَنْطِينَةِ أَعْيُنَ الْأَهَالِي بِالْبَايَلِكِ، إِذْ يَذْكُرُ فَايِسْتُ أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَقْبِلُ الْبَايَاتِ عِنْدَ وَصُولِهِمْ مَعَيَّنِينَ عَلَى الْبَايَلِكِ، كَخُرُوجِ هَيْئَةِ الْعُلَمَاءِ بِالْمَدِينَةِ لِمُثْلِ أَعْيَانِ الْأَهَالِي وَاسْتِقْبَالِ أَحْمَدَ الْمَمْلُوكِ فِي عُهُدِهِ الثَّانِيَةِ 1235هـ/أَوْت 1820م⁴.

وَبِزُمُورَةِ مِنَ الْأَدْبَاءِ الْقَائِمِينَ عَلَى الطَّلَبَةِ الْمُتَمَكِّنِينَ نَجْدَ سَيِّدِي مُحَمَّدَ السَّعِيدِ وَسَيِّدِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَافِظَ سَيِّدِي الْمَبْرُوكَ الشَّوْثَرِيَّ وَسَيِّدِي الطَّاهِرَ الشَّوْثَرِيَّ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ السَّنِّيِّينَ نَجْدَ سَيِّدِي أَحْمَدَ الشَّوْثَرِيَّ وَمِنَ الَّذِينَ قَدِمُوا لَهَا وَسَكَنُوا فِيهَا نَجْدَ سَيِّدِي عَلِيِّ بْنِ الطَّيِّبِ الْحَافِظِ لِجَمِيعِ الْأَنْقَالَ⁵.

وَمِنَ أَمْثَرِ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِبَايَلِكِ قَسَنْطِينَةِ فِي الْقَرْنِ 17م نَجْدَ أَحْمَدَ بْنَ السَّاسِي الْبُونِيَّ الْمُفْتِيَّ الصَّدِّيقِيَّ بِمَدِينَةِ عَنَابَةِ، وَخِلَالِ الْقَرْنِ 18م نَجْدَ خَلِيفَةَ بْنَ حَسَنِ الْقَمَارِيَّ بِمَنْطَقَةِ سُوْفٍ⁶. وَبَقِصْرِ الطَّيْرِ نَجْدَ الْعَلَامَةَ الْفَقِيهَ سَيِّدِي مُحَمَّدَ الْكَتْفِيَّ وَمِثْلَهُ نَجْدَ سَيِّدِي يَحْيَى وَسَيِّدِي مُحَمَّدَ الزَّوَاوِيَّ وَابْنَ عَمِّهِ سَيِّدِي مُحَمَّدَ بْنَ جَدِّهِ وَسَيِّدِي مُحَمَّدَ الصَّحْرَاوِيَّ، وَبِمَنْطَقَةِ الْحُضْنَةِ لِأَوْلَادِ دَرَّاجٍ وَجَدْنَا سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بْنَ رَحَابٍ وَإِلَى جَانِبِهِ سَيِّدِي

¹ حيث وصف حالة الركود الثقافي والتعليمي في منطقة بسكرة. ينظر: الورثاني الحسين بن محمد: الرحلة الورثانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المجلد 1، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، 2006، ص 92.

² حيث يصف لنا حال ورقلة البائس على المستوى الثقافي. ينظر: العياشي: الرحلة العياشية...، المجلد 1، نفسه، ص 114-118.

³ بن ميمون: المصدر السابق، ص 49، 47.

⁴ فايست: المرجع السابق، ص 263.

⁵ الورثاني: الرحلة الورثانية...، المجلد 1، نفسه، ص 81-82.

⁶ بن جبور محمد: صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17 و18م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العلاقات الدولية، إشراف غازي جاسم، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2002-2003، ص 131.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

محمد بن إبراهيم وأخوانه وغيرهم وكلهم من الفضلاء¹. ومن بين العلماء نجد أيضا الحسين الورثاني (1125-1193هـ) الذي كان له العديد من المؤلفات²، والذي كان على علاقة جيدة بالسلطة³.

وبالجنوب الشرقي للبايلك نذكر سيدي محمد بن محمد بن عمر العدواني الرحماني صاحب كتاب تاريخ العدواني الذي عاش في القرن 17م، والذي اشتمل على تفصيل بيان الأنساب القاطنين بمنطقة وادي سوف وغيره⁴.

ومن أبرز علماء بايلك الشرق بداية الاحتلال الفرنسي 1830م نجد المدرّس المفتي سيدي عمّار بن شريط القسنطيني 1250هـ/1834م-1835م. والملاحظ أنّه قد هاجر عدد من العلماء مع بداية الاحتلال، بالإضافة إلى تشتت الكثير من القبائل في البايك نتيجة المعارك وأهوال الحروب، وهذا ما جعل الحالة العلمية تصاب بالارتباك، إلّا أنّ العلوم بقيت تدرّس بمختلف الزوايا والمساجد⁵.

6. 2 المخطوطات:

ظلت المخطوطات الشاهد على تاريخ الحقبة العثمانية في الجزائر، ولقد تمكّن بعض المؤرخين من تحقيق العديد منها بهدف إعادة إحياء التراث وحفظ الذاكرة وبَعثها من جديد. ومن بين المخطوطات التي تمّ تحقيقها وتناولت مواضيع الفترة المدروسة عن تاريخ بايلك قسنطينة، والتي نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر نجد تاريخ بلد قسنطينة لابن العطار⁶ الذي توفّي سنة 1287هـ/1870م، ومؤلفه نصيحة الإخوان و نزهة العيون، ويُذكر

¹ الورثاني: الرحلة الورثانية...، المجلد 1، المصدر السابق، ص 83، 84.

² سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص395.

³ منادي: المرجع السابق، ص475.

⁴ العدواني: المصدر السابق، ص322.

⁵ المدني: كتاب الجزائر، مرجع سابق، ص132، 133.

⁶ ينظر بن العطار: المصدر السابق.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

كان مفتيًا مالكيًا بقسنطينة ومدرّسًا بها¹، ولا ننسى مخطوط تاريخ قسنطينة لمحمد الصالح بن العنتري²، وكل هذه المخطوطات وغيرها ساعدت على نشرها من جديد، ومن خلالها تمّ توضيح العديد من أوجه العلاقة بين السلطنة والقبائل، كما أعادت تصوير الأحداث التاريخية الفاتنة دعماً لتاريخ المنطقة.

ومن بين المخطوطات التي حُققت أيضًا نجد الرحلة المشهورة للورثاني الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، والتي تحدّث فيها عن الكثير من المواضيع والأفكار، خصوصًا ما تعلق ببعض مظاهر العلاقة بين السلطنة والقبائل، كما أن له العديد من الكتب في الفقه والتصوّف والتّوحيد³. كما نجد أيضًا الكثير من المخطوطات المطبوعة وغير المطبوعة لأحمد بن محمد ساسي البوني، والذي تُوفي سنة 1139هـ/1726م، إذ كانت له الكثير من المؤلفات في الفقه والأدب والتّاريخ والتصوّف وغيرها، ومن مخطوطاته نذكر تحفة الأديب بأشرف غريب، اختصر فيه غريب القرآن، والدُرّ النّظيم في فضل بعض آيات من القرآن العظيم، وفتح القويّ المُعين بإرشاد المطالعين لشرح الأربعين، وغيرها من المخطوطات⁴.

ومن بين أدباء وعلماء النّحو - نهاية الحكم العثمانيّ - نذكر على سبيل المثال لا الحصر أحمد الطيب بن محمد الصالح الزواوي الذي تُوفي سنة 1251هـ/1836م، ومن بين مؤلّفاته نذكر الدّرة المكنونة، والتي نظّم فيها عقائد التّوحيد، ومفتاح الأحكام، ونصرة الإخوان في إحجاج الفقهاء بالبرهان. كما لا ننسى الصادق بن الحاج الأوراسي مؤسس زاوية سيدي

¹ بسكر محمد: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج1، ط2، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة الجزائر، د.ت، ص104.

² ينظر بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق.

³ سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج2، المرجع السابق، ص395.

⁴ بسكر: نفسه، ص ص 94-96.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

مصمودي بالأوراس، والذي تُوفي سنة 1277هـ/1862م، وهو من رجال الطريقة الرحمانية ومن آثاره نذكر كمال الاكتمال الذي تحدّث فيه عن آداب الصوفيّة¹.

ومما يثبت كثرة المخطوطات على اختلاف قيمتها العلمية في بايلك الشرق أيضًا ما أورده آدریان بربروقجي سنة 1235هـ/1837م، والذي كُلف بمهمّة جمعها وقت نجاح سقوط مدينة قسنطينة، حيث أقرّ بجمعه لمئة مخطوط كالقرآن الكريم الخاصّ بين عيسى، ودليل الخيرات بالإضافة إلى مؤلفات في الفقه ككتاب العقود؛ وهو بمثابة دليل لقاضي قسنطينة، ودفتر للعقود وبعض دفاتر تعود لفترة صالح باي (1771-1792م)، كما جمع بعض المخطوطات ذات المواضيع الدينية والعديد من رسائل الباي أحمد وسيدي محمد العربي وابن عيسى، والأشخاص الذين تمّت مراسلتهم عبرها، بالإضافة إلى رسائل لأفراد ذوي مناصب مهمّة في السلطنة العثمانية وعقود ملكيّة للبايلك².

7. المساهمة في بناء المساجد:

تميّز بعض رجال السلطنة العثمانية في البايك بكونه ممن اهتمّ بتشيد المساجد والمساهمة في إقامة أماكن الدفن بالبايلك، وهذا نابع من إرادتهم في السعي من أجل زيادة عدد دور العبادة بالبايلك أو عرفانًا من بعضهم لأيام جمعتهم بسكان منطقة ما، أو في إطار اهتمام البايات بالصدقات والأعمال الخيريّة الإنسانيّة.

ومن بين من اهتمّ ببناء المساجد نجد رجم باي 1666م-1674م الذي أمر ببناء مسجد سُمّي بجامع الصّوف بقسنطينة³، وفي عهد الباي بوكمية شيدّ الباش كاتب الحاج عباس بن جلّول مسجدًا بسوق الغزل بقسنطينة على نفقته الخاصة⁴، كما شيد الباي حسن باي بن الحسين (بوحنّك) 1149هـ/1736م مسجد سيدي لخضر بعاصمة البايك، والذي تميّز

¹ بسكر: المرجع السابق، ص 186، 283.

² سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: المرجع السابق، ص 260.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 48.

⁴ فايس: المرجع السابق، ص ص 128-129.

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

بمئذنته العالية حيث انتهى من بنائه سنة 1156هـ/1743م¹. كما أمر صالح باي (1771-1792م) بتشيد جامع ومدرسة سيدي الكتاني بقسنطينة²، وكذلك بنى جامعاً بعنابة³، وكان اهتمامه واضحاً بتأسيس المساجد في البايك⁴. كما أمر أحمد باي بن علي القلي (1756-1771م) ببناء مسجد بالقلّ سنة 1757م بمدخل مدينتها، والذي أعطاها رونقاً و زين مدخلها جهة البحر، عرفاناً لسكان المنطقة بالسنوات التي عاشها معهم قبل توليه الحكم في البايك⁵.

خلاصة الفصل:

من خلال هذا الفصل يمكن القول أنّ القبائل المحلية ارتبطت بسلطة بايك الشرق بعلاقة طبع عليها الولاء والتواصل في مجالات شتى، وقد تحكمت فيها مجموعة من العوامل التي كانت سلطة البايك هي المبادرة في تحريكها بواسطة سياسات مختلفة، ضمنت من خلالها ولاء القبائل المحلية عموماً، فعاشت فترات من الأمن والاستقرار حتى أواخر العهد العثماني. غير أنّ بعض القبائل الجزائرية المعروفة بقوتها والمشهورة بنزعتها الاستقلالية أو ميلها للعصيان قد مورست عليها سياسات مختلفة من قبل السلطة بهدف الإخضاع والسيطرة عليها، فتباينت ردود فعلها على هذه الممارسات، وهذا ما سنعالجه في الفصل الثالث الذي سيتناول أهم مظاهر القطيعة والتمرد في علاقة السلطنة العثمانية بالقبائل الجزائرية في الفترة المدروسة.

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص57. وينظر: فايس: المرجع السابق، ص129.

² بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص63. وينظر سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، مرجع سابق، ص74. وينظر أيضاً عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج1، المرجع السابق، ص234.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص64. وينظر أيضاً: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، نفسه، ص74. وينظر عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج1، نفسه، ص234.

⁴ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص62.

⁵ فايس: نفسه، ص143.

الفصل الثالث:

القطيعة والتّمرّد بين السّطنة العثمانية والقبائل الجزائريّة ما بين 1671-1837م.

تمهيد.

المبحث الأول: سياسياً وعسكرياً.

المبحث الثاني: اقتصادياً.

المبحث الثالث: اجتماعياً.

المبحث الرابع: ثقافياً.

خلاصة الفصل.

تمهيد:

طبقت سلطة بايلك الشرق سياسات مختلفة أرادت من خلالها إخضاع القبائل المحلية به وفرض منطقتها عليها، ومن خلالها برزت مظاهر القطيعة والتّمرد في علاقة السّلطة بالقبائل المحلية، ففي هذا الفصل يتمّ تناول مختلف هذه السياسات التي بيّنت طبيعة العلاقة بين السّلطة والقبائل المحليّة، هذه الأخيرة التي كان لها ردود فعل متنوّعة عبّرت فيها عن موقفها الحقيقي من السّلطة الحاكمة، ومن خلالها يتمّ توضيح مدى الارتباط بين الطرفين، في مختلف الظروف وخلال الفترة الزمنية المدروسة، التي تُعتبر من أقوى فترات حكم العثمانيين في المنطقة، وأخطرها خصوصًا أيام الحملة الفرنسيّة على الجزائر وسقوط العاصمة، وبقاء آخر بابايت الشرق الجزائري رافعًا لراية الدّولة ومستميًا من أجل الصمود والمقاومة.

فسوف يتمّ التطرق في المبحث الأوّل لأهم مظاهر القطيعة والتّمرد على المستويين السياسي والعسكري، وذلك لإبراز منهج السّلطة في استخدام سياسة القوة والإخضاع للقبائل وأيضًا أبرز ردود فعل القبائل على السّلطة.

وكذلك الحال بالنسبة لبقية المباحث، والتي تناولت المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كل على حدّاء، وذلك لاستخلاص طبيعة العلاقة بين السّلطة والقبائل المحليّة والخروج برؤية واضحة تخدم الموضوع المعالج، ويفهم من خلالها فترة هامة مرّت على تاريخ الجزائر الحديث.

المبحث الأول: سياسيًا وعسكريًا.

1. ممارسة سياسة القوة والإخضاع:

مارست السّلطة العثمانية سياسة القوة والإخضاع على القبائل الجزائرية بهدف فرض السّيطرة عليها، وكسر شوكة بعض القبائل التي تميّزت بقوّتها ونزعتها الاستقلاليّة، وحتى تبقى السّلطة العثمانية الطّرف الأقوى في المنطقة وذلك بمجموعة من السياسات، غير أنّ القبائل كانت لها ردود فعل تباينت من حيث قوّتها، إلّا أنّ موقفها كان واضحاً منها، وفيما يلي ذكّر أهمّ سياسات الممارسة من قِبَل السّلطة وأبرز ردود فعل القبائل عليها.

1.1 المحلّات:

المحلّة حسب سعيدوني لفظ للدّلالة على أفراد الجنود الذين يتنقلون بالريّيف بإشراف حاكم الإقليم لمقاطعة الشرق¹ أو نائبه²، وهي كلمة تقابلها لفظ النّوبة عند الحديث عن الجنود المستقرّين بالأبراج وثكنات البايك، كما تُطلَق على فرّق جنديّ بقيادة أغا العرب بالجزائر، وتبرز مهمّة هذه المحلّات في استتباب أمن البايك، وتحصيل مختلف الضّرائب، وترصد القبائل القاطنة في الجبال والمناطق الصّعبة، وكذلك مراقبة القبائل البدويّة التي تتنقل وتترّحل عبر أراضي هذا الإقليم. ومن مهامها أيضا الوقوف إلى جانب فرسان المخزن و القوم عند إغارتهم على القبائل المتهرّبة من دفع الضّرائب المختلفة أو المعادية للسّلطة الحاكمة³.

والمحلّة في مجموعها عبارة عن حملات عسكرية فصليّة⁴، تُوجّه نحو دواخل البلاد كالمناطق الجبلية ونحو السّهوب، ومهمّتها الأساسية تحصيل الضّرائب والرّسوم

¹ هابنسترايت: مصدر سابق، ص31.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، المرجع السابق، ص263.

³ هابنسترايت: نفسه، ص31.

⁴ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، نفسه، ص263.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

المختلفة، كما تسعى السّلطة العثمانية من خلالها إلى معاقبة الخارجين عنها، والعاصين لها في مناطق استقرارهم ونشاطهم الاقتصادي¹، وقد أظهرت تلك المحلّات سيادة السّلطة العثمانية على المناطق البعيدة عن قسنطينة والقريبة من الحدود، وحتى يرفرف العلم هناك². فهي بالتالي تمثّل السّلطة في تلك المنطقة، وتؤمّن الحدود السياسية لها.

ويذكر سعيدوني أنّ المحلّة عبارة عن قوّة مشكّلة من الجنود، ترافق حكام الأقاليم في عملية تنقلهم لجباية الضرائب من سكّان الأرياف، وتتألف من جنود حاميات المدن أو ما يُطلق عليها النوبة، بالإضافة إلى جنود المخزن، ومهمّتهم المشاركة في المحلّات أو الحملات لتحصيل الضرائب ورصد تحرّكات القبائل³، ومن مهامها أيضا صدّ الاعتداءات الخارجية وإخماد الثورات⁴.

ومما يؤكّد ذلك ما أورده ابن ميمون في كتابه التّحفة المرضية، حيث أبلغنا بوجود محلّة مُنطَلَقًا من الجزائر باتجاه بابلك الشرق، وقد تمخّرت مهمّتها الأساسية في جمع الضرائب، وإلى جانب ذلك كان لها مهام ثانوية أخرى، ركّزت فيها على تثبيت قواعد الدولة وأركانها، وكلّ ما يدعم روح السّلطة على الإقليم، ومعرفة أحوال القبائل هناك، وآرائهم فيما تعلّق بالسّلطة الحاكمة، وقد كانت هذه المحلّة حسبه تجتمع بالباي بقسنطينة وجنوده، ليقود هذا الأخير تلك المحلّة عبر إقليمه الجغرافي، ويستخلص الضرائب المنتظرة التي في غالبيتها عروض. أما بالنسبة لجنود الباي فقد تشكّلوا من مجموعة من رجال المخزن، والعديد من العثمانيين إلى جانب ثلّة من الكراغلة⁵.

¹ هابنسترايت: المصدر السابق، ص48.

² سبنسر: المصدر السابق، صص69-70.

³ هابنسترايت: نفسه، ص79.

⁴ معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، المرجع السابق، ص36.

⁵ بن ميمون: مصدر سابق، ص41. لمعرفة مسار المحلّة في البابلك ينظر: الملحق رقم 03، ص283.

أما الزّهار فقد أشار إلى هذه المحلات بأنّها تخرج لجمع الضرائب، والتي حسبّه صارت في عهده تقوم بأكل أموال الناس وظلمهم ونهب ممتلكاتهم، عكس الحكّام الأوائل الذي كانوا يمشون على ما سنّه الشرع في ذلك، كما أكّد أنّ محلّة بايلك الشرق تنطلق أول أيام الصيف، وتدوم مدة عملها ستة شهور كاملة¹. وقد أشار العنتري إلى المحلّة بقوله: «... وصار (الباي بوكمية 1713-1736م) يرتّب الأمحال... وانقادت له الرّعيّة... وسيرته على أحسن حال»، كما وردت بقوله: «... كان ذلك الوقت (عصمان باي 1803-1804م) في المحلّة بناحية سطيف يستخلص مطالب المصيف»².

وقد ورد ذكرها في رحلة العالم الألماني هابنسترايت بعد أن تمكّن من الحصول على إذن بمصاحبة قائد المحلّة في رحلته بالجزائر وخصوصًا نحو بايلك الشرق، فقد أشار إلى أنّ المحلّة تكون بقيادة أغا الصبايحية³، بالنسبة للمحلّة المتوجهة نحو قسنطينة، وقد كانت مهمّتها جمع الضرائب من سكان الأرياف؛ من فلاحين مقيمين بالجبال أو بدو رُحّل، الذين كثيرًا ما امتنعوا عن دفعها إلّا رُغمًا عنهم باستخدام القوّة، والمحلّة حسب ما أورد في كتابه أنّها زيارة اعتيادية يقوم بها في دواخل البلاد رفقة جنود المحلّة وقت انطلاق فصل الصيف قبل مغادرتهم نحو الجبال الوعرة بعيدا عنهم⁴. ومما وصف به هابنسترايت هذه المحلّة حضور وتواجد الباي بين محلّته من الجند⁵ حين تتقلّبهم عبر الإقليم يوميًا مظهرين القسوة في تعاملاتهم مع السكان، وبفضل ذلك تتمكّن المحلّة من تحصيل الضرائب

¹ الزّهار: مصدر سابق، ص36. وينظر غطاس: مرجع سابق، ص12، ص84. وينظر أيضا: خوجة: مصدر سابق، ص101.

² بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص55، ص70.

³ الصبايحية: فرقة تتبع الأغا وفيها مجموعة ممن يحملون سلاح البندقية، وإلى جانبهم عدد من الشوّاش والسنجاكات، ويكون على رأس كل فرقة كبيرهم. ينظر: خلاصي: مرجع سابق، ص194.

⁴ هابنسترايت: المصدر السابق، ص51.

⁵ نفسه، ص79. وينظر: خوجة: المصدر السابق، ص102.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

المتنوعة¹. لذلك فقد اشتهر أفرادها باستخدام كل أنواع العنف على القبائل وميلهم إلى الخراب والتدمير، وقد بقي اسمها حتى الساعة مقترناً بالغزو المدمر².

كما أكد هابسترايت أنّ القبائل الرّحل بالأرياف دائمة التّهرب من دفع الضرائب، وذلك بارتحالهم إلى الصحراء، لذلك تُبْعَثُ المحلّة إلى مواطنهم وقت جمع المحاصيل، لضمان تحصيل الضرائب حينها. وأشار أيضًا إلى القبائل المتواجدة جهة جبال الأطلس كونهم قبائل مستقلة وممتنعة عن السّلطة، فهم في مواجهات دائمة مع أفراد المحلات الموجّهة لهم، وهذا ما جعل حسب الانتقال في دواخل الإقليم أمرًا مستحيلًا دون حراسة في المستوى³.

وقد استفادت هذه المحلات من الجنود المرسلّة إليها من الجزائر لمساعدة الباي في تسيير إقليمه⁴. ولهذا فهي تتشكّل من أفراد القوات الإنكشارية الآتية من دار السلطان لدعم ومساندة حاكم إقليم بايلك الشرق، وهي ممثّلة في محلّة اليولداش، والقبائل المخزنية المختلفة كالزمول والدوائر، بالإضافة إلى الاستعانة بفرق القوم⁵، وفرق محلية من المرتزقة الزواوة⁶ البربرية⁷.

وما أوردّه فايست حول المحلّة في بايلك الشرق كونها تستفيد من 1500 فردٍ من العثمانيين كلّ فصل ربيع لمساعدة الباي في جباية المطالب الضريبية، ويبقى منهم 250 مجندًا بداية الخريف بقسنطينة بمعسكراتٍ خاصة بهم جهة القصبة أو عن طريق التخيم عند طرفي

¹ هابسترايت: المصدر السابق، ص 79.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص 263.

³ هابسترايت: نفسه، ص 31.

⁴ شويتام: نهاية الحكم العثماني...، مرجع سابق، ص 45.

⁵ القوم: هم من القوات المحلية الإضافية التي تلجأ إليها السّلطة، وقد كانت توفرها القبائل الجزائرية عند الاحتياج لها. ينظر: معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، نفسه، ص 263.

⁶ الزواوة: أفراد متطوعون من القبائل البربرية في الأصل، ثم أصبح يُقْبَلُ بهذه الفرقة كل من يريد الانضمام لها دون تمييز. ينظر: فايست: المرجع السابق، ص 39.

⁷ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، نفسه، ص 263.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وادي الرّمال قبالة المدينة للخروج مع شيخ العرب حينها لجمع ضرائب الصحراء، وهذا ما يطلق عليه حسب محلة الشّتاء¹.

وقد حدد كل من بايسونال وديسفونتاني (Personnel et Desfontaines) عدد قوات المحلة التي أتت من الجزائر للوقوف إلى جانب الباي ومحلته بقسنطينة في خرجته لجمع المطالب الضريبية بحوالي 2500 فرد²، وقد حَضَّر الباي محلّته بعدد معتبر من القوات، وذلك بمشاركة 600 مجند إلى جانبه من الإنكشارية، بالإضافة إلى فرق أرسلت له قُدّرت ب 104 فرد من منطقة جيجل و سطورة و 10 من منطقة الحنانشة والقبائل³.

كما وصّف لنا بايسونال المحلة التي شاهدها في 1725/01/31م بأنها تتكون من 12 خيمة⁴، وبكونها شديدة التّنظيم، حيث توضع خيمها حول تواجد خيمة الباي لحمايته من ضربات القبائل المفاجئة، كما يكون الباي في مقدّمة سيرها وتتبعه القوّات حاملة رايات مختلفة⁵. وتصاب هذه المحلة مجموعة من العساكر مشكّلة جوقاً خاصّاً بها حيث يقومون بالضرب على الطبول وقت قدومها، ممّا يجعل القبائل البدوية الرّحل ومجموعة الفلاحين يهربون منها لمجرد سماع ذلك الفّرْع وهذا ما كان عند وصول المحلة بقيادة حسن بوكمية (1713-1736م) سنة 1137هـ/1725م إلى جهة استقرار أولاد عبد النور بالجنوب القسنطيني، مما جعل المحلة تجبرهم على العودة لخيامهم، وتضغظ عليهم لتقديم ما عليهم

¹ فايست: المرجع السابق، ص 39.

² Personnel et Desfontaines : **op.cit**, p290.

³ **ibid**, pp335-336.

⁴ فايست: نفسه، ص 120.

⁵ Personnel et Desfontaines : **ibid**, p337.

وينظر: خوجة: المصدر السابق، ص ص 102-103.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

من ضرائب متنوعة، كما تفرض عليهم الوقوف على خدمة أفراد المحلة وقت بقائهم في تلك المنطقة¹.

ومما وجبت الإشارة إليه هو خروج المحلة نحو الأرياف في الصيف والخريف² من كلّ عام، والغاية منها ضمان التسيير الجيد للبايلك من قبل حكامه³. وهذه القوات دائما ترافق ممثلي السلطة مهما كانت الظروف المحيطة بهم عادية أم استثنائية في وقت التمرّدات مثلا، وكل هذا من أجل تحصيل الضرائب، فهذه العملية تشبه الغارات على القبائل⁴.

والملاحظ على المحلة التي شقّت طريقها نحو بايلك الشرق أنها دائما ما تكون الأكثر عدداً في الجند، ويرجع ذلك للظروف الصعبة التي تواجهها نحو عاصمة البايك⁵، وقد حوّت هذه المحلة ستين (60) خيمة وبها قرابة تسع مئة وستين (960) جندياً⁶، وتتزوّد بمؤناتها بمنطقة عمراوة⁷.

ومن العادة خروج المحلة من عاصمة البايك باتجاه الأرياف⁸، والمناطق الداخلية للبايلك⁹، وكان على القبائل توفير الغذاء للجنود والعلف لخيولهم، لدرجة أنّ أفراد المحلة

¹ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص 264. وينظر: فايس: المرجع السابق، ص 122.

² شويتام: نهاية الحكم العثماني ...، المرجع السابق، ص 45. وينظر: سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: مرجع سابق، ص 140.

³ شويتام: نهاية الحكم العثماني ...، نفسه، ص 45.

⁴ فارس: مرجع سابق، ص ص 97-98.

⁵ غطاس: مرجع سابق، ص 12، 83.

⁶ فايس: نفسه، ص 39. وينظر عباد: المرجع السابق، ص 314. وينظر غطاس: نفسه، ص 12، 83. وينظر أيضا:

Paradis Venture de: **Alger au VXIII siècle**, R A, V 40, Paris, 1896, P51.

⁷ غطاس: نفسه، ص 83.

⁸ سعيدوني، بوعبدلي: مرجع سابق، ص 36. وينظر الأرقش: المرجع السابق، ص 135.

⁹ الأرقش: نفسه، ص 135.

يتوجّهون نحو بعض الخيام دون غيرها من أجل مشاركة الأكل والشرب، ففي عناية مثلا لما تصل المحلة هناك يقوم السّكان بتحضير الطعام لها - والذي كان من واجبهم نحوها- إذ تُقدّم لمدة ثلاثة أيام من وصولها خروفاً لكلّ جلسة مائدة واحدة، بالإضافة إلى مستلزمات للأغا كالصابون والزّبد والزيّيت والعسل واثنًا عشر (12) صاعاً من القمح، أما الأيام المتبقية لتواجد هذه المحلة فيقدّم السّكان خروفاً لمائتين يوم الإثنين والخميس وخروفاً للمائدة الواحدة يوم الأربعاء¹.

والمحلة نوعان²:

- محلة غازية ردعيةً تأديبيةً تمارس العنف على بعض القبائل العاصية أو لمواجهة عدوان خارجي، وهي تخرج بصفةٍ استثنائية.
 - محلة اعتيادية تخرج في ظروف عادية أي في مواسم معينة وتتخذ مساراً معلوماً ومعهوداً.
- ويتمحور دور المحلة في:
- جباية الضرائب من القبائل³.
 - العمل على ردّ القبائل العاصية والممتنعة عن دفع الضرائب⁴.
 - حمل ضرائب الدنوش إلى الجزائر العاصمة⁵.

¹ رحموني: مرجع سابق، ص 228.

² الأرقش: المرجع السابق، ص 134، 138. وينظر: شكري معمر رشيدة: السّلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية "1518-1830م"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، إشراف فلة موساوي القشاعي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2017-2018م، ص 133.

³ الأرقش: نفسه، ص 134، 138. وينظر: شكري معمر: السّلطة الروحية ...، نفسه، ص 133.

⁴ الأرقش: نفسه، ص ص 137-138.

⁵ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 26.

وحتى تتمكن محلة بايلك الشرق من الوصول إلى مُرادِها فإنها تنقسم إلى قسمين، أحدهما يكون بقيادة الباي شخصياً¹ الذي يكون قد وصل من قسنطينة إلى منطقة قصر الطّير جنوب سطيف، وهناك ينتظر وصول خليفته من مدينة الجزائر بعد تسليمه للدنوش الصّغير، والذي يأتي على رأس قوات تتكون من ستين (60) صفرة² لتتشكّل محلة الشرق، ويقود هو الآخر القسم الثاني منها، فيتجه الباي جنوباً قاصداً أراضي أولاد سلطان وأولاد بوطالب وقبيلتي الحنانشة والحراكتة، وبرفقته قوة عسكرية يبلغ تعدادها 40 صفرة أما خليفته فيبقى معه 20 صفرة من تلك القوة العسكرية المشكّلة للمحلة فيتجه بها قاصداً شمال البايك نحو أراضي فرجوة وزواغة وأراضي ساحل البابور وصولاً إلى منطقة ساحل قسنطينة وأراضي مرداس وبني صالح، ثم يلتقي قسماً المحلة من جديد بمنطقة فجّ العرب، ليرجع الباي وخليفته بالمحلة إلى مدينة قسنطينة، وبهذه الطريقة تُجبي ضرائب الأرياف في بايلك الشرق³.

وعند حملها لدنوش البايك والتوجّه بها نحو دار السلطان فإنها تتخذ مساراً تمرّ فيه على مراكز تُعرف بالقنّاق⁴، ليرتاح رجال المحلة وليستعيدوا طاقتهم، ومن بين المراكز التي

¹ الوثيقة رقم 27 من المجموعة 1642. ينظر: الملحق رقم 09، ص 289.

² صفرة: وهي كلمة يقصد بها المائدة التي يجلس حولها أفراد الإنكشارية لمناقشة أمر بخصوص تسيير الدولة أو للأكل، كما تطلق على الكتيبة التي يكون عددها يتراوح ما بين 16 إلى 21 جندي. ينظر: معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 8.

³ نفسه، ص ص 85-86. وينظر: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، مرجع سابق، ص ص 134-144. وينظر أيضاً: سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 37. وينظر بوعزيز: المرجع السابق، ص 62.

⁴ القنّاق: مراكز مراقبة تشرف على الطرق الرئيسية والهدف منها ضمان الأمن التجاري وتنقل الأشخاص والأموال وتساعد في ذلك قبائل المخزن. ينظر: كشرود حسان: رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659م-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث تخصص التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، إشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 1428-1429هـ/2007م-2008م، ص 56.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

تمرّ عليها في بايلك الشرق بئرُ البقيرات ثم ذراعُ الطبول وركّاب ثم مجاز الحمار وسطيف ثم عين تاغروط وسيدي مبارك ثم ذراع لحمر ومجانة ثم بني منصور والدهوس وحمزة¹.

ويمكن اعتبار المحلّة أداة فعّالة من أجل تمثيل السّلطة أمام سكان البايك في مختلف المجالات، وعن طريقها تمكّنت من تسيير أراضي البايك وجعلها أكثر تنظيماً، كما أحكمت السيطرة بها على القبائل الجزائرية في البايك، وساهمت في تجديد روح العلاقة بين السّلطة والقبائل من حيث مظهر الولاء لها².

وقد ظلّت المحلات دعامة في غاية الأهمية لدى السّلطة العثمانية لتسليط العقاب على القبائل الرافضة تقديم ما عليها من ضرائب، فكانت أداة لتطويعها وإخضاع كل من تسوّل له نفسه التّمرد عن السّلطة والخروج عنها، كما كان لها دور فعّال في قطع دابر بعض الأفراد حتى وإن احتسب من رجال الجهاز الشرعي³.

فالمحلات وسيلة عسكرية لضمان تدفّق الضرائب على السّلطة من جميع مناطق البايك، خصوصاً تلك التي تتميز بكونها عاصية على البايات مثل مناطق الجنوب، كما يمكن اعتبارها من الأدوات المهمّة في نيل الغنائم والمراغم⁴. فمحلّة بايلك الشرق كانت وسيلة تأديبية وعامل ربط بين الأراضي الواقعة في الصحراء الممتعة بحاكم الإقليم الفعليّ، وبواسطتها تمّ تمثيل السّلطة العثمانية في البايك، ووسّعت من مجال سيطرة الباي على إقليمه خاصّة تلك الأراضي النائية غير الخاضعة له⁵.

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 26.

² الأرقش: المرجع السابق، ص ص 137-138.

³ عليش حبيبة: الاستراتيجية العسكرية المباشرة لتثبيت الحكم العثماني في الجزائر 926هـ-1246هـ / 1516م-

1830م، مجلة الأبحاث للدراسات والبحوث، مجلد 3، عدد 6، 2021، ص ص 77-78

⁴ سعيدوني: النظام المالي للجزائر...، مرجع سابق، ص ص 114، 115.

⁵ عليش: نفسه، ص 76.

وما يمكن الإشارة إليه هنا أنّ المحلّة باعتبارها من دعّامات السّلطة العثمانية في ضمان جباية الضرائب من الممتنعين عنها تستخدم دائما القوة وكلّ أشكال العنف عليهم، فقد اشتهر رجال المحلّة بذلك¹، فممثلو السّلطة يميلون دوماً إلى ممارسة القسوة والعنف²، كما اعتُبرت أيضاً أداة لتبرير تصرفات بعض البايّات الانتقامية على سكّان الأرياف، وقد تجلّى ذلك في أعمال الباي محمد تشاركر باي (1814-1818م) الانتقامية على القبائل الجزائرية بواسطة المحلات التي وجّها نحوهم ، نظراً لكرهه للعرب وإرادته في الانتقام منهم قبل تولّيه الحكم على البايك³، وقد ذكّر العنّتري ذلك حيث وصفه بسافك الدّماء، وأخذة لأموال الرعيّة بالباطل عن طريق الغزو، مهما كانت حالتها في علاقتها مع السّلطة⁴.

ظلت المحلّة عماد السّلطة العثمانية في ممارسة القوّة من أجل جمع الضرائب وتحصيلها من مختلف القبائل الجزائريّة ببايلك الشرق، خصوصا بعد تراجع مداخل البحرية من عملية الجهاد البحري في عرض المتوسط، وتوجيه اهتمامها نحو الدّواخل من أراضي الإيالة أواخر العهد العثماني في الجزائر⁵. فهي من الوسائل التي لا تستطيع السّلطة العثمانية الاستغناء عليها من أجل فرض السّلطة ومتطلّباتها على القبائل الجزائرية في البايك وإلى جانبها نجد الحملات العسكرية أيضاً.

¹ معاشي : الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص263.

² شالر: مصدر سابق، ص163.

³ موساوي: مرجع سابق، ص79.

⁴ بن العنّتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص81.

⁵ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، نفسه، ص 262-263.

1. 2 الحملات العسكرية:

الحملات العسكرية تُعتبر من الإستراتيجيات البارزة المعتمدة من طرف السّلطة العثمانية في الجزائر، وهي من المظاهر الهامة التي تُبرز مدى العلاقة بين السّلطة العثمانية في بايلك الشرق وقبائله الجزائرية، المشهورة بعضها بكثرة ميلها إلى العصيان والتّمرد، حتى وصل من بينها الإعلان عن الخروج عنها¹.

وقد استخدمت السّلطة العثمانية - من أجل نيل مطامحها - أسلوب القوة لتضمن جباية الضرائب من القبائل الجزائرية العاجزة عن دفعها أو الراضة تسليمها²، أو على الزعماء الذين يحاولون التملّص من رقابتها، وقد جسدت ذلك في شكل حملات انتقامية تأتي فجأة على حين غرة³، حيث تقوم المحلة الغازية بالوقوف إلى جانب المكلفين عليها بتحصيل المطالب المخزنية في مختلف الظروف وتدعمهم حتى أضحت عملية التحصيل تشبه الغارات العسكرية⁴.

ومنذ القرن 11هـ/17م دأب ممثلو السّلطة على توجيه حملات حربية نحو الأرياف ليعوّضوا ما دفعوه لحصولهم على مناصبهم وحتى يعيشوا حياة الترف والبلذخ⁵. فأضحت الحملات التي توجهها السّلطة العثمانية في البايك أداة تضمن من خلالها تدفق موارد الدّخل لها، فممثلو السّلطة في البايك يجدون أنفسهم مضطرين إلى بعث الحملات من أجل تأديب تلك القبائل المتمردة والضغط عليها، لذلك جعلت من عملية جمع الضرائب في البايك تتم

¹ زية قويدر وبن عون محمد الحاكم: الحملات العسكرية ودورها في إخضاع القبائل الجزائرية المتمردة بباليك الشرق أثناء حكم صالح باي 1185هـ-1207هـ/1771م-1792م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 09، ع 02، جوان 2024، ص 399.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 263.

³ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 109.

⁴ فارس: المرجع السابق، ص ص 97-98.

⁵ سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 209.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

بممارسة الضغط والإرغام¹، وقد أشار إلى ذلك العالم الألماني هابنسترايت، حيث أقرّ بما شاهده من استعمال للقوة في القرن 12هـ/18م من طرف ممثلي السّلطة على سكان الأرياف وقت الحملات العسكرية نحوهم، وهذا حسبّه سوف يؤثر سلبيًا على نوع العلاقة بين السّلطة والقبائل، وذلك بتفجّر العديد من الثورات نجم عنها إضعاف للجهاز الحاكم في البايك²، ولذلك أصبح مشهد العنف هو المشهد المميز للحكم العثماني أواخر العهد العثماني، فقد وجّهت السّلطة العثمانية العديد من الحملات ضد القبائل والأسر الحاكمة منذ بداية النصف الثاني للقرن 12هـ/18م³. كما كان الهدف من هذه الحملات أيضا محاولة السّلطة العثمانية إدخال بعض القبائل ضمن القبائل المخزنية أو تحويل بعضها إلى قبائل رعيّة⁴. وهنا يمكن الإشارة إلى تحويل قبيلة أولاد بن عاشور من قبيلة مستقلة إلى قبيلة مخزنية في عهد صالح باي (1771-1792م)⁵.

ومن أبرز حملات السّلطة العثمانية الموجهة نحو القبائل الجزائرية في البايك نذكر: حملة شعبان باي⁶ (1688-1692م) على الجبالية للضغط عليهم بغية تسديد الضرائب⁷، كما جهّز حملة لما تمرد أولاد بوعون جهة بلزمة حين ثاروا ونهبوا ضواحي عاصمة البايك⁸. وقد أغار الباي حسين بوكمية (1713-1736م) سنة 1724م على الحنانشة وهزم على إثرها قائدهم وغنم الباي 8000 جمل وعددا معتبرا من الأبقار وحتى

¹ سعيدوني: النظام المالي للجزائر...، المرجع السابق، ص ص 114-115.

² هابنسترايت: المصدر السابق، ص 161.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، المرجع السابق، ص 269.

⁴ موساوي: المرجع السابق، ص ص 69-70.

⁵ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، نفسه، ص 94.

⁶ شعبان باي: أحد بايات بايك الشرق حكم البايك ما بين 1688-1692م، تولى الحكم بعد وفاة باش أغا باي. ينظر:

بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 50.

⁷ فايس: المرجع السابق، ص 107.

⁸ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 50. وينظر فايس: نفسه، ص 109.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

الخيام¹، وهنا برزت ابنة قائد القبيلة عِلجية بنت بوعزيز التي استطاعت إحياء روح الانتفاضة على العثمانيين²، ليسترجع رجال القبيلة بعض ممتلكاتهم، ويأسروا خليفة الباي كما تعرض جيش الحملة للعديد من الخسائر³.

كما قادت أم هاني زوجة أحمد بن الصخري أحد الزعماء شيخ العرب من عائلة بوعكاز بقيادة الجيوش ضدّ السّلطة العثمانية، واستطاعت هزمهم في العديد من المعارك، مما جعل الباي حسين بوكمية (1713-1736م) يسعى إلى مصاهرتها لكسب ولائها، وكان له ذلك حيث تزوج ابنتها سنة 1724م⁴. كما جهّز حسن باي بن الحسين المسمّى بوحنك (1736-1754م) في فترة حكمه قوّة عسكرية للنيل من أولاد صولة الثائرين، وتمكّن من كسر شوكتهم حيث ألحق بهذه القبيلة الهزائم المتتالية حتى أطفأ انتفاضتهم⁵.

وفي نفس السّياق وجّه الباي أحمد القلّي 1756م-1771م عدة حملات على القبائل المتمردة والبعيدة عن عاصمة البايك أيضا، ومن بينها نجد إغارته على الشّافية المتمردين إذ غنم الكثير منها، ثم خرج لأولاد سلطان الثائرين عن سلطته، والقاطنين في جبال الأوراس وأخضعهم بشكلٍ مؤقت، كما أرغمهم على دفع الضرائب⁶، وقاد صالح باي (1771-1792م) حملتين عسكريتين على النّمامشة جهة سهل قارث، ولم يتمكن من اللحاق بهم لأنهم انسحبوا جنوبًا باتجاه الصحراء⁷. كما وجّه هذا الباي أيضًا حملةً جهة الحضنة

¹ فايس: المرجع السابق، ص 121.

² سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ...، المرجع السابق، ص 68.

³ فايس: نفسه، ص 121.

⁴ نفسه، ص ص 121-122. وينظر: معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص ص 207-208.

⁵ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 57. وينظر: فايس: نفسه، ص 131.

⁶ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 61. وينظر: فايس: نفسه، ص ص 143-144.

⁷ كاستيل: مصدر سابق، ص 306.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

بهدف توسيع نفوذه على المنطقة وفرض منطّقه عليها، و أراد من خلالها ردع أولاد نائل¹ سنة 1185هـ/1771م للإيقاع بهذه القبيلة²، كما توجه نحو بني عباس³ عام 1185هـ/1772م، قاصداً البيان والقرقور وكذلك منطقة وادي الحمام⁴، وفي سنة 1187هـ/1774م وجه حملته نحو الذواودة ببسكرة بسبب إثارتهن للاضطرابات وتمكن من إخضاعهم كما عفى عنهم، ونصب قائداً جديداً يترأسهم⁵، كما وجه حملة على قبيلة السفنية الرافضة لدفع الضرائب⁶، وكان له الكثير من الجهود لتوجيه الحملات المتكررة على أولاد عاشور⁷، وذلك ما بين 1189هـ/1776م و1195هـ/1781م من أجل الفتك بزعيمهم محمد الشلّهوم، والقضاء على طموحاته⁸، حين لم يعترف بخضوعه للسلطة في البايك، مع امتناعه عن تقديم الضرائب⁹، كما وجه حملة على قبائل أولاد عمور المجاهرة بعضيانها له وكان ذلك سنة 1199هـ/1785م، ضيف إلى ذلك الحملة التي وجهها على واحات الزيبان ومنطقة واد ريغ وورقلة، وإرادته في إخضاع قبائل الحدود المتمردة¹⁰.

¹ قبيلة أولاد نائل: من القبائل المشهورة بتمرداتها كلما أحسّت بأنها بعيدة عن قبضة السّلطة العثمانية، كما أنها ترغم على الهجرة أول كل فصل صيف نحو الهضاب التالية لوجود الماء والكأ. ينظر: فايس: المرجع السابق، ص 149-150.

² موساوي: المرجع السابق، ص 180.

³ بني عباس: أحد القبائل المتوطنة بالمناطق الجبلية وهي من القبائل الممتنعة عن سيطرة البايك، وهي تستقر بجهات الواقعة غرب وشمال سطيف. ينظر: نفسه، ص 68-69.

⁴ نفسه، ص 180.

⁵ عباد: المرجع السابق، ص 177.

⁶ قبيلة السفنية: من القبائل الواقعة بالهضاب العليا والمستقرة بخناق وتاشودا. ينظر: موساوي: المرجع السابق، ص 181.

⁷ عليلش: المرجع السابق، ص 71.

⁸ سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 241.

⁹ عليلش: نفسه، ص 71.

¹⁰ زية وبن عون: المرجع السابق، ص 408-412.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

ومن الحملات أيضًا نذكر حملات الباي مصطفى بن سليمان الوزناجي¹ (1209-1212هـ/1795-1798م) -خاصة على المناطق الجبلية العاصية- على القالة وزراردة سنة 1794م، وعلى قبيلة الحراكلة وزمّورة سنة 1797م، وقد نهبت تلك الحملتان جميع مواشيهم، كما وجّه العديد من الحملات المفاجئة على أولاد سعيد وأولاد موسى والأعشاش بالقرب من باتنة، وكذلك أولاد بوعون العاصين والثائرين في سهل زائنة، حيث استطاعت هذه القبيلة التحصّن بأحد جبال بلزمة وهو جبل مستاوة فقد تمّ حصارهم مدّة نصف شهر تقريبًا، و تمكّن من إلحاق الضرر بها، واستطاعت تلك القبيلة التصدي لهجماته². كما هاجم أهل زارد يساس واعتقل شيخهم الأكحل³.

وقد وجّه حسن باشا حملة إلى قمار سنة 1215هـ/1801م بهدف فتحها وإخضاعها بقيادة الشيخ إبراهيم بن الشيخ الحاج أحمد، وقد نزل أفراد المحلّة هاته قرب المغير بقمار وحاصروها لمدة شهرين وقرابة 3 أيام، إلا أنّهم لم يتمكنوا من فتحها، وقد ساند فيها أهل الوادي سكان قمار بالمؤن والسلاح و حتى المقاتلين، وانتهت هذه الحملة بالفشل وقتل الكثير من أفراد المحلّة⁴. وحملة الباي مصطفى إنجليز⁵ (1212-1218هـ/1798-1803م) نحو أولاد علي بن يحيى عند الحنانشة الثائرين والمتمردين عام 1797م، حيث

¹ مصطفى الوزناجي (1795-1798م): أحد أبرز بايات بايلك الشرق، وهو من أصول تركية عرف بشجاعته وكونه متولع بالغزو، ومنذ حكمه صارت السّلطة العثمانية تأخذ أموال الناس جورًا وكثّر فيهم الفجور، وقد أمرَ باشا الجزائر بقتله من دون سبب. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص ص 67-68.

² بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 67. وينظر أيضا موساوي: المرجع السابق، ص 181. وينظر: فايست: المرجع السابق، ص ص 195-196.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، الهامش 67.

⁴ العوامر: مرجع سابق، ص 283.

⁵ مصطفى إنجليز (1798-1803م): من أبرز بايات بايلك الشرق من أصول تركية، عرف برزاقته وعقله الراجح، وفي عهده عاش سكان البايك في رخاء كبير، وتشابه حال ولايته بحال ولاية صالح باي، وقد عزله باشا الجزائر لفساد ابنه وفسقه. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص ص 68-69.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

أرسل لهم حملتين وتعرض لهزيمة ثقيلة، لذلك سلّط عليهم أولاد يحي بن طالب وتمكّن منهم¹، وحملات الباي عصمان (1218-1219هـ/1803-1804م) على قبيلة النّمامشة سنة 1803م حيث غنم الخيل والإبل الكثيرة،² وعلى البراعة القاطنين على الحدود³، وعلى الشريف بن الأحرش ومن معه من قبائل شمال البايك، والتي راح ضحيتها الباي نفسه ومحلته الغازية جهة مليلة من عام 1804م⁴.

ولمّا تولّى الباي عبد الله عام (1219هـ/1804م) زمام الأمور شكّل قوّة عسكرية وخاض معركة بالرابطة نواحي سطيف سنة 1806م ضدّ الشريف بالأحرش الثائر، كما تصدّى للثائر الجديد محمد بن عبد الله ومجموعته المتمردة في السنة نفسها، وتمكن من استتباب الأمن وإعادة الهدوء إلى البايك⁵.

كما قصّد الباي أحمد طوبال⁶ (1223-1226هـ/1808-1811م) جهة السفنية الممتنعة عن تقديم الضرائب بحملة سنة 1808م⁷، وكذلك وُجّهت حملة بقيادة الباي نعمان (1226-1229هـ/1811-1814م) وعمر باش أغا الجزائر نحو قبائل الحضنة

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 69. وينظر فايس: المرجع السابق، ص 200. وينظر موساوي: المرجع السابق، ص 182.

² بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 71. وينظر أيضا موساوي: المرجع نفسه، ص 182. وينظر: فايس: نفسه، ص ص 204-208.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 71.

⁴ الزهار: مصدر سابق، ص 86. وينظر أيضا موساوي: نفسه، ص 182. وينظر: فايس: نفسه، ص ص 204-208. وأيضا ينظر:

Féraud: *Histoire des villes ...*, Bougie, op.cit, p214.

⁵ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 74. وينظر: فايس: نفسه، ص ص 209-210.

⁶ أحمد طوبال (1808-1811م): أحد بآيات بايك الشرق من أصول تركية عرف برجاجة عقله وسيرته الحسنة بين سكان البايك، أثناء حكمه وقع الصلح بين الجزائر وتونس، عاش زمانا وأمر الباشا بقتله من غير سبب. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 79.

⁷ موساوي: نفسه، ص 182.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وأهالي المسيلة¹ سنة 1229هـ/1814م التي اندلعت بها الثورة، وهم العصاة الذين هاجموا العداورة وأولاد سلامة جهة بايلك التيطري².

وقد استطاع الباي محمد تشاكر (1814-1818م) توجيه 100 محلة غازية في مدة أربع سنوات من حكمه، حيث وصل بها إلى أراضي استقرار قبيلة أولاد بورثان عام 1815م، وأراضي أولاد عبد السلام والفندوز³ بأراضي أولاد مقران سادة مجانة جهة سطيف، وأيضا أراضي أولاد عبد النور وأولاد سعيد بن سلامة وذلك عام 1816م، كما امتدت هذه الحملات جهة التمامشة وهجم عليهم في فج طراد ولم يغنم أي شيء، وأراضي أولاد دراج وأولاد سيدي عبيد بالتمامشة عام 1817م، وأهالي مستاوة عام 1818م، وقد استمات التمامشة من أولاد دراج وسيدي عبيد في الدفاع عن قبيلتهم، وكبدوا المحلة خسائر جسيمة، ولم تستطع المحلة الرجوع إلى عاصمة البايك إلا بتعهدا بعدم التعرض لمواطن تلك القبائل مرة أخرى⁴. أما الباي محمد الميلي⁵ (1233هـ/1818م) فقد اتجه بحملته صوب منطقة الزيبان في أراضي أولاد أوغلال سنة 1819م ولم يستطع عليهم، إلا أنه جدّد عليهم الهجوم مرة أخرى وأخضعهم، ورغم تكبده لخسائر كبيرة إلا أنه هزمهم و أضّر بهم حيث أتلّف الكثير من نخيلهم وغرّمهم⁶.

¹ وقد ذكرها فايسات بالقبيلة المرابطية وهم أولاد سيدي إبراهيم بالدّيس ببوسعادة وأولاد ماضي. ينظر: فايسات: المرجع السابق، ص 235.

² بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 80. وينظر فايسات: نفسه، ص 235. وينظر: موساوي: المرجع السابق، ص 182.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 82. وينظر موساوي: نفسه، ص 182. وينظر: فايسات: نفسه، ص 241.

⁴ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 82. وينظر أيضا فايسات: نفسه، ص 241-249. وينظر: موساوي: نفسه، ص 183.

⁵ محمد الميلي: أحد بايات الشرق الجزائري من أصول تركية اشتهر بظلمه للناس وأخذ أموالهم بالباطل، وتم عزله بسبب شكاية أهل الصحراء به لباشا الجزائر فعزله ولم يقتله. ينظر: بن العنتري محمد الصالح: فريدة منسية...، نفسه، ص 86.

⁶ نفسه، ص 86. وينظر فايسات: نفسه، ص 259. وينظر: موساوي: نفسه، ص 184.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

ومما يضاف أيضًا إلى تلك الحملات ما وجّهه الباي أحمد المملوك -والذي حكم لعهدتين الأولى في (1233هـ/1818م) والثانية من (1235هـ - 1237هـ/1820-1822م)- ضدّ بني جلاب ما بين 1818م و 1821م، حيث أتلّفت محلّته العديد من النخيل و الذي وصل عددها 200 نخلة، كما غرّمهم ب 10000 ريال بوجو، ولم تسلم أرض وادي سوف من حملاته التي لم يعترف سكانها بسلطة الباي إلا اسميا، حيث وجّه حملة نحوها سنة 1822م وتمكّن من تغريمهم ما بين 40000 و 50000 بوجو، كما حرص على توجيه حملاته نحو المناطق الوعرة الجبلية داخل البايك فكانت وجهته نحو الحنانشة وساحل البابور والعمامرة الواقعة بمنطقة الأوراس سنة 1822م¹، كما شنّ حملاته على النمامشة وقبائل الجنوب وعلى قبائل ريغة وأولاد تبان وأولاد سي أحمد القاطنين بالطبقة أعالي ريغة². وقد وجّه إبراهيم باي القرينلي (1821-1824م) حملتين الأولى نحو النمامشة الممتنعين عن دفع الضرائب فسلب منهم ألفاً (1000) من الماشية، والثانية نحو العمامرة وبني وجّانة بالأوراس والذين كانا دائمي الثورة وقطّاع طرق فتكبد فيهما خسائر جسيمة³، غير أنّه غنم 60000 رأس من الغنم عند النمامشة⁴. كما أرسل هذا الباي حملة بقيادة خليفته الحاج الحسين إلى أولاد سي علي تاحمامت سنة 1823م، وقُتل فيها الخليفة وعددٌ من قواتها، وانتهت بهزيمتها أمام المتمردين المتحصّنين بأعالي الجبال قرب أراضيهم⁵.

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 87. وينظر موساوي: المرجع السابق، ص 183. وينظر: فايس: المرجع السابق، ص 263، 264، 265، 269.

² فايس: نفسه، ص ص 264-265.

³ نفسه، ص 272.

⁴ موساوي: نفسه، ص 182.

⁵ فايس: نفسه، ص ص 273-274.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

كما وجّه الباي ابراهيم القريتلي سنة 1823م قواته على قبائل أولاد سلام الأمازيغية التي زحفت على أراضي التلاغمة واجتاحتها، وكان هدف الباي من وراء ذلك تأديبها، فكان له ذلك¹.

وفي السياق نفسه توجه الباي مناماني² (1240هـ-1242هـ/1824-1826م) جهة الأراضي الواقعة بين قالمّة وسوق أهراس قاصداً قبيلة سدراتة الشراقة ثم قصد بحملته هذه أولاد نائل بالصحراء وأولاد دراج، حيث كانت خسائرهم ثقيلة ما بين خيامهم وأربعين ألفاً (40) من مواشيهم، إلا أنه كلّل بهزيمة جعلت هيبة السّلطة تنقص أمام تلك القبائل³.

وتأتي آخر الحملات التي وجهها ممثل السّلطة العثمانية أحمد باي (1826م-1837م) عند تنصيبه نحو بلزمة الواقعة بمنطقة حصينة، والتي حرّكتها إرادتها نحو الاستقلال عن السّلطة، فاستطاع الباي إجبارهم على الخضوع والاستسلام⁴. وبمشاركة من الأغا يحي⁵ من دار السلطان غزا الباي بعض الأعراش والنُجوع⁶، وإلى جانبهما خليفتهما الباي بن عيسى

¹ فايس: المرجع السابق، ص 275.

² الباي محمد مناماني 1824-1826م: أحد بابيات بابلك الشرق من أصول تركية تولى وظائف كثيرة، اشتهر بظلمه أثناء فترة حكمه، كما وقعت التناحر بين المخازنية في البابلك، فأمر باشا الجزائر بعزله ليتولى الحكم بعد آخر البابيات أحمد باي (1826-1837م). ينظر: بن العنتري: فريدة منسية... المصدر السابق، ص 89.

³ نفسه، ص 89. وينظر فايس: نفسه، ص 278. وينظر أيضا موساوي: المرجع السابق، ص 184.

⁴ فايس: نفسه، ص 286. وينظر: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 90.

⁵ يحي آغا: هو من إقليم قره دنير الروميلي ذات الأصول التركية، هو صهر الداوي حسين اشتهر بالعديد من الأعمال الحربية بهدف إخماد التمردات وإعادة الهدوء للإيالة، وكذلك بتنظيماته العسكرية التي أدخلها على الجيش الجزائري وبإصلاحاته الاقتصادية، فكان بمثابة الرجل الثاني للدولة الجزائرية حينها. تمّ عزله من قبل الداوي حسين بسبب وشاية من الحاقدين عليه = ومن بينهم أحمد باي، وقد تمّ قتله في إقامته الجبرية خارج البلدة سنة 1244هـ-1828م، وبذلك خسرت الجزائر أحد أبرز رجالاتها الأكفاء بشهادة بعض المؤرخين أمثال الشريف الزهار والقنصل شالر. للمزيد ينظر: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، نفسه، ص ص 361-367. وينظر أيضا دريدي ريمة: شخصية يحي آغا قائد الجيش الجزائري (1818م-1828م)، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، جانفي 2020م، ص ص 83-84. وأيضا: أبو عمران: مرجع سابق، ص ص 16-21.

⁶ الزهار: المصدر السابق، ص 160.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

والبجاوي وبمساندة من بن قانة شيخ العرب وشيخ أولاد مقران بمجانة في حملات الباي، ونذكر منها الهجوم على قبائل زين بن يوسف جهة تبسة والحنانشة وأولاد مسعود ويحي بن طالب والعمامرة سنة 1827م¹، كما هاجم أولاد سلام وأولاد سلطان وأولاد بورنّان في نهاية سنة 1828م²، وأرسل حملة أخرى تجاه عنابة بعد أن بايعوا إبراهيم الفريتلي الباي الأسبق (1821-1824م) عليهم إثر احتلالهم من قبل فرنسا، فسلم سكانها البلاد لعلي بن عيسى أواخر سنة 1830م³.

وفي نهاية سنة 1830م وجّه الباي أحمد (1826-1837م) حملة نحو متمردي قبائل ضواحي سطيف التي كانت قد بايعت الباي الأسبق إبراهيم الفريتلي (1821-1824م) وإلى جانبها قبيلة أولاد عبد النور وتمكّن أحمد باي (1826-1837م) من دحر المتمردين في جنوب المشيرة، ليهرّب إبراهيم الفريتلي (1821-1824م) نحو الصحراء ويتحالف مع بعض القبائل هناك، ليلتقي مرّة أخرى بالباي أحمد في عين زانة وينتصر عليه هذا الأخير⁴.

وبعد 1831م وجّه أحمد باي (1826-1837م) حملة على المتمرّد فرحات بن السعيد شيخ العرب السابق الذي وجّه غاراته على القبائل التي اعترفت بسلطة محمد بن الحاج بن قانة، لذلك سارع الباي بتوجيه حملة نحو الديس قرب الخنفة مكان تواجد المتمرّد، فتّمت هزيمته شرّ هزيمة، كما سارعت القبائل المتمرّدة إعلانها الخضوع للباي⁵، وتوجّه سنة 1832م نحو المسيلة بالحصنة وكبدهم الخسائر وشتتهم، وفي نهاية سنة 1832م أرسل محلّة غازية نحو أطراف عنابة إلا أن حملته هُزمت⁶، وعاقب عرش بني هديل في

¹ موساوي: المرجع السابق، ص 184.

² فايس: المرجع السابق، ص 288.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 96، 100.

⁴ فايس: نفسه، ص ص 290-292.

⁵ نفسه، ص ص 294-295.

⁶ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 101، 102. وينظر: دوالي: مرجع سابق، ص 34.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

1242هـ/1832م¹، كما أرسل حملة سنة 1834م نحو المسيلة مرة أخرى بسبب ووقوفهم بجانب شيخ العرب بن قانة المتمرد، وانتهت بقمعهم والتتكيل به، كما شنت جمعهم ونهب أموالهم². وهاجم سنة 1834م جهة سطيف وأولاد عبد النور والسقنية³ وأولاد سعيد سنة 1835م ناحية الأوراس ونكل بهم⁴، وقد استطاع الباي أحمد (1826-1837م) الظفر ب 1260 بقرة و 1310 من المواشي وعدد من الخيول من هذه الحملات⁵.

فالحملات العسكرية اعتبرت من الركائز القويّة التي اعتمدت عليها السلطة العثمانية من أجل جمع الضرائب، وإقرار حكمها على جميع مناطق البايك. فمارستها للقوة جعلتها تضمن سرعة تحصيل الضرائب، كما أرهبت تلك القبائل الممتنعة عن دفعها⁶. ومما يمكن التنويه له أنّ تلك الحملات اعتبرت لدى الأفراد المشاركين فيها من الإنكشارية مناسبة سانحة لجمع الكثير من احتياجاتهم اليومية والفوز بريش النعام، كما كانت الحملات من العوامل المساهمة في جعل المناطق الموجهة لها تعيش انكماشاً وركوداً اقتصادياً، وهذا بسبب نهب الغنائم منها وقطع مختلف الأشجار ذات المدخول الجيد من ثمارها، لذلك عاشت هذه المناطق ركوداً اقتصادياً، وتركت العديد من الآثار السلبية فيها⁷.

وقد استطاعت السلطة العثمانية بواسطة الحملات من أن تفرض منطقتها على رعيّتها بباييك الشرق خصوصاً على تلك القبائل المتمردة، وحتى على من أراد الخروج عن طاعتها، كما وسّعت نفوذها وضمّنت تبعيّة القبائل لها، واستمرارية تدفق الضرائب لها، كما

¹ الوثيقة 18 بالمجموعة 1642. ينظر: الملحق رقم 13، ص 293.

² فايس: المرجع السابق، ص 298.

³ موساوي: المرجع السابق، ص 184.

⁴ بن العنّري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 102.

⁵ فايس: نفسه، ص 299. وينظر: موساوي: نفسه، ص 185.

⁶ زية و بن عون: المرجع السابق، ص 405.

⁷ سعيدوني: النظام المالي...، مرجع سابق، ص ص 115-116.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

سمحت هذه الحملات بإعادة إحياء الروابط بين السّلطة والقبائل بالرغم من تعدّد دوافعها، وإعلان تبعيّتها من جديد وبسّط السّلطة على كامل إقليم البايك بعدما امتنعت بعض القبائل عن أداء الضرائب، ومجاهرة بعضها الآخر بعدم التبعيّة والولاء للسّلطة جرّاء إحساسها بالبُعد الجغرافي عنها. كما برهنت من خلالها بقدرتها على إخضاع المتمرّدين، وتمكّنت من توسيع نفوذها على الأراضي الصحراوية القاصية، حتى وصلت إلى تلك المناطق خارج البايك لاستتباب الأمن فيها وإخضاعها. وبواسطة هذه الحملات أكدت السّلطة العثمانية نجاحها كإستراتيجية مُثلى، وإلى جانبها سياسات أخرى أسهمت في تثبيت الحكم، لكنّها زرعت بذور التمرّدات في البايك¹، وزادت من نفور القبائل الجزائرية من السّلطة العثمانية بالبايك².

1. 3 الحاميات والأبراج والحصون:

حافظت السّلطة العثمانية على سياستها القائمة على إقرار الحاميات والأبراج والحصون في البايك، حيث ثبتّتها منذ دخولها واستقرارها بالإيالة، وقد كانت من الوسائل الهامة والأساليب الفعّالة في إقرار الأمن، وضمان السيطرة على أراضي البايك، وإخضاع القبائل الجزائرية فيه.

والحامية أو النوبة كما يطلق عليها باللغة التركية³ هي فرقة متقلّة من الجنود الإنكشارية تتواجد على الحدود وداخل الأقاليم، وتتشكّل من مجموعة صفرات داخل المدن والقلاع⁴، وشكّلت جنود الحاميات في بايك الشرق القوة العسكرية لمختلف المحلات منها

¹ زية و بن عون: المرجع السابق، ص 415-416.

² سعيدوني: النظام المالي...، المرجع السابق، ص 229.

³ بارادي: مصدر سابق، ص 93.

⁴ معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 48.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

الاعتيادية والغازية¹. وقد أولت السلطة العثمانية أهمية خاصة بحاميات بايلك الشرق نظرًا لامتداده الواسع ولكثرة مداخله، لذلك فالحاميات هي الوسيلة المثلى التي استندت عليها السلطة العثمانية لتمد نفوذها على هذا البايك، وذلك في ساعات الضرورة فقط².

وتركزت مهامها في دعم السلطة في البايك لاستيفاء المطالب الضريبية من القبائل التي امتنعت عنها، وإخماد التمردات³ والثورات في البايك⁴، وجمع التقارير عن القبائل الجزائرية التي تكون مجاورة لها خاصة ما يخص جباية الضرائب منها⁵، فلا يمكن تحصيل الضرائب ونقلها إلى خزائن السلطة إلا بإشراف جيش الحاميات⁶. كما كان من مهامها أيضًا حراسة الحدود ومنطقتها، وهذا مما يفهم من صاحب التحفة المرضية محمد بن ميمون الجزائري أن بالحدود الشرقية توجد فرق للجنود تُقيم بالحاميات ومهمتها حراسة الحدود ومنطقتها سنة 1105هـ-1694م وذلك بقوله: «... تمردت فرق الجنود التي كانت تحرس الحدود الشرقية الجزائرية»⁷، ولضمان أمن المواقع المسؤولة على حراستها⁸، وتم تكليفها أيضًا بمراقبة الأراضي الواقعة في المناطق الخصبية التي تستغلها القبائل الجزائرية الساكنة بالجبال بعد دفع الضرائب⁹.

¹ سعيدوني، بوعبدلي: مرجع سابق، ص36. وينظر: عباد: المرجع السابق، ص314.

² معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، المرجع السابق، ص54، 48.

³ بارادي: المصدر السابق، ص95. وينظر: معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، نفسه، ص48.

⁴ معاشي: الإنكشارية والمجتمع....، نفسه، ص48.

⁵ كشرود: المرجع السابق، ص57.

⁶ سيساوي: مرجع سابق، ص22.

⁷ بن ميمون: مصدر سابق، ص25.

⁸ عباد: المرجع السابق، ص315.

⁹ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته....، المرجع السابق، ص52.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وقد ركّزت السّلطة العثمانية في تثبيت الحاميات والعساكر على المناطق التي تتخوّف منها¹ كجاية² والقل³ وجيجل وعنابة، أو المناطق التي كُنّرت فيها التمرّدات للقبائل الجزائرية البدوية كتبسة وبسكرة⁴، كما وزّعت الحاميات على المناطق الهامة في البلاد كالمراسي وبعض البلدان⁵، فثبّتت حامياتها بالبايلك⁶ في كل من برج حمزة بالبويرة وقسنطينة، حيث ضمّت حامية بايلك الشرق في مجموعها 80 خيمة أي قرابة 1092 فرد، كما تتواجد بعض الحاميات في مدُن ثانوية مثل ورقلة وبوسعادة وميلة والوادي⁷. في حين أكّد حمدان خوجة عدد حامية قسنطينة بـ100 خيمة⁸، أما المؤرخ الإنجليزي جوزيف مورغان فقد أورد أنّ لقسنطينة سنة 1144هـ/1731م حامية عثمانية قوية تشكّلت من 300 صباحي و1500 جندي من العرب⁹، وقد كتّب ذلك أيضًا العقيد بوتان (Colonel Boutin) عند وصفه لها سنة 1223هـ/1808م بأنّ لها حامية عدد رجالها 300 فرد¹⁰. أما الضابط الفرنسي فال باريزو فقد قدّر حامية قسنطينة سنة 1246هـ/1830م ما بين 1500 إلى 2000 مجنّد¹¹. أما نوبة عنابة فقد احتوت على 80 جندي، وتصل قدرة البايك الدفاعية

¹ الورتلاني: الرحلة الورتلانية...، المجلد 2، مصدر سابق، ص ص 686 - 687.

² Féraud: *Histoire des villes ...*, Bougie, op.cit, p203

³ Tassy: op.cit, p129.

⁴ الورتلاني: الرحلة الورتلانية...، المجلد 2، نفسه، ص ص 686 - 687. وينظر: معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، المرجع السابق، ص ص 48، 50.

⁵ بن ميمون: المصدر السابق، ص 37. وينظر: عباد: المرجع السابق، ص 315.

⁶ ينظر: الملحق رقم 01، ص 281.

⁷ بن ميمون: نفسه، ص 37. وينظر: معاشي: الإنكشارية...، نفسه، ص ص 48، 50.

⁸ خوجة: مصدر سابق، ص 101.

⁹ سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: المرجع السابق، ص 148.

¹⁰ Boutin Colonel: *Reconnaissance des villes forts et batteries d'Alger 1808*, H Champion, Paris, 1927, p 39.

¹¹ سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: نفسه، ص 214.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

إلى 45000 فرد بتعداد فرسان منها يصل ما يقارب 23000 فارس وإلى جانبها ميليشيا القبائل الجزائرية التي توفّر 20000 فرد¹.

وقد أكدت المصادر تثبيت السلطة العثمانية للحاميات بالبايك كإستراتيجية عسكرية تدخل في إطار سياسة الإخضاع وممارسة القوة على القبائل، فهي هو شالر يؤكد على احتفاظها بحامية عسكرية على أراضي منطقة بسكرة بالرغم من أنّ سگان بسكرة يتميزون بميلهم للسلم، وهذه الحامية كانت تحت إمرة قايد²، وكذلك الدكتور شو (Dr Shaw) الذي أقر بتثبيت العثمانيين لحامية عسكرية في مدينة نفاوس، وبها سرية من الجنود المشاة، وتحتوي على قطع من المدافع، وتقع هذه المدينة بين منطقة بومغار ورأس العيون، وكذلك الحال لمنطقة المجرفة³، وامتلكت السلطة العثمانية على قمة تلّ يقع جنوب ميناء رأس الحمراء على مسافة تقدر 1.4 فرسخ (4.2 كلم) حامية عسكرية مشكّلة من ثلاث سرايا من المجندين، وحامية في مدينة بوجي -بجاية-⁴ تتشكل من ثلاث سرايا من الجنود المشاة، وكثيراً ما تعمل قبائل بجاية⁵ كقبائل قوراية و التوجة والعديد من القبائل الأمازيغية الأخرى على جعلها مغلقة بشكّل مستمرّ في كثير من الأحيان. وبجيجل حامية عسكرية تضم سرية واحدة من الجنود المشاة⁶، وعلى المكان الحدودي بين الجزائر وتونس

¹ خلاصي: مرجع سابق، ص 239.

² شالر: المصدر السابق، ص 109. وينظر: بن ميمون: المصدر السابق، ص 37. وينظر: معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، المرجع السابق، ص 48، 50.

³ Shaw: **op.cit**, p389.

⁴ **ibid**, pp 327-329.

وينظر: بن ميمون: نفسه، ص 37. وينظر: معاشي: الإنكشارية والمجتمع...، نفسه، ص 48، 50.

⁵ بجاية: مدينة ساحلية صغيرة تقع بين عنابة ومينة الجزائر سيطرت عليها قوات الاحتلال الفرنسي بعد احتلال العاصمة. ينظر: شلوصر: مصدر سابق، ص 37.

⁶ Shaw: **ibid**, pp 328-332.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وبالضبط بتبسة¹ أقرّ العثمانيون حامية عسكرية نظراً لموقعها الجغرافي الممتاز²، وبفضلها نُشِرَ الأمن وعمّ الاستقرار وسط قبائل تلك المنطقة³. كما أشار الورثاني أنّه بمنطقة زمورة حامية عسكرية⁴، وعليها قائد عثماني يسلّط عليهم الظلم لميلهم إلى الفتنة والإقتال فيما بينهم⁵.

وهنا وجب أن نذكّر بتحمّل باي الشرق القسط الأكبر ممّا تنفقه هذه الحاميات على أفرادها⁶، الذين كُلفوا بحماية المدن في عامهم الأول، ثمّ ينتقلون للعمل بالمعسكرات في عامهم الثاني⁷. ويتم تحصين نوبات بايلك الشرق بمجموعة من المدافع حيث توجد 80 منها في عنابة و154 ببجاية و10 ببرج حمزة و91 بقسنطينة و18 ببسكرة و18 بالقلّ، كما توضع مجموعة من المدافع في العديد من النقاط المحمية بالطريق السلطاني ببرج مجانة مثلاً وبتبسة وزمورة وبرج بوعريرج وميلة وجيجل⁸، كما تمّ تكليف جنود من الحاميات للسفر من قسنطينة إلى الجزائر إلى جانب قوافل المسافرين، واستغلالهم من طرف قوافل الحجيج بهدف ضمان أمنهم من هجمات القبائل المعتدية عليهم⁹.

¹ Shaw: op.cit, p382.

وينظر: بن ميمون: المصدر السابق، ص37. وينظر أيضاً: معاشي: الإنكشارية والمجتمع، المرجع السابق، ص48،50.

² Shaw : ibid, p382. وينظر: كاستيل: مصدر سابق، ص175.

³ فركوس: مرجع سابق، ص42.

⁴ الورثاني: الرحلة الورثانية....، المجلد 1، المصدر السابق، ص81. وينظر: بن ميمون: نفسه، ص37. وينظر: معاشي: الإنكشارية والمجتمع....، نفسه، ص48،50.

⁵ الورثاني: الرحلة الورثانية....، المجلد 1، نفسه، ص81.

⁶ معاشي: الإنكشارية والمجتمع، نفسه، ص55.

⁷ بن ميمون: نفسه، ص37.

⁸ خلاصي: مرجع سابق، ص207.

⁹ المكناسي محمد بن عبد الوهاب: رحلة المكناسي المسماة إحرار المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785م، تح وتقا محمد بوكبوط، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2003، ص301.

ومما تجب الإشارة إليه زيادة عدد المجندين المتواجدين بحاميات المناطق التي تشهد كثرة التمردات نظراً لعدم الاستقرار بها، لذلك نجد عددهم يزيد في مدينتي قسنطينة وبسكرة أكثر من المناطق الأخرى، نظراً لإحاطتها بالقبائل الجزائرية التي تميل دوماً إلى الثورة والتمرد على السلطة، ويقل عدد جنود الحاميات في كلٍّ من جيجل وحمزة والقل وغيرهم من مدن البايك نظراً لحالة الاستقرار بها، في حين تُترك الجهات النائية والجلية لقادتها المحلية من أجل ضمان استقرارها¹.

وبالتالي تمكنت السلطة العثمانية بفضل هذه المليشيا من إحكام السيطرة على قبائل بايلك الشرق، وحصلوا منهم الضرائب والغنائم التي جعلت بايات الشرق يحضون بمكانة مميزة عند دايات الجزائر²، وبفضل هذه القوات أضحى بايلك الشرق أكثر أماناً واستقراراً وهذا ما لاحظته الورثلاني في رحلته³، وغيره ممن زار الإقليم. أما في أواخر الحكم العثماني فقد أشار حمدان خوجة في كتابه المرآة أن هذه المليشيا صارت تضر بالقبائل الجزائرية حيث ارتكبت في حقهم العديد من المخالفات مما أشعل فتيل الثورات والتمردات بسببها⁴.

وبفضل هذه النوبات تم حماية ممتلكات الأسر المحلية والأسواق، وتأمين عملية تنقل البضائع ومختلف السلع من هجمات بعض القبائل الجزائرية عليها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره أحمد باي (1826-1837م) حول دور نوبة بسكرة في صد هجمات قبيلة الصّحاري المتكررة على الممتلكات والأسواق والبضائع⁵، كما تدعمت السلطة وتمت مراقبة أراضي البايك عن

¹ معاشي: الإنكشارية والمجتمع ...، المرجع السابق، ص 48.

² نفسه، ص 56.

³ الورثلاني: الرحلة الورثلانية...، المجلد 2، المصدر السابق، ص 685.

⁴ خوجة: المصدر السابق، ص 111.

⁵ رسالة رقم 16 مجموعة 1642 بالمكتبة الوطنية. ينظر: الملحق رقم 14، ص 294.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

طريق الحاميات المتواجدة قرب أماكن استقرار القبائل شبه المستقلة، سعيًا منها لضمان الطاعة والولاء وتحصيل المطالب المخزنية أيضا¹.

أمّا فيما يخص الأبراج والحصون فقد تحتم على السّلطة العثمانية الاستمرار في سياستها القائمة على الاهتمام بالأبراج، والتي تعتبرها قواعد عسكرية مهمة وأماكن إدارية خاصة بالأرياف وإلى جانبها الحصون، نظرًا لازدياد عدد سكان البايك، وميول عدد من قبائله للتمرد والثورة هذا من جهة، وضرورة إيجاد أماكن لاستقرار الحاميات وتحصين الأماكن الرئيسية والهامة في الإقليم من جهة أخرى.

لذلك اهتمت السّلطة العثمانية بالأبراج التي كانت قد أقرتها بالأرياف، حيث تُعتبر محل إقامة دائمة للحاميات العسكرية ذات الأعداد القليلة من الأفراد المجندين بها، والذي لا يزيد عددهم عن 100 جندي²، وقد عملت السّلطة على تشييدها في أماكن هامة تميزت بموقعها الإستراتيجي على مستوى البايك³، حيث نجدها في المناطق كثيرة السهول الخصبة أو عند الجبال في أماكن تواجد القبائل المخزنية. ومن أبرز مهامها دعم المحلات وقت جمع المطالب المخزنية، والعمل على أمن الطُرق الهامة بين البايك و دار السلطان عند

¹ سبساوي: المرجع السابق، ص22.

² شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص56.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، المرجع السابق، ص ص 267-268. وينظر: شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، نفسه، ص56.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

التّنقّلات¹، وكذلك ترصد القبائل المستقرّة في الجبال²، وتلك القبائل المُعتدية على المسافرين خصوصًا قوافل الحجّيج³، كما يتمّ فيها تجميع الضرائب والغرامات المحصّلة⁴.

فالسّلطة العثمانية اعتمدت من أجل ضمان سيطرتها على أراضي البايك والاعتراف بقوة السّلطة فيه على أحد الأنظمة القائمة على وجود مراكز للمراقبة، وترافقها دوماً حاميات عسكرية من جنود الإنكشارية مهمّتها الحراسة، وقد كانت تلك المراكز تقوم بالوقوف على جميع طرق الاتّصالات الرئيسية والسيطرة عليها⁵. وقد تميّزت تلك الأبراج بفعاليّة كبيرة رغم قلة عدد الأفراد المجنّدين بها، وكثيرًا ما عملت القبائل المتمردة على تخريبها بالرغم من وجودها في مواقع إستراتيجية⁶.

ومما يثبت اهتمام السّلطة العثمانية بالحصون والأبراج والأسوار ببايك قسنطينة هو ما أشار إليه الورثلاني في رحلته عنها، فقد لاحظ مغالاة السّلطة في الإنفاق عليها مهما كانت الظروف، ممّا تسبّب في إفلاس خزينة البايك مرّات عدّة⁷. وقد تواجدت الأبراج في مناطق عديدة ببايك الشرق، فمنها بسطيف ومجانة وبرج بوعريّج⁸، وبجاية⁹ وبزمّورة التي تستقرّ

¹ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته، المرجع السابق، ص56.

² شدي معمر: السّلطة الروحية...، مرجع سابق، ص144. وينظر: شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، نفسه، ص56.

³ بوسعيد أحمد: ركّب الحجّ الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م) دراسة تاريخية اجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد حوتية، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار، السنة الجامعية 1438-1439هـ/2017-2018م، ص155.

⁴ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، نفسه، ص56. وينظر: شدي معمر: السّلطة الروحية...، نفسه، ص144.

⁵ وولف: مرجع سابق، ص394.

⁶ شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، نفسه، ص56، 57.

⁷ الورثلاني: الرحلة الورثلانية...، المج 2، المصدر السابق، ص ص 686 - 687.

⁸ فركوس: مرجع سابق، ص41.

⁹ Féraud: Histoire des villes ..., Bougie, op.cit, p 203.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

به حامية عسكرية¹، وعليها قائد عثماني يسلّط عليهم الظلم لميلهم إلى الفتنة والاعتقال فيما بينهم²، وقد ساعد هذا البرج في كبح توسّعات قبيلة بني عباس، وأحلافها المستقرّين بمجانة وجبال البابور وواد بوصلح، كما كانت الأداة الهامة في حماية الطريق بين الجزائر وقسنطينة، وأبقت الاتصال المستمرّ مع منطقة بجاية، كما تُعتبر مَحطةً لاستراحة جنود المحلّة عند توجّهها لجباية الضّرائب، وجعلت السّلطة العثمانية منها سوقاً أسبوعياً³، كما كان بمجانة برجٌ به مجموعة من المدافع لحماية الطريق السلطاني⁴.

ومما بيّن اهتمام السّلطة العثمانية بإقامة الأبراج، هو شروع أحمد باي القلي (1756-1771م) في بناء برج الفسقية⁵، وقد أكمل أشغاله الباي صالح (1771-1792م) وحوّل كامل أراضي الفسقية والكرّش إلى عزّل للبايك. وتمّ استخدام مَخازن برّج الفسقية الكبيرة في الكثير من الأوقات في تخزين كميات من القمح والشّعير المنتجة بعزّل البايك هناك⁶، كما لا نفوتنا الإشارة إلى بعض الحالات التي يتمّ فيها استغلال بعض الأبراج كسكنات لممثلي السّلطة، وما يثبت ذلك ما أشار إليه السيد دانكور في رحلته بالشرق الجزائري أواخر القرن 11هـ/17م إلى وجود برج إلى الشمال من مدينة قسنطينة وقد استغلّه الباي ليكُون مَنْزلاً له بعد إصلاحه وتحديثه⁷.

أما فيما يخصّ الحصون فمن الملاحظ على جميع قرى بايك الشرق تحصينها الجيّد عن طريق أسوارٍ تحيطُ بها، بحيث لا يستطیع الأعداء الهجوم عليها إلاّ بواسطة

¹ فركوس: المرجع السابق، ص40. ينظر: الورثاني: الرحلة الورثانية...، المجلد 1، المصدر السابق، ص 81.

² الورثاني: الرحلة الورثانية...، المجلد 1، نفسه، ص 81.

³ شدي معمر: السّلطة الروحية...، المرجع السابق، ص145.

⁴ خلاصي: المرجع السابق، ص207.

⁵ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص61. وينظر: فايس: المرجع السابق، ص144.

⁶ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص64. وينظر: فايس: نفسه، ص170.

⁷ سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: مرجع سابق، ص140.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

المدفعية، وهذا ما أكّده شلوصر¹، وقد خضعت جميع حصون بايلك الشرق إلى إشراف الباي².

كما امتازت مدينة قسنطينة بسورٍ ذي فتحاتٍ كمداخل لها، ويتميّز بوجود صخور تدعمه في العديد من المناطق³، فقد كان لها حصنا حصيناً من هجمات الأعداء، وقد ذكّر صاحب التّحفة المرضية حصون مدينة قسنطينة سنة 1100هـ-1697م بقوله: «...أنّ باي مراد التونسي فاجأ قسنطينة بهجوم ... فذبح حراس الحصون وحاصر المدينة»⁴ التي كانت مهمتها الدفاع عن المدينة، وتأمينها من الهجمات المفاجأة التي تكون من مصادر خارجية أو حتى داخلية كتمردات القبائل الريفية.

ويؤكّد ذلك أيضا لويس دي فونتان في مذكّرتة سنة 1200هـ/1785م بأنّ مدينة قسنطينة محاطة بأسوار عالية حيث وصل سمكها متراً ونصف المتر، وتوجد خلفها مخازن السّلاح⁵، وهذا ما لاحظته العقيد بوتان أيضا سنة 1223هـ/1808م مع وجود 200 مدفع ومدفع هاون، إلا أنّه يؤكد على عدم وجودها خارج المدينة لا هي ولا حتى بطاريات⁶.

وما يُمكن الإشارة إليه زيادة اهتمام السّلطة العثمانية بالحصون خاصة بقسنطينة إثر سقوط العاصمة سنة 1830م، فقد عمّد الباي أحمد 1826-1837م إلى تحصين المدينة وذلك بزيادة ارتفاع أسوارها حتى تصبح قوية أمام مدافع الاحتلال، كما تمّ تزويدها بالمدافع⁷.

¹ شلوصر: المصدر السابق، ص98.

² رحموني: مرجع سابق، ص256.

³ Mercier Ernest: **Constantine avant la conquête française 1837**, Typographie L. nolt, AD. Braham , Constantine, 1878, p07.

⁴ بن ميمون: المصدر السابق، ص26.

⁵ سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: المرجع السابق، ص177.

⁶ Boutin : **op.cit**, p 39.

⁷ شلوصر: نفسه، ص 61. وينظر: فايس: المرجع السابق، ص290.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وقد كانت السّلطة العثمانية تسلّح تلك الحصون بعدد من المدافع، وذلك بهدف دَعْم أفراد الجيش فيها عند غارات القبائل القريبة منها، وحتى تفرض سلطتها على المنطقة، وممّا يؤكّد ذلك كثرة تحصينات مدينة نفّاوس والتي كانت محاطة بسورين، وهي مسلّحة بثلاث مدافع وجّهتها السّلطة العثمانية نحو القبائل القريبة منها كأولاد سلام وسلطان وأولاد بن صابر وكذلك أولاد دراج، وهذا لأنّها معروفة بكثرة إغارتها على السّلطة بشهادة الدكتور شو¹.

كما لا يمكننا إغفال استغلال السّلطة العثمانية لبعض الحصون الصغيرة المتواجدة في أراضي بعض القبائل كمكان لإيواء الحاميات صغيرة العدد في البايك، حيث أكّد الدكتور شو (Dr Shaw) وجود حصن بجيجل للأتراك يتميز بصِغره وهو يأوي حامية عسكرية تضم سرية واحدة من الجنود المشاة، ووجود حصن منيع به قلعة على قمة تلّ يقع جنوب ميناء رأس الحمراء على مسافة تقدر بـ 1.4 فرسخ (4.2 كلم)، تتمركز بها حامية عسكرية مشكّلة من ثلاث سرايا من المجندين².

2. سياسة فرق تسد:

كثيرا ما استعملت السّلطة العثمانية سياسة العنف لإنهاء التمرّدات وتحصيل الضرائب، وقد وجّدت نفسها في بعض الحالات تلجأ مرغمة نحو تطبيق سياسات تميّزت بالمكر والخداع أو توظيف الدّهاء بهدف كسر شوكة القبائل الجزائرية أو منع قيام تحالف بينهم للمحافظة على سيطرتها بالبايك، ومن بين تلك السياسات نجد سياسة فرق تسد والتي وظّفت أيضًا على القبائل التي امتنعت عن إظهار الولاء لها.

¹ حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية مدن الشرق، ج3، ط خ، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص172.

² Shaw: op.cit, p332, 337.

لم تتمكّن السّلطة العثمانية من فرض السيطرة على القبائل الجزائرية ببإيلك الشرق ماعدًا في مرحلة صالح باي (1771-1792م)، فقد كان شيوخ العرب ورؤساء القبائل يعملون على تنظيم التمرّدات باستمرار، ويرجع ذلك لمناطق تواجد بعض القبائل بالجبال الحصينة أو في صحراء البإيلك، أو بها شخصيات تميل إلى إثارة الفتن ونشر القلقة بين أفرادها، وهذا ما جعل السّلطة العثمانية تلجأ إلى أسلوب الدسّ والكيد للقبائل، حتى وصل بهم الحال إلى دفع الرّشوة والإفساد بينهم في كثير من المرات، بعدما وجدت نفسها يائسة من استعمال العنف والقوة عن طريق توجيه المحلّلات الغازية عليها، فوجدوا فيها أداة سهلة للتّفريق بين القبائل وضمان حكمها عليهم¹.

فالسّلطة العثمانية لطالما عملت على تشجيع التّنافس بين القبائل، كما غذّت الصراع بين العشائر الذي استند على مبدأ الصّف على القبائل الجزائرية المتواجدة بالهضاب العليا والأوراس وكذلك صحراء البإيلك، والهدف من ذلك دوما هو بقاء هيمنة وسيطرة السّلطة على إقليم البإيلك². ومن القبائل التي اعتمدت على مبدأ الصّف نذكر أولاد سنان ودراج وأولاد حداد و حمزة و أولاد مقران، وكذلك بني عباس من القبائل الواقعة في غرب أو شمال سطيف، وإلى جانبهم أيضا نجد بني عامر وبني عمران وأولاد سيّار وبلاّفو وبني حطّاب و قبائل فرجية وساحل البابور وزواغة الذين تواجدوا بالشمال القسنطيني³.

ومن بين الأسر المحليّة الأولى التي طبّقت عليها السّلطة العثمانية سياسة التّمزيق والتّفريق نجد أسرة أحرار الحنانشة، ويرجع السبب في ذلك إلى موقعها الجغرافي حيث

¹ الميلي: مرجع سابق، ص ص298-299.

² سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 40.

³ موساوي: المرجع السابق، ص 69.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

تواجدت على الحدود الشرقية، ممّا جعلها تتواجد بين سُلطتين متصارعتين، وكل طرف منهما يريد كسبها لجانبه، ولذلك عملت السّلطة على بثّ الشقاق داخلها¹.

فسعت السّلطة العثمانية جاهدة لبثّ روح الشقاق والتّفرقة بين القبائل بكل الطّرق مستغلة في ذلك ميول تلك القبائل إلى تلك الحالة من الانقسام، فعملت على إشعال فتيل الحروب من أجل أن تسيطر عليها². لذلك وجّدت السّلطة العثمانية ضرورة تطبيقها على القبائل المتواجدة في بايلك الشرق كون هذه السياسة برهنت على نجاعتها، وبواسطتها تمكّنت من السيطرة على السكان وإخضاعهم³. ولعلّ من بين من أقرّ بذلك هو آخر البايات في نهاية العهد العثماني ألا وهو أحمد باي (1826-1837م)، حيث أكّد على ضرورة الحفاظ على حالة الحرب بين القبائل لأنّها الأداة الأساسية لضمان الحكم والسيطرة عليهم، كما أضاف سياسة التّحريض والتنافس بين القبائل⁴.

ومما يثبت ذلك أيضًا هو تأكيد لويس رين (LOUIS RINN) تطبيق سياسة فرّق تسد بين القبائل، مفسّرًا ذلك بأنّ السّلطة العثمانية كانت تخشى اتحادهم وقوّة شوكتهم، فكانت بواسطتها تمنع الاتحاد بينهم ومن خلالها تزرع بذور الفرقة داخل الأسر الحاكمة، وتخلق المنافسة بينهم، وتغذي الكراهية فيهم، وغيرها من الأعمال⁵.

فتّم توظيف هذه السياسة على الأسر الكُبرى الحاكمة في البايك مثل أسرة بوعكاز، حيث عملت السّلطة العثمانية على سحب المشيخة منها وتسليمها لعائلة ابن فانة وكذلك على عائلة المقراني، حيث عمدت السّلطة على جعلها منقسمة فيما بينها بفروع

¹ معاشي : الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 275-276.

² شالر : المصدر السابق، ص 115.

³ معاشي : الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، نفسه، ص 270.

⁴ باي أحمد : مصدر سابق، ص 40-41. وينظر : معاشي : الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، نفسه، ص 270.

⁵ Rinn: op.cit, pp5-6.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

متناحرة، وكذلك تمّ الإيقاع ببني جلاب وأسرّة بوعكّاز بن عاشور¹ بفرجيوة في نفس الفخّ وغيرها، وبذلك كُنّرت الفتن وعمّت الحروب في البايك حتى سقوط قسنطينة².

كما لم تسلم عائلة أولاد عزّ الدين بزواغة والتي ارتبطت بعلاقة تحالف مع السّلطة منذ استلامها للمشخة منذ 1764م من ذلك، فقد مارست عليها السّلطة العثمانية سياسة فرق تسدّ بهدف إضعافها، وكان من نتائجها انقسام الأسرة على نفسها إلى شقين متخاصمين ومتصارعين هما قسم أولاد عزّ الدين وقسم أولاد حمزة³.

كما مارست السّلطة العثمانية في عهد صالح باي (1771-1792م) هذه السياسة على أولاد بن عاشور سنة 1195هـ/1781م، فبعد مهاجمتهم عمل على تحقيق ما كان يصبوا إليه من فُرقة، فعمد على جذب المقربين من شيخ فرجيوة وزرع الشقاق بين أفراد القبيلة، وتمكّن من التفريق بينهم وتنصيب لمقورة بوطغان والياً عليها، لتشتعل الحرب بين الشّخين، وخرج صالح باي (1771-1792م) من المنطقة ليتركها في صراع مستمرّ، يدغم طرفاً على طرف من وقتٍ إلى آخر⁴.

ومن بين مظاهر تطبيق تلك السياسة أيضاً ما طبّقه شاكّر باي (1814-1818م) في حوادث مجانة سنة 1814م إثر تمردّها نهاية عام 1813م على الباي نعمان (1811-1814م) الذي لقي حتفه هناك، وهنا طبّق الباي الجديد سياسة التفرقة بين متمرّدي مجانة

¹ بوعكّاز بن عاشور: هي من الأسر الريفية التي ساهمت في سير الأحداث بالأرياف القسنطينية، وهم حكام فرجيوة، هذه المدينة التي تقع جنوب جيجل، وقد ظلت هذه الأسرة تتمتع باستقلالها إلى أن جاء الباي بوكمية ليعمل على إخضاعها سنة 1124هـ/1713م إلا أنه فشل في ذلك، وبوصول صالح باي إلى الحكم مارس عليها سياسة فرق تسدّ ونجح في إضعافها، لتتحول حينها إلى قبيلة مخزنية. ينظر: معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق ...، المرجع السابق، ص ص 93-94.

² نفسه، ص 272.

³ طالي معمر وموساوي: مرجع سابق. ص ص 273-274.

⁴ زية و بن عون: مرجع سابق، ص 408.

لإضعافهم وإرغامهم على الخضوع له بالرغم من تسليطه عليهم سياسة القوة والعنف التي لم تُجدِ نفعا، وبفضلها تمكّن منهم، كما خلف خسائر بشرية بين سكان المنطقة والهضاب العليا، الذين تعرضوا للقمع الشديد وعانوا من الأوبئة والمجاعات وقتًا طويلاً¹.

وقد اتضحت آثار هذه السياسة جلياً على أسرة الحنانشة والتي طيّقت عليها هذه السياسة بعد وفاة شيخهم سنة 1642م فيما بعد، حيث قُدمت المشيخة على غير العادة لمنصر الابن الأصغر للشيخ المتوفى، فعاشت القبيلة صراعاتٍ مريرة بعدها، واستفادت السّلطة من ذلك في اجتهاد كل من نصر ومنصر ابني الشيخ المتوفى في تقديم خدماتهما للباي حتى يَرْضَى عنهما ويفوز أحدهما بالمشيخة في أولاده².

وبالتالي استطاع بايات بايلك الشرق بواسطة سياسة فرّق تسدّ من العمل على جعل كل العلاقات القبليّة والروابط الأسرية تضعف، ويظهر عليها الاضمحلال والتفكك، وبواسطتها تمّ إغراق بعض الأسر والقبائل بأموال ومناصب دون غيرها، أو أن تصل بهم الدرجة إلى نزع تلك الامتيازات والوظائف من جهة لتُقدّم إلى أخرى، وهذا ما ساعد على قيام الحروب بين القبائل أو حتى بين الأسرة الواحدة³.

فسياسة فرّق تسدّ اعتُبرت من الأدوات الناجعة المستخدمة من طرف السّلطة العثمانية على الأسر الحاكمة بالأرياف القسنطينية لجعلها خاضعة لها، كما خلفت صراعاً مريراً مزّق في النهاية كل الروابط بينها، نتيجة سعيها إلى تحقيق مصالحها الشخصية على حساب غيرها، حتى داخل الأسرة الواحدة ممّا عجل بالقضاء على نفوذها في البايك⁴.

¹ الزبيري: مرجع سابق، ص 28.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص 272.

³ نفسه، ص 271.

⁴ نفسه، ص 275.

3. سياسة تغذية الصراعات والتحريض والغدر:

وقد عمدت السلطة العثمانية إلى سياسة خلق التنافس بين شيوخ القبائل، واشعال الفتنة بينهم نظراً لخوفهم من ازدياد قوتهم¹ وانعكاس ذلك عليها سلباً، فكثُر قتالهم فيما بينهم من أجل الظفر بالزعامة وفوزها بالخطوة عند السلطة².

لطالما عملت السلطة العثمانية على خلق العداء بين القبائل الجزائرية بهدف إنهاء المعارضة من قبلهم فيما تقوم به من مشاريع، وحتى لا يقوم اتحاد بين تلك القبائل قد يشكل خطراً عليها فيما بعد³. وقد أشار شالر إلى أنّ السلطة العثمانية لطالما عملت على إذكاء نار الحروب بين القبائل الجزائرية، خصوصاً الأمازيغية المشهورة بكثرة الحروب فيما بينها وذلك بهدف إبقائهم في حالة مستمرة من الشقاق والتفريق لتمكن من السيطرة عليهم⁴.

وقد عمدت السلطة العثمانية على خلق التناحر والتنافس بين القبائل الجزائرية في البايك⁵، وأبقته في تناحر وتطاحن مستمرين وذلك بدعم وتأيد طرف على طرف⁶، خصوصاً بين القبائل التي شكّلت أحلافاً كبرى بينها، ومن أشهر تلك الأحلاف نجد أحلاف قبيلة عبد النور والحراكتة جهة الهضاب العليا، والأعشاش وأولاد خيار وأولاد زين والأعشاش بمنطقة الأوراس، وأحلاف الصحراء بين بني ثور والمخادمة والشعانبة

¹ بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر...، مرجع سابق، ص 64. وينظر: شكري معمر: قبيلة عبد النور بالجزائر...، مرجع سابق، ص 715.

² بحري: الحياة الاجتماعية بالجزائر...، نفسه، ص 64.

³ الزبيري: المرجع السابق، ص 23.

⁴ شالر: المصدر السابق، ص 115.

⁵ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 109.

⁶ الزبيري: نفسه، ص 24.

وسعيد عطية وكلّها كانت تتصارع على أماكن المياه والمراعي، لذلك دأب البايات على جعلها في عداوة دائمة وحرصوا على ذلك من أجل ضمان سيطرتهم ونفوذهم على البايلك¹. وقد تعوّدت السّلطة العثمانية على إشعال نار الفتنة بين الحناشنة والنّماشنة وقبيلة الحراكنة الذين عاشوا في صراع مستمر تتخلّله فترات للتقاهم والاتحاد بينهم، فتوجّه لهم الحملات العسكرية لإرغامهم على دفع الضرائب وإنهاء حالة تمرد²ها.

كما ساهم تعيين بن قانة شيخاً للعرب من قبل الباي أحمد القلي (1756-1771م) في تأجيج الصراع بين أسرة بوعكاز صاحبة الأحقية وجيش الباي وحليفه بن قانة³، فقد تمّ تعيين بن قانة على المشيخة بهدف انتقام الباي من شيخ العرب علي بوعكاز سنة 1762م⁴، وقد وقفت إلى جانب شيخ العرب المخلوع علي بوعكاز كل من بني جلاب وأولاد صولة، ولم تكن الغلبة في صالح الشيخ الجديد لذلك اكتفى بهذا اللقب الصوري، وبقي الشيخ بوعكاز يمارس سلطته العملية على القبائل⁵.

وفي عهد صالح باي (1771-1792م) توجه إلى منطقة الزيبان لأربع مرات بسبب الخلاف الواقع بين أسرتي بن قانة وبوعكاز، واللّتان تتنافسان على السيادة في جنوب البايلك، وهنا تدخل صالح باي (1771-1792م) واستطاع إنهاء هذا الصراع، وتمكّن من إرجاع الهدوء للمنطقة، وكان هذا بواسطة دعمه لطرف على حساب طرف، وكانت أسرة بن قانة هي المستفيدة من هذا الدّعم⁶. كما تمكّن هذا الباي من بثّ الشقاق داخل أسرة

¹ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص109. وينظر: شكري معمر: قبيلة عبد النور بالجزائر ...، المرجع السابق، ص715.

² الزبيري: المرجع السابق، ص26.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص289.

⁴ حرزالله: مرجع سابق، ص80.

⁵ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، نفسه، ص289.

⁶ فايس: المرجع السابق، ص162.

الحنانشة بين إبراهيم بُوعزيز وابنه بوخفص وبين أتباعه وأصهاره النّمامشة، وإلى جانبهم أولاد يحي بوطالب وأيضًا قبائل الأوراس الواقعة في الشرق و هم تحت حكم الشيخ إبراهيم، حيث استطاع الباي صالح بمساعدة الحراكّة القضاء على نفوذ أسرة الأحرار بالمنطقة ويقضي على الصراع القائم هناك، وكان نتيجته استسلام الشيخ للباي، الذي سجّنه ثم قتله بقسنطينة و ولّى مكانه للمشixe ابنه بوخفص حتى وفاته 1209هـ/1795م¹. وهنا لا تقوتنا الإشارة إلى استعمال السّلطة العثمانية أيضًا أسلوبًا آخر تمثّل في القبض على بعض رجالهم، واستعمالهم كرهائن لتشتيت اتحاد القبائل فيما بينهم، وقد وصل بهم الحدّ إلى قتلهم في كثير من الأحيان، وكلّ هذا بهدف تشتيت اتحاد هذه القبائل وإبقائها في صراع دائم ضامنًا لهيمنة السّلطة عليهم وإبقائهم في تبعية لهم².

كما استعمل صالح باي (1771-1792م) سياسة التآمر والكيد على بني جلاب بعدما استطاع اخضاعهم سنة 1788م، وقد نتج عنها قتل السلطان فرحات بالسّم، ليتولّى رئاستهم إبراهيم ابن أخ السلطان فرحات، والذي لم يسلم من سياسات صالح باي (1771-1792م)، حيث تآمر عليه هو وشيخ العرب محمد بن قانة، ليفرّ ويفسح المجال لإبراهيم بن قانة للرئاسة، هذا الأمر الذي لم تتقبّله القبائل الجزائرية الواقعة في الصحراء، إذ اتحدت وأعادت صاحب الحقّ، مما جعل الباي صالح يقبل ذلك رغماً عنه بشروط³.

وقد نجح صالح باي (1771-1792م) في تخريض شيخ أحرار الحنانشة إبراهيم بوعزيز سنة 1186هـ/1773م لغزو قرية شارن بتونس بهدف إرجاعها لسلطته، ممّا أوجد له سببًا وجيهًا للتّحرك عسكريًا من أجل تنفيذ مخططاته⁴. فسياسة التّحريض المنتهجة من

¹ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 283.

² بوعزيز: مرجع سابق، ص 37.

³ بن معمر: مرجع سابق، ص ص 22-23.

⁴ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، نفسه، ص ص 282-283.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطنة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

قَبْلَ السُّلْطَةِ العُثْمَانِيَةِ اسْتَعْمَلَتْهَا حَتَّى خَارِجَ حُدُودِ الْبَايْلِكِ خِدْمَةً لِفِكْرَةِ تَوْسِيعِ أَرْضِيهَا وَنَفُوذِهَا أَيْضًا.

كَمَا اسْتَعْدَمَ الْبَايَ مُصْطَفَى إِنْجَلِيز (1212هـ - 1218هـ / 1798-1803م) أُسْلُوبَ تَأْلِيْبِ الْقَبَائِلِ عَلَى بَعْضِهَا، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي تَوْظِيفِ قَبِيلَةِ أَوْلَادِ سَيِّدِي يَحْيَى بْنِ طَالِبٍ¹ الْوَاقِعَةِ شَمَالَ تَبَسَةَ وَالْمَشْهُورَةِ بِعِلَاقَاتِهَا الْوُطِيدَةِ مَعَ السُّلْطَةِ الْعُثْمَانِيَةِ² ضِدَّ أَوْلَادِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْعَوَاسِيِّ عِنْدَ الْحَنَاشَةِ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا شَيْخَهُمْ وَأَعْلَنُوا التَّمَرُّدَ، كَمَا فَشِلَتْ كُلُّمَا الْحَمْلَتَانِ اللَّتَانِ أَرْسَلَهُمَا الْبَايَ إِنْجَلِيز، فَكَانَ الْحَلُّ الْوَحِيدَ لَهُ اسْتِخْدَامُ طَرِيقَةِ تَأْلِيْبِ الْقَبَائِلِ الْمَجَاوِرَةِ عَلَيْهَا، فَهَجَمَ الشَّيْخُ يُونُسُ عَلَى الْحَنَاشَةِ وَقَتَلَ زَعِيمَهُمْ أَحْمَدَ بُوْعَزِيْزَ وَأَخَاهُ، وَبِهَذَا انْتَهَتْ الثَّوْرَةُ وَاسْتَنْتَبَ الْأَمْنُ فِي الْمَنْطَقَةِ، وَنَجَحَ الْبَايَ فِي مَسْعَاهُ³.

وَمِنْ أَبْرَزِ مَظَاهِرِهَا أَيْضًا بَعْدَ وَفَاةِ صَالِحِ بَايَ سَنَةَ 1792م نَجْدَ تَحْرِيطِ خَلِيفَةِ الْبَايِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْقَلِيِّ لِأَخُوَّةِ بَنِي جَلَابٍ مِنْ أَجْلِ قَتْلِ أَخِيهِمُ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَلَابٍ، مُقَابِلَ وَعْدِهِ بِتَقْدِيمِ الْمَسَاعِدَاتِ الْمَخْتَلِفَةِ لَهُمْ، غَيْرَ أَنَّ سَكَّانَ الْمَنْطَقَةِ أَفْشَلُوا تِلْكَ الْمَسَاعِي بَعْدَ حَرْبٍ دَامَتْ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَتَوَلَّى الْحُكْمَ مُحَمَّدُ بْنُ جَلَابٍ بَعْدَمَا قَتَلَ أَبْنَاءَ عَمِّهِ سَنَةَ 1804م، وَقَدْ عَرَفَ كَيْفَ يَسْتَمِيلُ السُّلْطَةُ الْعُثْمَانِيَةُ لِلْحِفَازِ عَلَى حُكْمِهِ إِلَى وَفَاتِهِ سَنَةَ 1822م، لِيَبْقَى ابْنُهُ الْأَكْبَرُ فِي الْحُكْمِ حَتَّى 1830م⁴.

وَمِنْ مَظَاهِرِ تَغْذِيَةِ الصِّرَاعَاتِ أَيْضًا نَذْكُرُ تَدْعِيْمَ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْقَلِيِّ (1756-1771م) لِأُسْرَةِ بَنِ قَانَةَ، الَّذِي رُبِّطَتْهُ عِلَاقَةٌ مَصَاهِرَةٍ مَعَهُمْ فِي صِرَاعِهَا ضِدَّ أُسْرَةِ بُوْعَكَازَ وَأَنْصَارِهَا، فَزَوَّدَهَا بِالْجُنُودِ سَعِيًّا مِنْهُ لَتَدْعِيْمِهَا فِي الْقَضَاءِ عَلَى مَنْافِسَتِهَا بَعْدَ وَفَاةِ صَالِحِ

¹ فايس: المرجع السابق، ص 200.

² فركوس: مرجع سابق، ص 42.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 69. وينظر: فايس: نفسه، ص 200.

⁴ الزبيري: المرجع السابق، ص 33.

باي سنة 1792م، فأضحت منطقة بسكرة و ما جاورها ميداناً للمعارك بينهما¹، و لم يرجع الهدوء إلى المنطقة إلا بوصول أحمد باي إلى الحكم سنة 1826م، الذي استطاع حياكة مؤامرة لقتل أولاد زكري الذين شكّلوا السند الأساسي لعائلة بوعكاز في قرية أطلق عليها اسم بني يزيد إذ لم يبق منهم أحد، وعاشت المنطقة الهدوء إلى غاية 1830م². فبواسطة سياسة التحريض والتنافس بين القبائل التي اتبعتها أحمد باي (1826-1837م) استطاع أن يحافظ على حكمه وضمان عدم اتحاد القبائل ضده³.

وقد أشار فايست إلى بعض مظاهر تغذية الصراعات والتحريض للسلطة العثمانية بعد 1831م، وهو ما عمد إليه أعضاء المخزن بالبايلك بهدف التحريض وخلق الشقاق، حين التقوا بشيخ العرب بن قانة وتساءلوا حول تصرفات الباي أحمد (1826-1837م) معه، حين سحب منه التشريفات ومنحها لبن عيسى، ممّا جعل شيخ العرب يسحب زمالته متخلياً عن الباي هو وبعض قاداته⁴.

ومما يمكن أن نشير إليه هنا أيضاً هو اتباع أحمد باي (1826-1837م) أسلوب الغدر وتقديم الوعود الزائفة لاستدراج أفراد من القبائل الجزائرية بالبايلك، خصوصاً بعد سقوط العاصمة، وخير مثال على ذلك ما قام به سنة 1835م أن أمر الشاوش بقتل 60 فارس من قبيلة أولاد مطلة، ثم قتل 110 من أولاد عامر بمنطقة عذاور، و60 رجلاً من بني وجانة، بعد أن استدراجهم ثم غدر بهم⁵. وبفضل سياسة التحريض والمنافسة تم إعادة الكثير

¹ الزبيري: المرجع السابق، ص32. وينظر: لعريبي: المرجع السابق، ص153.

² الزبيري: نفسه، ص32.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق ...، المرجع السابق، ص270.

⁴ فايست: المرجع السابق، ص295.

⁵ نفسه، ص298.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

من القبائل الجزائرية إلى جادة صوابها لتغلّ الطاعة للسّلطة، كما ضمنت تأييدها وساد الأمن والاستقرار للبايلك خاصّة في عهد أحمد باي 1826-1837¹.

4. دفع الفدية:

أمّا فيما يخصّ افتداء بعض الأسرى من الدول الأوروبية، وجدت السّلطة العثمانية نفسها مُطالبّة بالدفع مكان ممثلي دولهم في بعض المناطق، والتي لم تتمكن من بسط سيطرتها الكليّة عليها كمناطق القبائل المستقلة، ومن أمثلة ذلك القبائل الجزائرية المستقلّة والواقعة في منطقة بجاية، حيث كان على السّلطة دفع الفدية في كثير من المرات لهم لإطلاق سراح البحارة الغارقة سفنهم بسواحل تلك القبائل، ومن معهم².

وقد أشار شالر إلى ذلك، فهي تُعتبر مظهرًا من مظاهر العلاقة التي تربط السّلطة العثمانية المركزيّة بإحدى القبائل الساحليّة من بايلك الشرق والتي تعيش حالة الاستقلال عن السّلطة في البايلك، وقد تمثّلت في كون هذه القبائل قد أسرت طاقم سفينة أجنبية وصلت إلى ساحل منطقتهم يوم 6 أوت 1824م بعد غرق سفينتهم جرّاء العواصف، مطالبين بدفع فدية لم يستطع ممثلوهم توفيرها، لذلك وافق الداوي على دفعها من خزانة الجزائر بعد رجاء قدّمه قنصلهم له في 22 سبتمبر 1824م³. ومن خلال ذلك نستنتج أنّ تلك القبائل كان لها الحقّ في التفاوض دون تدخل السّلطة الجزائريّة، ولها مُطلق الحريّة في طلب قيمة الفدية ممّا يجعلهم قبائل مستقلة فعليًا.

¹ فركوس: المرجع السابق، ص 53.

² Féraud: *Histoire des villes ...*, Bougie, op.cit, p197.

وينظر. Tassy: op.cit, pp138-141.

³ شالر: المصدر السابق، ص 247، 248.

5. عقد الهدنة والصّح:

تُعتبر القبائل الجزائرية المستقرة على الأراضي الساحلية ببابك الشرق في حالة تمرد دائم مع السلطة هناك خاصة سكان منطقة خليج عنابة، مما جعل السلطة العثمانية تقوم بعقد سلسلة من الاتفاقيات لضمان الصّح معهم، وبفضلها صار لهم الحق في شغل مناصب للعمل بدار السلطان كمزارعين ورعاة وعمال بمنازل العثمانيين. كما اضطرت بعض القبائل الجزائرية المتمردة والمشهورة بنزعتها الاستقلالية إلى عقد الصّح مع السلطة العثمانية، وذلك بعد قيامها بأعمال من التخريب والحرق خصوصا تلك التي تقطن جبال قسنطينة، والتي تُعتبر من أقوى القبائل بالمنطقة¹.

ومما يدلّ على تنبّي السلطة العثمانية لهذه السياسة هو تكليف أحمد باي 1826-1837م بوعزيز بن بولخراز شقيق بن قانة بالذهاب لشيخ العرب بن قانة، بغية الإصلاح بينهما بعدما توترت العلاقة بينهما بتحريض من رجال المخزن، نظرا للقرارات الصادرة عن الباي بسحب التّشريفات من بن قانة وإعطائها لبن عيسى²، وكذلك رفضه وساطة شيخ العرب من أجل إطلاق سراح بن زقوطة، وبقاء شيخ العرب في معاداة مع الباي مدة ستة أشهر، ونظرا لوساطة بوعزيز وبالحاح من أصدقائه توجه للقاء الباي، حيث تميّز هذا اللقاء بنوع من تبادل المظالم، وانتهى بتوافق علنيّ بينهما، غير أنّه حمل بين طيّاته بذور الفرقة والانتقام. وقد عمد أحمد باي 1826-1837م إلى قتل كلّ المتآمرين في قضيته هاته، ممّا ساهم في تمرد شيخ العرب من جديد، وبعد تسعة أشهر من التمرد وأثناء محاصرة الباي مدينة المسيلة وبتدخل بوعزيز للوساطة بين الطرفين قبل شيخ العرب الاستسلام

¹ شالر: المصدر السابق، ص116.

² بن عيسى: هو الباشمبا علي بن عيسى من أصول قبائلية بلغ عمره حينها ما بين 58 أو 60 سنة. ينظر: شلوصر: المصدر السابق، ص28.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

للباي، الذي بدوره خصّه بحفاوة كبيرة، كما ألبسه قفطان الشرف وقرع له الطبول عند مروره، وعند عودة بن قانة إلى قسنطينة مريض هناك وتوفي¹.

وفي السياق نفسه قبل أولاد عبد النور والتلازمة الهدنة مع أحمد باي (1826-1837م) بعد تمردهم عليه جرّاء الضرائب الكبيرة الذين امتنعوا عند دفعها، وكان ذلك في إطار عهد الأمان الذي ضمن بواسطته السلم والهدوء في المنطقة، غير أنّ الباي تنكّر ذلك، وأوقع بهم العقاب وغدر بهم، فواصل أولاد عبد النور تمردهم، الذي انتشرت وقائعه حتى في ريغة والعلمة².

6. الثورات والتمردات للقبائل:

ظلّ بايلك الشرق طيلة الفترة الممتدة من 1671م وحتى سقوط قسنطينة 1837م مسرحاً لقيام العديد من الثورات والتمردات، التي كانت تتفجر من وقت لآخر من قبل القبائل الجزائرية.

فثورات القبائل الجزائرية ضدّ السلطة منها ما أخذت بعداً ذا طابع ديني أو سياسي وطنياً، ومنها من كان لها دوافع اقتصادية محضة، أو بدافع تمرد فردٍ محبٍ للمغامرة، أو له أطماع في الجاه والسّمة أو ثورة قبيلة أو عائلة ما، ومنها ما يزال سببها مجهولاً³.

وعموماً تفجّرت تلك التمردات لاستعمال السلطة العثمانية القوّة على الأرياف من أجل جباية الضرائب وإخضاع القبائل الممتنعة عن سلطتها، الأمر الذي دفع بهذه القبائل الجزائرية بالبايلك إلى العصيان و القيام بحركاتٍ تمرديةٍ على السلطة القائمة، وقد ازداد

¹ فايس: المرجع السابق، ص ص 295-296.

² موساوي: المرجع السابق، ص 200.

³ لكل الشيخ: ثورات الجزائريين ضد الأتراك العثمانيين خلال العهد العثماني ثورة الابن الصخري انموذجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، ع 2، 2022، ص ص 55-56.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

لهيب هذه الثورات والتمردات بداية القرن 19م¹. فمعظم الثورات ضد السلطة العثمانية كانت عبارة عن رد فعل داخلي على مختلف السياسات التي طبقتها السلطة في حكمها، كما يضاف إلى ذلك تزايد نفوذ البايات في أقاليمهم². فقد تجرّت حركات العصيان والتمرد نتيجة اهتمام السلطة العثمانية بالشؤون الداخلية للإيالة³، ومن الأسباب التي حرّكت القبائل الجزائرية نحو العصيان وإعلان التمرد أيضا هو الضرائب الثقيلة في حقّها، وعمليات استبدال بعض شيوخها ممّا تسبّب في كثير من الأحيان إلى انكماش التجارة خاصة الخارجية منها أو حتى شلّها⁴.

والملاحظ على السلطة العثمانية أنّها لم تتمكن من فرض سيطرتها التامة على تلك القبائل بالبايك - إذا ما استثنينا فترة حكم الباي صالح - فقد نظّم العديد من شيوخ القبائل ومشايخ العرب ثوراتهم من حين لآخر تعبيرا منهم عن سخطهم من السلطة الحاكمة⁵. فبايك الشرق عاش حالة من الاضطرابات والفوضى، ومرد ذلك حالة الصراع على الحكم بهدف جمع المال واكتساب الثروة، كما كانت القبائل الجزائرية هناك تتناحر وتعلن تمردا لأسباب تافهة، وتتسبّب بذلك في فناء أقوى شباياها، وأخذ مواشيها وحرق محاصيلها⁶.

وقد تميّزت الفترة ما بين 1708م إلى 1713م بكثرة الاضطرابات وثورات القبائل على السلطة العثمانية في البايك خلال فترة حكم كلّ من علي بن حمودة 1120هـ/1708م و حَكَمَ علي بن صالح باي عام 1125هـ/1713م⁷. ومن بين القبائل التي ظلّت في حالة

¹ سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، مرجع سابق، ص 87.

² عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج 1، المرجع السابق، ص 235.

³ سعيدوني: ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص 199.

⁴ الزبيري: المرجع السابق، ص 25.

⁵ الميلي: المرجع السابق، ص 298-299.

⁶ الزبيري: نفسه، ص 33.

⁷ فايس: المرجع السابق، ص 118.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

صراع مع السلطة انطلاقاً من 1713م وبعدها نذكر على سبيل المثال لا الحصر عائلة بن عاشور بفرجيوة التي انتصرت في بعض الأحيان، وأحياناً كثيرة كانت النصرة للسلطة العثمانية¹.

وقد استطاعت السلطة العثمانية أن تقضي على التمردات ببإليك الشرق في عهد صالح الذي ضمن الحماية لحدوده الشرقية مع تونس، كما تمكّن من التصدي بقوة ودهاء لمختلف الهجمات الأجنبية التي شارك في مواجهتها، إلا أن سياسته جلبت له العديد من الخصوم والعداوات خاصة من رجال الدين والقبائل الجزائرية بالأرياف نهاية حكمه².

كما انتفضت العديد من القبائل الجزائرية ببإليك الشرق جرّاء شكّ بعضها في سيادة السلطة على إقليمها إثر تقديمها امتيازات عديدة لفرنسا، وكان من أبرزها امتياز صيد المرجان بالقالّة، فكانت بداية الثورة عليها سنة 1804م نواحي قسنطينة التي قادها الشريف بن الأحرش³، كما اعتبرها الكثير بأنها انفجارٌ شعبيّ عامٌ شجّعه المرابطون في البإليك. فاستولى هذا الثائر على جيجل والقل، وألقى القبض على الفرنسيين⁴، ويُذكر أن بعض القبائل من نواحي قسنطينة وقفت إلى جانبه⁵، ومن بين تلك القبائل نجد قبائل بني ميمون⁶

¹ عباد: المرجع السابق، ص153.

² عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج1، المرجع السابق، ص234.

³ للمزيد حول ثورة بن الأحرش ينظر:

Dournon A: *Kitab Tarik Qostantina par El-Hadj Ahmed El-Mobârak*, R A, V 57, Paris, 1913, pp277-279.

وينظر أيضاً: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص ص 341-349.

⁴ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج1، نفسه، ص 234.

⁵ بن العطار: مصدر سابق، ص 112.

⁶ Féraud: *Histoire des villes ...*, Bougie, op.cit, pp 214-215.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وبني مسلم وخطاب، و أولاد دراج و أولاد إبراهيم¹، وأولاد عيدون²، حيث بلغ جيش تلك القبائل نواحي 3000 مجند³، واستطاع أن يهزم جيش عثمان باي قسنطينة، كما تسبب في خسائر كبيرة في البايك، بالرغم من تسليط هذا الباي العقاب على القبائل التي دعمت الثائر، كما حرق ممتلكات بعضهم كأولاد عيدون⁴، إلا أن هذا الباي تعرّض للقتل من قبل القبائل⁵، ولم تتمكن السّلطة العثمانية من القضاء على هذه الثورة إلا بمساعدة آل المقراني سنة 1807م⁶.

ولقد اعتُبرت هذه الثورة من أعنف الثورات التي شهدتها بايلك الشرق في عهد الدايات حتى سقوط قسنطينة، والذي كانت بدايات ظهوره بجمال منطقة القبائل بوادي الزهور حيث اصطف إلى جانب ابن الأحرش رجال من القبائل الجبلية نظراً لفصاحته ووعوده البراقة لهم، كما أقنعهم بأنه هو المُخلص لهم من حكم العثمانيين هذا، وقد بلغ عدد الجيش الذي كوّنَه من القبائل قرابة 60000 مجند، وزحف بهم نحو أسوار قسنطينة، فهاجم المدينة وحدثت مجازر رهيبة في حق سكانها الذين كانوا بقيادة شيخ المدينة، كما تعرّض الثائر للإصابة الأمر الذي استدعى أخذه للجبال، ولمّا وصل الخبر إلى الباي جهة سطيف عاد هذا الأخير بأقصى سرعته، وجمع قواته وتوجّه بهم إلى وادي الزهور، وهناك تعرّض لمؤامرة من قبل قادة بعض القبائل، حيث أكّدوا له تسليم هذا الثائر إن قُدِم لهم مع عدد قليل من

¹ موساوي: المرجع السابق، ص198.

² سعيديوني: وثائق جزائرية....، المرجع السابق، ص289.

³ Féraud: *Histoire des villes ... Bougie*, op.cit, pp 214-215.

⁴ سعيديوني: وثائق جزائرية ...، المرجع السابق، ص289.

⁵ للمزيد حول كيفية مقتل هذا الباي ينظر: شعيب: مصدر سابق، ص331-333.

⁶ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ...، ج1، المرجع السابق، ص 235. وينظر:

Féraud : *Histoire des villes ... Bougie*, ibid, p215.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

مجنديه، وهناك لقيّ الباي حتفه¹، ولم ينجُ من مجنديه أحدٌ عداً فِرَقِ القوم التي بقيت تنتظر خروجه من بين تلك الجبال الوعرة، ولم يُسمَع عن التأثير خبر حتى سنة 1806م²، إذ عمدَ على إثارة روح التمرد في قبائل جبال بجاية لمحاصرة المدينة ولم يصبُ إلى شيء، وفي سنة 1807م تمّ القضاء عليه بمنطقة الرّبطة جهة سطيف³.

كما ظهر متمردٌ وثائر جديد يدعى محمد بن عبد الله، الذي قامَ بجمع أتباعٍ من القبائل وأراد أن يخلع الباي عبد الله سنة 1806م، واستطاع هذا الأخير بقواته أن يُخمد تلك الثورة، كما طاف أراضي البايك بقواته من أجل تسليط العقاب على القبائل الثائرة بعد ثورة الشريف، ومساندة منه للقبائل الخاضعة له. وكذلك بعد أن قام مصطفى بن عاشور قايد فرجية بخيانته سنة 1807م هرب لمنطقته، وظلّ معلنا تمرده على السلطة العثمانية وعدائه لها قرابة سنة كاملة، ليلتقي بحملة الباش أغا المارة قرب منطقته ليطلب من العفو والتوسط له لدى باي قسنطينة علي، فلمّا مثّل أمامه ألقى عليه القبض وسجنه⁴، ويتّضح لنا من خلال ما ورد أنّ قائد فرجية يُعتبر من رجال القبائل كثيري التمرد وسريعي الخيانة.

وأيضاً بعد فراره من السجن يوم وفاة علي باي بن يوسف سنة 1808م ظلّ معلناً تمرده على السلطة العثمانية في الإقليم، وعلى إثر وصول تشاكر باي (1814-1818م) إلى الحكم وتعبه من هذه الحالة، أراد هذا المتمرد الاستسلام وطلب الصّفح عنه، وقد قبل الباي ذلك نظراً لتوسط صهره عصمان بن شاوش له، وطلب منه القدوم له، ليقوم الباي بخنقه

¹ بن العنتري: فريدة منسية...، مصدر سابق، ص ص 70-71. وينظر: فايس: المرجع السابق، ص ص 204-210.

² تذكر المصادر أنّه فرّ إلى غرب الإيالة الجزائرية. ينظر: الوثيقة رقم 43 المجموعة 3205 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة الملحق رقم 10، ص 290. وينظر أيضاً: سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص 344.

³ فايس: المرجع السابق، ص ص 204-210.

⁴ نفسه، ص 210، 222.

نظراً لخيانتته وتمردّه على السلطة، ونصب أخاه مقورة بن عاشور مكانه¹، ولعل هذا العمل صدر من الباي كُون الخائن لوطنه لا يؤتمن من جهة، وكسبا لولاء أخ المقتول حتى لا تتفجر له ثورة جديدة بفرجيوة من جهة أخرى.

كما أن أحمد شاوش القبائلي (1223هـ/1808م) المستولي على السلطة في البايك في حملته لما أراد التوجه لدار السلطان؛ وذلك ليفرض نفسه - ذاك المتمرد - باشا على الجزائر العاصمة، استخدم دائرات بوصلح والزناينة والسراوية بالإضافة إلى رجال القوم المجندين من أولاد عبد النور والتلاغمة، وكذلك من الزمول في تمردّه مع العثمانيين بقسنطينة. وبوصول الأخبار لباشا الجزائر بعث برسالة إلى أغا النوبة، وأخرى للعلماء وشيخ البلاد والمليشيا وأهم الدائرات يدعّوهم فيها إلى عدم اتّباعه، ومسامحة المغرّر بهم بتحريضات أحمد شاوش القبائلي، والعمل على محاربتّه والقَبْض عليه، فاستجاب الجميع دُونَ عِلْم أحمد شاوش (1223هـ/1808م)، وأرادت القبائل الجزائرية محاربة المُتَمَرِّد وأتباعه من المِليشِيا أثناء انطلاق الحملة، إلّا أنّ المِليشِيا بعثت لهم رَسُولاً يُخبرهم بتوافُقهم مَعَهُم بموقفهم من أحمد شاوش (1223هـ/1808م)، وطالبَهم بالنقيد بتعليمات باشا الجزائر، فتراجعت القبائل إلى آخر الحامية لتنفيذ المؤامرة على أحمد شاوش (1223هـ/1808م)، لئلا يستدرج هذا الأخير بالرجوع إلى قسنطينة، وهناك كان الباي الجديد أحمد طوبال (1808-1811م) في انتظاره دون علمه ليتمّ القبض عليه وقطع رأسه².

ومن القبائل التي رفضت دفع الضرائب وأعلنت تمردّها نجد أولاد سي علي تاحمامت أثناء حُكم الباي براهم القرينلي (1821-1824م)، كما لم يعترفوا بسلطة أعضاء المخزن ممّا استوجب على الباي إرسال خليفته الحاج الحسين لتأديب هؤلاء المُتَمَرِّدين سنة

¹ فايس: المرجع السابق، ص 246.

² نفسه، ص 225-228.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

1823م، وقد تمكّن المتمرّدون من قتل خليفة الباي الذي استهان بهم وهُزمت قواته¹. كما تأثرت قبائل بجاية الساكنة بالجبّال على السلطة في 21 أكتوبر 1823م مخلفة خسائر بشرية كبيرة بين الطرفين، ليأسروا المفتي الحنفي وتمّ أخذه رهينة لهم².

ومما يذكر على التمرّدات أيضا هو تمرد كل من النمامشة والحنانشة على السلطة بعد اتحادهما سنة 1797م، وقد تحرّك نحوهم الباي الوزناجي، وحقق عليهم نصرا مؤكداً، كما غنم منهم الكثير وأخضعهم، لتعيد القبيلتان الكرة مرّة أخرى سنة 1799م وكان لهم المصير نفسه. بالإضافة إلى هذا شهدت منطقة الشمال ما بين 1803-1805م تمرد الحنانشة وتمكن الباي إنجليز (1798-1803م) من القضاء عليه، وكذلك تمرد النمامشة على السلطة ولكن الباي عثمان تمكّن من إخماد ذلك التمرد³. ومن أجل الضغط عليهم وجّه شاكر باي (1814-1818م) حملة سنة 1817م على قبائل فجّ طراد إلا أنّهم هربوا ولم يواجهوه، لذلك توجه نحو قبيلة أولاد سيدي عبيد ليضرب غضبه عليهم فتعرضوا لخسائر كبيرة خاصّة في المواشي⁴. غير أنّ النمامشة واصلوا سلسلة تمرداتهم على السلطة العثمانية، وهذه المرّة تمردوا على إبراهيم بن علي باي القریتلي (1821-1824م) سنة 1822م، فوجّه جهتهم حملة غنم منها عدداً كبيراً من الأغنام⁵. فقد ظلت الحنانشة والنمامشة والحراكّة في ثورات دائمة قبل وصول أحمد باي 1826-1837م إلى السلطة، و الذي يرجع إليه الفضل في إخضاع النمامشة، حيث أصبحت تدفع ما عليها من ضرائب، ونجح في ممارسة سياسته

¹ فايس: المرجع السابق، ص ص 273-274.

² شالر: المصدر السابق، ص 193.

³ الزبيري: المرجع السابق، ص 26، 27.

⁴ فايس: نفسه، ص 247. وينظر: الزبيري: نفسه، ص 27. وينظر أيضا: سعيدوني: وثائق جزائرية...، المرجع السابق، ص 431.

⁵ موساوي: المرجع السابق، ص 184. وينظر: الزبيري: نفسه، ص 27. سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص 145. وينظر: سعيدوني، بوعبدلي: مرجع سابق، ص ص 37-38.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

المبنية على العنف والقُوّة مع القبائل المتمردة مثل قبيلة بني عمار نواحي القالة والتابعة لأولاد ذياب التي أخضعها وأجبرها على دفع الصّرائب، وكذلك المواية والزّواغة وبني مروان وأولاد خطاب دائمي الثورة على السّلطة حيث تمكن من إخضاعهم¹، كما استطاع إخضاع بعض القبائل المتمردة بناحية الأوراس و كذلك الحنانشة وقبيلة بن نعمون وأولاد بن زكري سنة 1243هـ/1828م².

ولم يسلم أحمد باي (1826-1837م) هو الآخر من التمرّدات، ومما يثبّت ذلك أنّه عند توليته الحكم سنة 1826م، اجتمع بشيوخ القبائل بالمسجد الكبير بقسنطينة، وأعطاهم الهدايا و قدّم مراسيم التنصيب لهم، وكان من بين هؤلاء القبائل أولاد عبد النور الذين وعدّوه بالولاء، إلّا أنّ هذه السياسة التي اعتمدها هذا الباي لم تتجّح مع بعض تلك القبائل، فبمجرّد رجوعهم لمواطن استقرارهم تمرّدوا عليه وهاجموا مدينة قسنطينة³.

كما تعرض أثناء عودته إلى قسنطينة بعد سقوط العاصمة إلى ثورة من القبائل المقيمة بنواحي سطيف، وذلك بتحريض من أتراك قسنطينة و لكنه استطاع أن يتمكن منهم⁴، وفي نهاية سنة 1830م بدأت بذور الشقاق تتّضح في البايك، حيث أعلنت قبائل نواحي سطيف عدم اعترافها بالباي أحمد (1826-1837م)، والتي اختارت الباي ابراهيم القريتلي (1821-1824م) المعزول قائداً لها، وقد تمّ مبايعته من طرف قبائل سطيف على أراضي بن يلس، كما اتصل بقبيلة أولاد عبد النور القوية ليكسبها إلى صفّه، ويدعم بها قوّته في المنطقة، و كان له ذلك بعد محادثات وضمانات قدّمها لهم، لذلك سار إليهم أحمد

¹ فركوس: المرجع السابق، ص45.

² الوثيقة رقم 19 من المجموعة 1642. ينظر: الملحق رقم 04، ص284.

³ شكري معمر: قبيلة عبد النور بالجزائر...، المرجع السابق، ص718.

⁴ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج1، المرجع السابق، ص313.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

باي (1826-1837م) بجيش تشكّل من الجنود النظاميين، وبالإستعانة بفرسان قبائل بدو الصحراء الذين وقفوا إلى جانبه، ودعموه فاستطاع إخضاعهم¹.

كما وجد الباي أحمد (1826-1837م) نفسه مرغمًا مرّة أخرى على محاربة إبراهيم القرينلي الباي السابق والتمرد عليه، والذي استطاع كسب تحالف بعض قبائل الصحراء بالجنوب، فسارع بالخروج له، والتقى به في عين زانة ونكّل بقواته وأرغمه على الفرار مرة أخرى². وبعد 1831م عانت السلطة العثمانية في البايك بكثرة التمردات، فقد وصف القائد إبراهيم سكان بايلك قسنطينة سنة 1253هـ/1837م وهو قائد مستغانم بعد الاحتلال بكونهم أشدّاء عند القتال وهم في حربٍ مستمرة مع السلطة هناك³. وقد أكّد ذلك شلوصر بقوله أنّ جبال صحراء البايك تعتبر ملجأ لكل الأشخاص الذين يطاردهم الباي أحمد⁴.

ومن أبرز تلك التمردات أيضًا نجد تمرّد فرحات بن السعيد شيخ العرب السابق، حيث شنّ غاراتٍ على القبائل المعترفة بسلطة محمد بن الحاج بن قانة الذي تربطه قرابة بالباي أحمد (1826-1837م)، لذلك سارع بتحضير حملة ليلتقي به في الديس قرب الخنفة وتمت هزيمته، كما أعلنت القبائل المتمردة خضوعها لأحمد باي (1826-1837م)⁵.

هذا وقد تمرّد بن قانة شيخ العرب على الباي أحمد أيضًا بعد 1831م، بعدما توترت العلاقة بينهما بتحريض من رجال المخزن، نظرًا للقرارات الصادرة عن الباي، التي كان من أبرزها سحب التشريفات من بن قانة، ولذلك بقي شيخ العرب معاديًا للباي مدّة ستة أشهر، ونظرًا لوساطة بوعزيز وبالحاح من أصدقائه توجه للقاء الباي، وهناك تم التوافق

¹ فايس: المرجع السابق، ص ص 290-291.

² نفسه، ص ص 291-292.

³ سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: المرجع السابق، ص 228.

⁴ شلوصر: المصدر السابق، ص 103.

⁵ فايس: نفسه، ص ص 294-295.

العلي بينهما غير أنه حمل بين طياته بذور الفرقة والانتقام. فعمد الباي أحمد إلى قتل المتآمرين في هذه القضية، مما جعل شيخ العرب من جديد يعلن تمرده، وبعد تسعة أشهر من التمرد ولما كان الباي محاصراً لمدينة المسيلة تدخل أخوه بوعزيز للوساطة بين الطرفين، فقبل شيخ العرب الاستسلام للباي الذي استقبله بفرح وألبسه القفطان وقرع له الطبول، وعند عودة شيخ العرب إلى قسنطينة مرض وتوفي هناك¹.

7. معاداة الشيوخ للسلطة العثمانية في البايك:

بالرغم من مساندة العديد من الشيوخ للسلطة العثمانية في البايك إلا أن بعضهم جَنَحَ إلى صَفِّ العِداء لها، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل ساهمت في تصريحهم بذلك ووقوفهم ضدها قي كثير من المرات.

ومن مظاهر معاداة الشيوخ للسلطة نجد عداء الشيخ بوعزيز السلطة العثمانية سنة 1136هـ/1724م بسبب انتزاع المشيخة منه وانضم إليه أولاد يحيى بن طالب وبن يعقوب فوجّه له باي قسنطينة وباي تونس حملة نحوه، أفرزت تشريده وأسرته ومقتل ابنه طراد²، وكذلك تمرد علي بوعكاز على الباي أحمد القلي (1756-1771م)، وذلك بعد منحه لمنصب شيخ العرب لابن قانة وسحبه منه، فبدعم من أنصاره أولاد نائل الشراقة استرجع المشيخة، وتمكن من السيطرة على الزاب بالقوة، فقد هزم بن قانة، وبعد موته خلفه فرحات بن أحمد بن علي المعروف بابن رجاجة، وهنا تحرك الباي من أجل القيام بزواج

¹ فايس: المرجع السابق، ص ص 295-296.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، المرجع السابق، ص 279.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

سياسيّ يضمن الهدوء و استتباب الأمن في المنطقة، وذلك بتزويج ابن رجاجة ببنت الحاج بن قانة¹ المدعوة مباركة².

ومن أبرز من عادى صالح باي (1771-1792م) من الشيوخ بسبب ظلمه للرعية خصوصًا في آخر عهده وبسبب عدم مراعاة ظروفهم المختلفة، وفرضه للضرائب التي أثقلت كاهلهم نجد بورّان بن زكري والشيخ سيدي عبيد من الحنانشة، وعدد آخر من رجال النمامشة، حتى وصل بهم الحال إلى شكوته إلى الداى حسن باشا بالعاصمة، ليأمر هذا الأخير بعزله عن الحكم³.

كما لم يستطع الباى عثمان بن قارة محمد (1803-1804م) استدراج زعماء القبائل الجزائرية التي وقفت مع الثائر ابن الأحرش، حيث وعدهم بهبات مقابل التخلي عنه إلا أنه لم يوفق في مساعاه⁴، حيث قدّمت القبائل المساعدة لهذا الثائر، ومن بين تلك القبائل نجد قبيلة أولاد عبد النور الذين سارعوا بإرسال 200 فارس من خيرة رجالها لكن لم يرجع سوى 32 منهم⁵، ولعلّ هذا التصرف النابع منهم يُظهر مدى معاداة بعض شيوخ القبائل للسلطة العثمانية آنذاك.

وقد ظلّت علاقة السّلطة في تأزم مستمرّ مع المحكومين في البايك نهاية الحكم العثماني إلى سقوط قسنطينة في يد المحتل الغاشم، ومن مظاهر معاداة شيوخ القبائل لآخر البايات أحمد 1826-1837م هو محاصرة أولاد عبد النور له في طريق عودته من العاصمة سنة 1830م، لولا آل بن قانة الذين ناصروه وحّمّوه بالإضافة إلى أحلافهم من القبائل المجاورة

¹ الحاج بن قانة: هو محّاد بن علي بن سليمان، وقد اقترحه عرش أهل بن علي على أحمد القلي. ينظر: حرز الله: مرجع سابق، ص 82.

² نفسه، ص 83.

³ بن العنّزي: فريدة منسية... المصدر السابق، ص 65.

⁴ خوجة: المصدر السابق، ص 132.

⁵ شجري معمر: قبيلة عبد النور... المرجع السابق، ص 717.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

لهم كالبوازيد ورحمان والصّحاري، فهُم الذين يرجع الفضل لهم في استرجاع حكمه¹، كما نجد معاداة الشيخ فرحات بن السّعيد بن بوعكّاز له²، وذلك بسبب عزّله عن مَشِيخَةِ العَرَبِ، حيث كان من أنصاره قبائل الزّاب وأولاد زكري وأولاد سحنون وأولاد عبد النور³، فظهر على علاقتهم به وبعدد من شيوخ القبائل و الأسر المحلية بطابع الصراع المستمر⁴، لدرجة محاولة هذا الشيخ بعد نكّسته في معركة بادس سنة 1832م في التّعاون مع الفرنسيين المحتلّين ضدّ الباي، ويضاف إلى ذلك تفكير آل بن قانة في محاولة الانضمام إلى صفّ الفرنسيين ضدّ السّلطة العثمانية سنة 1836م، وذلك بعد قتل أحمد باي محمد بلحاج بن قانة سنة 1836م، فقد أجزم أفراد آل بن قانة أنّ مَوْتَ شَيْخِهِمْ تسبّب فيه الباي شخصيًا حسب الرّوايات التي ذُكرت⁵.

ومن مظاهر معاداة بعض القبائل الجزائريّة بالبايلك لأحمد باي 1826-1837م بعد سقوط العاصمة سنة 1830م نجد قبائل الصحراء ووادي ريغ، والتي أمر بتوجيه حملات نحوها بعد سقوط عنابة بسبب احتضانها للشيخ فرحات بن السّعيد، واشعّاله نار الفتنة عليه بين القبائل في المنطقة⁶.

¹ حرز الله: المرجع السابق، ص 66.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 270.

³ حرز الله: نفسه، ص 38.

⁴ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، نفسه، ص 270.

⁵ Commandant Seroka : **Le sud Constantinois de 1830 - 1855**, R A, V 56, Paris, 1912, pp375-408.

وينظر: حرز الله: نفسه، ص ص 40-41.

⁶ شعيب: المصدر السابق، ص 411.

8. مساندة بعض القبائل الجزائرية للجارة تونس والانحياز لها:

جاءت هذه المساندة نتيجة السياسة المطبّقة من قِبَل السّلطة العثمانية على القبائل الجزائرية خصوصًا تلك الواقعة على الحدود.

ومن أبرز مظاهر هذه المساندة نجد وقوف النّمامشة والحنانشة إلى جانب ابن أخ حسين باي (باي تونس) سنة 1729م، وذلك من أجل خلع عمّه من الحكم، غير أنّهما تعرّضتا لهزيمة كبيرة. ويضاف إلى ذلك جَمْعُ بوعزيز شيخ الحنانشة سنة 1739م قبائل من بايلك الشرق ممّن ارتبط معهم في أحلاف كالنّمامشة وأولاد سيدي يحي بن طالب وغيرهما من القبائل التي كانت تحت وصايته و جاهر بانضمامه لتونس، ممّا تسبّب ذلك في نشوب معارك مع السّلطة العثمانية في السهل الصّغير قرب تبسة¹، وفي عهد صالح باي (1771-1792م) تمّ اغتيال بوعزيز شيخ الحنانشة وعددٍ من أسرته، وقد تسبّب ذلك في التحاق بعض القبائل التابعة له إلى الايالة التونسية كقبيلة شّارن والخمير والفراشيش وغيرها².

وفي السّياق نفسه تظهر مساندة بعض القبائل الجزائرية للسّلطة التونسية في حملة الباي حسين والباش أغا الجزائر على تونس في جويلية 1807م، فقد برّزت خيانة قائد فرجوة مصطفى بن عاشور لجيشه الجزائري، حيث كانت له اتصالات سرّية مُسبقة بباشا تونس، وقد تلقى منه مكافأة على خيانتّه، فتسبّب ذلك في انسحاب فرق القوم من الجيش الجزائري، وعمّت الفوضى فيه، وتشتّت الفرسان ومُنِي الباي حسين والباش أغا الجزائر بهزيمة، جعلت الباشا أحمد يأمر بقتل حسين باي سنة 1807³. فنستنتج من هذه الواقعة

¹ كاستيل: المصدر السابق، ص 175، 176.

² لعريبي: المرجع السابق، ص 152.

³ فايس: المرجع السابق، ص 214-215.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

أن بعض القبائل الجزائرية في بايلك تعمل حسب ما تقتضيه مصالح شيوخها المادية دون أن تقدّم للمصلحة الوطنية أدنى اعتبار أو قيمة.

كما زحف الباي نعمان¹ (1226هـ-1229هـ/1811م-1814م) بجيشه على تونس صائفة 1813هـ مواصلة لسلسلة الحملات على هذه الإيالة، والذي تنازل عن قيادته لعمر أغا الجزائر، وقد هُزم الجيش في مدينة الكاف، و أُرجع سبب هزيمته إلى شيوخ العرب، لذلك في طريق عودته إلى العاصمة الجزائر قتل ما يزيد عن 260 فرد من القبائل الجزائرية الذين كانوا في انتظار عبوره². ويمكن أن نستنتج من هذا أن السلطة الجزائرية قامت بهذا الفعل لتبرير هزائمها أو حتى تُوقع العقاب على بعض القبائل الحدودية، التي لطالما تعاطفت وساندت أو وَّالت الجارة تونس كالحنانشة مثلا ليكون لهم درسًا موجعًا يحسبون حسابه في قادم الأيام.

كانت هذه أبرز مظاهر القطيعة والتمرد في علاقة السلطة العثمانية بالقبائل الجزائرية على المستويين السياسي والعسكري، وفيما يلي سندرس أهم المظاهر الاقتصادية في تلك العلاقة.

¹ محمد نعمان باي (1226هـ-1229هـ/1811م-1814م): أحد بايات مقاطعة الشرق الجزائري من أصول تركية، اشتهر برزاقته عهده الذي تميز بالأمان، تسبب الباشا أغا المتولي أمور العرب بالعاصمة في إصدار الباشا أمراً بقتله. ينظر: بن العنتري: فريدة منسية...، المصدر السابق، ص 80.

² فايس: المرجع السابق، ص 233.

المبحث الثاني: اقتصاديًا.

1. الامتناع عن دفع الضرائب:

لجأت العديد من القبائل الجزائرية إلى الامتناع عن دفع الضرائب للسلطة العثمانية، ومرد ذلك إلى مجموعة من العوامل التي ساهمت في ذلك، و يُعتبر هذا كرد فعل على السياسة الضريبية التي أثقلت كاهل شيوخ القبائل، كما يُعتبر من أبرز مظاهر التمرد والقطيعة في العلاقة بينهما.

لقد كان من انعكاس السياسة الجبائية للسلطة العثمانية على بعض القبائل الجزائرية ببائلك الشرق رفضها في غالب الأحيان دفع الضرائب المختلفة، والدخول في حركات للتمرد والعصيان لما أضرهم من مظالم وقهر¹. وفي حال امتناع القبيلة عن دفع الضرائب المستحقة توجهت اتجاهها حملات عسكرية من قبل السلطة العثمانية²، وهذا ما ذكره أحمد باي (1826-1837م) في رسالته حيث وصف القبائل الممتنعة عن إعطاء الضرائب بالفرق العاصية والتي امتنعت عن إعطاء المغارم³.

وكثيرا ما امتنع زعماء القبائل عن دفع الزمة إلا عن طريق التهديد أو في بعض الأحيان بالإغراء، ومن هؤلاء آل المقراني وشيوخ الذواودة والحنانشة وقبائل ساحل البابور⁴. كما امتنعت قبيلة النمامشة عن دفع الضرائب في كثير من المرات⁵، فخضوعهم للسلطة العثمانية بالبائلك لا يستمر طويلا، كما أنهم ألقوا القيام بالتمردات عليها، خاصة بعد تراجع قوة قبيلة الحنانشة نهاية القرن 18م. وعند احتلال الجزائر سنة 1830م وحتى سنة 1834م ظلت

¹ موساوي: المرجع السابق، ص197.

² شكري معمر: قبيلة عبد النور بالجزائر...، المرجع السابق، ص715. ينظر: دوالي: مرجع سابق، ص104.

³ ينظر: الوثيقة رقم 19 مجموعة الوثائق العثمانية رقم 1642. ينظر: الملحق رقم 04، ص284.

⁴ موساوي: نفسه، ص106.

⁵ كاستيل: المصدر السابق. وينظر:

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1837-1671)

النّمامشة ترفضُ الخضوع للسّلطة العثمانية رافضةً دفع الضرائب، غير أن أحمد باي (1826-1837م) تحرك لغزوها سنة 1834م ناحية بحيرة الأرنب بالقرب من عين الصّابون، وتسبب ذلك في نهب العلّانة والبرارشة حيث غنم منهم ما يصل إلى 30000 من الماشية و200 من الجمال، كما قُتل منهم ما يربو عن 150 فرد منهم¹. وقد امتنعت أيضًا قبائل الذواودة ومجانة عن دفع اللّزمة ممّا جعلها تدخل في صراع مع السّلطة بسبب ذلك².

وكذلك حالّ بوعزيز شيخ أحرار الحنانشة الذي امتنع عن دفع الضرائب سنة 1136هـ/1724م، ممّا استدعى توجيه حملة عسكريّة نحوه بقيادة الباي حسن بوكمية (1713-1736م) حيث ألحق به خسائر جمة، وفي هذه الحملة برزت علجية بنت بوعزيز التي استطاعت بفضل دهائها تحويل الهزيمة إلى نصر حقيقي³.

أما قبيلة أولاد عبد النّور فقد امتنعت هي الأخرى عن دفع الضرائب سنة 1811-1812م نظر لثقلها، وتم إخماد تمرّدهم سنة 1813م من قبل الباي تشاركر (1814-1818م)، ليعودوا مرّة أخرى إلى حالة امتناعهم مع قبيلة التلاغمة في عهد أحمد باي 1826-1837م، ولم تستطع السّلطة العثمانية إنهاء تمرّدهم إلّا بتدخّل من الحاج بن قانة الذي نصّحهم بمهادنة الباي والقبول بعهد للأمان بينهما حتى يستتب الأمن، إلّا أنّ الباي وشيخ العرب غدّروا بهم وأوقعوا بهم العقاب وواصل العلمي شيخ أولاد عبد النور تمرّده الذي وصلت أحداثه حتى منطقة ريغة؛ التي ألقت عدم القبول بدفع الضرائب، وكذلك عامر والعلمة⁴.

¹ كاستيل: المصدر السابق، ص 176، 178.

² موساوي: المرجع السابق، ص 158.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق...، المرجع السابق، ص 268.

⁴ موساوي: نفسه، ص 200، 203.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

وقد امتنعت قبائل ساحل البَابور وبجاية عن دفع الضرائب¹، وقبائل سكان بجاية والبابور والقل وجيجل وغيرهم من القبائل التي لا تدفع الضرائب، إلا بعد توجيه الحملات العسكرية نحوها، ويرجع ذلك إلا السياسة الضريبة للسلطة العثمانية في أواخر حكمها، حيث أثقلت عليهم بالضرائب المختلفة². كما امتنع سكان الأوراس دفع ما عليهم من ضرائب، وقد وصل بهم الحال إلى الامتناع عن التعامل مع القائمين عليها، ومن بين المتمردين نجد أولاد سلطان ببلزمة، لكن أحمد باي (1826-1837م) تمكن منهم و أنهى تمردهم هذا، وإلى جانبهم نجد أولاد سعيد والأعشاش وأولاد موسى، والذي استطاع الباي الوزناجي مصطفى (1795-1798م) من القضاء على تمردهم هذا بالقوة، كما استطاع هذا الباي من دحر قبيلتي النمامشة والحراكتة؛ اللتان تحالفتا ضده وامتنعتا عن دفع الضرائب، واستمرت النمامشة في الامتناع عن دفع الضرائب، فبالتالي تجدد تمردها سنة 1803م، وما بين 1817-1822م والتي تم إخضاعها سنة 1822م على يد أحمد باي المملوك (1820-1822م)³.

ومن القبائل التي امتنعت عن الأداء الضريبي أيضًا نجد أولاد سي علي تاحامت في عهد الباي براهيم القرينلي (1821-1824م)، وقد وصل بهم الأمر إلى درجة عدم الاعتراف بسلطة أعضاء المخزن⁴، مما استوجب على الباي إرسال خليفته الحاج الحسين لتأديب هؤلاء المتمردين سنة 1823م، و بوصول القوّات إلى أراضي القبيلة تقدّم الخليفة مع قوّة صغيرة العدد، و كان معه القوم تاركًا قوّاته ومستهيئًا بقوّة هذه القبيلة، فتوجّه بفرقة الصغيرة إلى الجبال التي تحصّن فيها أفراد تلك القبيلة، وانتهت هذه الحملة بمقتل الخليفة وهزيمة قوّاته أمامهم، كما تدخل مرابطو هذه القبيلة بتسليم جثة الخليفة وجثث القتلى إلى

¹ لعريبي: المرجع السابق، ص 155.

² بوعزيز: مرجع سابق، ص 41.

³ موساوي: المرجع السابق، ص 201، 202.

⁴ Vayssettes E: op.cit, p 116.

وينظر: فايست أوجان: المرجع السابق، ص ص 273-274.

المعسكر، الذي توجّه راجعًا إلى قسنطينة¹. ومن القبائل التي رفضت دفع الغرامة نجد قائد فرجيوة وزواغة². كذلك قبيلة بني عمّار التابعة لأولاد ذياب بضواحي القالة التي امتنعت هي الأخرى عن دفع الضرائب حتى وصول أحمد باي 1826-1837م للحكم والذي بدوره تمكّن من فرض الضرائب عليها بالقوة سنة 1836م³.

2. إلغاء الإعفاء الضريبي وتهرب القبائل من دفع الضرائب:

كان ردّ فعل السّلطة العثمانية على أعمال بعض المرابطين النّاقمين عن حكمهم التّعجيل بإلغاء الإعفاء الضريبي في حقّهم، وقد وصل بها الحال في كثير من الأحيان إلى إلغاء جميع الامتيازات التي استفادوا منها، ومن أمثلة ذلك نجد ما قام به الباي عثمان (1803-1804م) ضد المرابط المدعو بالزبوشي مقدّم الطريقة الرحمانية في المنطقة، والمستقرّ جهة رجّاص بالقرب من ميلة. حيث عُرف هذا المرابط بمعاداته للأتراك، وعند سماعه بأوامر الباي توجّه إلى قسنطينة لاستجاع تلك الحقوق، التي في نظره اعتّبرها حقًا إلهيًا، وبخروج الثائر بن الأحرش آزره ووقف إلى جانبه، كما حرص على تخريضه على التوجّه بجيشه نحو قسنطينة، والتّمرد على السّلطة هناك⁴.

ومن جهتها ردّت القبائل الجزائرية على تنوّع ضرائب السّلطة العثمانية وثقل كاهلها منها بالعمل على التّحايل في تسديدها أو قيامها بالتهرب من دفعها بالكامل، ممّا أدى بالسّلطة إلى اللجوء إلى إيجاد طريقة في تحصيل الضرائب، والتي قامت بما أطلق عليه الزّويجة، والتي قُدّرت بـ 12 هكتارًا للأراضي الواقعة بالسّهول الخصبة، وتتناقص في الهضاب لنجدها 7 هكتارات، بينما في الأراضي الجبلية الصّعبة نجدها 5 هكتارات

¹ فايس: المرجع السابق، ص ص 273-274.

² موساوي: المرجع السابق، ص 199.

³ فركوس: المرجع السابق، ص 46.

⁴ فيرو: المرجع السابق، ص ص 151-152.

فقط، و بالتالي أصبحت ضريبة العُشور تُخَرَج على مساحة الأرض المزروعة بدل الكمّيات المنتجة من المحاصيل¹.

ومما يؤكّده هابسترايت على القبائل الرّحل بالأرياف أنّها كانت دائمة التهرّب من دفع الضّرائب، وذلك بارتحالهم إلى الصحراء والتّخفي فيها، لذلك تُبعث المحلّة إلى مواطنهم وقت جمع المحاصيل لضمان تحصيل الضرائب حينها². ومن بين القبائل التي تماطلت في دفع الضرائب نجد بني يزيد المتواجدين بين مدينة قسنطينة وجيجل، فهم لا يؤدّون ما عليهم من مطالب إلا بالقوة³.

وقد أثر تهرّب القبائل الجزائرية من دفع الضرائب سلّبا على اقتصاد البلاد، كما ساهم في عرقه نموّ الأرياف والمناطق النائية والجبلية، كما تسبّب هذا التهرّب في هجر الأراضي الزراعية وتركها بورا، ممّا أثر على مدى وفرة المحاصيل الزراعية، وكذلك أسعارها خاصة القمح الذي ارتفعت أسعاره في الأسواق خصوصا نهاية القرن 18م⁴، وعلى القبائل الجزائرية في حد ذاتها، حيث يذكر حمدان خوجة بأنّه لم يعد بمقدورهم تسديد الضرائب؛ والتي كانت ضئيلة حينها، إلّا كل 3 سنوات قبل تولي أحمد باي (1826-1837م) السّلطة في البايك بسبب إهمالهم للأرض ممّا تسبّب في كثرة مظاهر الفقر فيها⁵.

3. نزغ ملكيّة الأراضي من القبائل:

بالغت السّلطة العثمانية في سياستها القائمة على مُصادرة الأراضي من القبائل التي امتنعت عنها، فجاءت هذه السياسة كَرَدّ فعل على امتناعها عن دفع الضّرائب، أو الخروج

¹ وقاد: مرجع سابق، ص 100.

² هابسترايت: مصدر سابق، ص 31.

³ مقديش: مصدر سابق، ص 85.

⁴ وقاد: نفسه، ص 101.

⁵ خوجة: مصدر سابق، ص 135.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

عن طاعتها ومجاهرتها بالعصيان، وقد طبقت هذه السياسة حتى مع قبائل المخزن، التي لم تتفد المهام المؤكدة لها.

لذلك دأبت السلطة العثمانية العمل على تشتيت القبائل، وتفتيت أي تجمعات كبرى لها عن طريق مُصادرة أراضيها وتزجيل بطون منها إلى مناطق بعيدة، وكان ذلك بعد استيفاء محاولات تمكين نفوذها عليهم، مما عجل في قيام العديد من القبائل الجزائرية بالانتفاضة ضد السلطة والتمرد عليها، و أوجد حالة من عدم الاستقرار في البايك¹.

وقد وجهت السلطة العثمانية سياستها هذه على بعض القبائل الجزائرية بالبايك، ومن بين القبائل التي تعرضت لهذه السياسة نجد أولاد عبد النور، حيث صودرت ملكيتهم للأراضي الواقعة بالهضاب العليا، خصوصا أراضي الأفراد والشيوخ والقياد الذين قتلوا أو أطيح بهم، وذلك في عهد آخر البايات أحمد 1826-1837².

كما تم أيضا نزع الأراضي من قبائل المخزن، والتي كانت تستغلها في حال عدم قيامها بمهامها المنوطة بها، بل وحتى منعها من المراعي، وسحب باقي امتيازاتها منها، لتُحوّل إلى قبائل من مرتبة الرعية³. ومما يلاحظ أنّ السلطة العثمانية عملت على بيع الأراضي المصادرة بطريقة المزاد العلني، إلا أنّ السكان كانوا لا يُقبلون على شرائها في معظم الأحيان⁴.

وفي السياق نفسه تم نزع أراضي بعض القبائل الجزائرية عن طريق استخدام السلطة العثمانية سياسة تهجير تلك القبائل إلى أراضي بعيدة عن موطنها الأصلي، خاصة تلك

¹ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 40.

² عباد: المرجع السابق، ص ص 386-387.

³ موساوي: المرجع السابق، ص ص 175-176.

⁴ عباد: نفسه، ص 386.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

التي استطاعوا هزمها في السهول القسنطينية، والتي قدّموها للقبائل المتعاونة معهم والذين هم في حاجة لهم، وهذا ما ساهم في ظهور أملاك للبايك حول مدينة قسنطينة¹. وممن مارس هذه السياسة نجد الباي مصطفى الوزناجي (1795-1798م)، وذلك على ثورات قبيلة النمامشة والحراكتة سنة 1797م، حيث عمد إلى إبعاد العشائر نحو الجنوب، مما تسبّب في الإضرار بأراضي الهضاب العليا من جهة الشرق².

كانت هذه أبرز مظاهر القطيعة والتمرد في علاقة السلطة العثمانية بالقبائل الجزائرية على المستوى الاقتصادي، وفيما يلي سنحاول ذكر أهم المظاهر الاجتماعية في تلك العلاقة.

¹ الميلي: مرجع سابق، ص ص 298-299.

² سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 40.

المبحث الثالث: اجتماعيًا.

1. تشتيت القبائل وتهجيرهم:

وظّفت السّلطة العثمانية هذه السياسة أثناء عدم توفيقها في إخضاع القبائل القوية الكبرى، وفي حالة عدم تنصيب شيوخ موالين لها عليها، لذلك تلجأ إلى ترحيل عائلات منها وتهجيرهم نحو مناطق بعيدة، والاستفادة من أراضيها التي صارت مهجورة¹. وقد لجأت العديد القبائل الجزائرية إلى الهجرة مكرّهن، تاركين وراءهم أراضيهم الخصبة باتجاه الجبال أو أطراف صحراء البايك، بسبب الظلم المسلط عليهم خاصة أثناء جباية الضرائب².

ونظرًا لموقع بعض القبائل المتحصّنة بالجبال المنيعة أو وسط الصحراء الشاسعة، فقد يئست السّلطة العثمانية من اتباع أسلوب العنف والقوة عليها بواسطة الحملات العسكرية، لذلك لجأت إلى استخدام سياسة تهجير القبائل إلى أراضي بعيدة عن موطنها الأصلي خاصة تلك التي استطاعوا هزّمها في السهول القسنطينية، والتي قدّموها للقبائل المتعاونة معهم، والذين هم في حاجة لهم، وهذا ما ساهم في ظهور أملاك للبايك حول مدينة قسنطينة³.

فقد دأبت السّلطة العثمانية على العمل على تشتيت القبائل، وتفتيت أي تجمعات كبرى لها، حيث كانت تراها تهديدًا لوجودهم بالمنطقة، وإنقاصًا لنفوذها فيها، وذلك من خلال وسائل مختلفة، ولعلّ من أبرزها مصادرة أراضيها وترحيل بطون منها إلى مناطق بعيدة، وكان ذلك بعد استيفاء محاولات تمكين نفوذها عليهم، وقد تسبّب ذلك في قيام العديد من القبائل الجزائرية بالثورات ضدّ السّلطة الحاكمة والتّمرد عليها، ممّا أوجد وضعًا تميّز

¹ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص 40.

² شالر: المصدر السابق، ص 59.

³ الملي: المرجع السابق، ص 298-299.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

بعدم الاستقرار على المستوى الاجتماعي وأيضاً الركود الاقتصادي. وممن مارس هذه السياسة نجد الباي مصطفى الوزناجي (1795-1798م)، وذلك على ثورات قبيلة النمامشة والحراكنة سنة 1797م، حيث عمد إلى إبعاد العشائر نحو الجنوب، مما تسبب في الإضرار بأراضي الهضاب العليا من جهة الشرق¹.

وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى أن بعض القبائل الجزائرية كانت تُرغم على الهجرة مكرهة بسبب استبداد البايات، فيلجؤون إلى الصحراء أو مناطق أخرى غير مناطق استقرارهم هروباً من السلطة، وخير مثال على ذلك ما حدث للقبائل الجزائرية المستقرة بسهول عتابة، الذين لم يطبقوا ممارسات الاستبداد في حقهم، فنتج عن هجرتهم منها أن صارت خالية من السكان تقريباً، كما لجأت بعض القبائل إلى الهجرة نحو تونس²، ومما يُثبت ذلك أن الكثير من عشائر بايلك الشرق خاصة الشّابّية هاجرت نحو تونس بعد أن وجّه صالح باي (1771-1792م) حملة عسكرية على زاوية القنتيس، لإرغام أولاد سيدي عبيد على دفع ضريبة الزّمة³. كما تسبب استبداد الحامية العثمانية وكثرة التمردات في هجرة سكان بسكرة وتوجّههم إلى واحات أخرى، بالإضافة إلى عوامل أخرى تمثلت في الفقر وانتشار الأمراض المعدية بينهم، فالفترة الممتدة من النصف الثاني للقرن 18م وحتى سقوط العاصمة عام 1830م اتّصفت بالركود الاقتصادي والتّقهّر الاجتماعي أثّرت بشكل كبير على سكّان البايك⁴.

فكانت السلطة العثمانية تلجأ إلى ترحيل بعض العائلات بُغية تهجيرها أو تشتيت قبائل بكامل عددها، كي تضمن الهدوء في البايك ولمنع أي محاولة للثورة عليها، ولجعل القبائل

¹ سعيدوني، بوعبدلي: المرجع السابق، ص40.

² شالر: المصدر السابق، ص109.

³ فركوس: المرجع السابق، ص46.

⁴ سعيدوني، بوعبدلي: نفسه، ص50.

الجزائرية تبقى في حالة خضوع تام لها¹. وما يمكن إدراكه هنا أنّ السلطة أرادت تطبيق هذه السياسة بهدف منع تشكيل تحالفات ضدها، وحتى تُضعف من قوة القبائل وتضمن خضوعها.

2. رفض المصاهرة ببعض رجال السلطة:

سعت السلطة العثمانية لربط علاقة المصاهرة مع الأسر المحلية بالبايك بهدف ربط مصيرها بها، إلا أن بعض القبائل رفضت ذلك، ومما يؤكد ذلك هو أنّ قبيلة أحرار الحنانشة رفضت طلب صالح باي (1771-1792م) في مصاهرتها. فقد سعى صالح باي (1771-1792م) إلى تكوين علاقة مصاهرة مع شيخها إبراهيم بوعزيز غير أنّ هذا الأخير امتنع ورفض هذا المطلب²، لكون هذه الأسرة تختار المصاهرة بموظفي البايك دون البايات على أساس التفضيل³.

فقد حاول صالح باي (1771-1792م) الظفر بعلاقة مصاهرة مع الحنانشة بهدف إخضاعها و أمن شرّها، غير أنّه تعرّض للرّفص، ممّا تسبّب في توتر العلاقات بين الطرفين، وقد تجسّد غضب الباي عليه في تلك الحملات التي بعثها نحو أراضي الحنانشة⁴، وانتهى الأمر بإلقاء القبض على الشيخ إبراهيم بوعزيز، وسجنه في عاصمة البايك حتى توفي في 1186هـ/1773م⁵.

كانت هذه أبرز مظاهر القطيعة والتمرد في علاقة السلطة العثمانية بالقبائل الجزائرية على المستوى الاجتماعي، وفيما يلي سنحاول التركيز على أهم المظاهر الثقافية في تلك العلاقة.

¹ الزبيري: مرجع سابق، ص 23.

² معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، المرجع السابق، ص 213.

³ طالبي: مرجع سابق، ص 224.

⁴ بوعزيز: المرجع السابق، ص 47.

⁵ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، نفسه، ص 213.

المبحث الرابع: ثقافياً.

1. معاداة الشيوخ المرابطين والزعامات الدينية للسلطة:

نتيجة ضغط السلطة العثمانية على القبائل الجزائرية بالأرياف بسبب اختلال التوازن المالي لها وجدت الطرقية سبيلها بين القبائل، فعن طريق هذه الزعامات عبر السكان عن كراهيتهم وعدائهم الواضح للسلطة في الإقليم، وهذا ما ترجمه تفجر الثورات والتمردات من حين إلى آخر¹.

ومن أبرز مظاهر القطيعة والتمرد نجد بعض الشيوخ المرابطين يعادون السلطة العثمانية في البايك، ومن أمثلة ذلك نجد معاداة المرابط سيدي محمد الذي ناصب صالح باي (1771-1792م) العداء، وحرّض أتباعه على التمرد والثورة على السلطة، وذلك كمساندة منه لأهالي الأرياف الذين عانوا من ثقل الضرائب، مما استدعى القبض عليه وإعدامه²، وسيدي عبيد مرابط النمامشة لصالح باي (1771-1792م) بعدما أخذ إبله غدرًا³، ومعاداة الشيخ المرابط أحمد الزواوي⁴ لصالح باي (1771-1792م)، حيث اتخذته عدواً له وتوجّه نحو جبل وزفر⁵ مقر الغاضبين من السلطة والمتمردين عليها، لذلك أراد صالح الباي القبض عليه، فأرسل إليه حملة لذلك، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك بفضل نباهة أتباعه، فقد فرّ مع أتباعه من ذلك الجبل، وأشعل فتيل الثورة في القرى التي مرّ بها، وقد تبعه الكثير من رجال القبائل بالأرياف ورجال المدينة من قسنطينة حيث قارب أتباعه قرابة

¹ سعيدوني: النظام المالي للجزائر...، مرجع سابق، ص 226.

² سعيدوني: ورقات جزائرية...، مرجع سابق، ص 454-455.

³ معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق...، المرجع السابق، ص 254.

⁴ أحمد الزواوي: من الشيوخ المرابطين، إستقر بمكان اسمه جبل وزفر، كان له علاقات جيدة مع قبيلة أولاد عاشور بمنطقة فرجيوة، وكان له نفوذه على غرب منطقة قسنطينة، وأضحت زاويته مركزا للمعارضين للباي. ينظر:

Mercier: *Histoire de Constantine*, op.cit, p283.

⁵ جبل زافر: أحد الجبال يقع بمحاذاة قسنطينة، وقد أخذ مقرا اجتمع فيه من يعرض الباي صالح. ينظر: زية و بن عون: مرجع سابق، ص 414.

3000 رجل، وبوصول التأثيرين إلى منطقة "مشتة النهار" طلب من أتباعه العودة إلى ديارهم، وتوجّه نحو ذلك الجبل، ولم يستطع جند العثمانيين المُرسَلين إليه حينها القبض عليه ومُنَيْتٌ بالفشل، لذلك أراد الباي طلب العفو منه وأرسل له بعض الهدايا فرفض ذلك ودعا عليه، ومنها بدأ نجمُ صالح باي (1771-1792م) في الأفلول¹.

ومن بين الشيوخ المرابطين في الأرياف نجد الشيخ الزواوي، والذي كانت له قصة مع ابن الباي إنجليز الذي أراد أخذ عسافير الحشايشي عنوة وظلما، ومما يبرز مدى معاداته للباي قوله: «...يا ابن الباي! كيف تجرؤ أنت وأبوك على كل هذا الظلم...فليمت ابن الفرطاس»².

كما أكّد الباحث عمّار عمّورة أنّ ثورة الشريف بن الأحرش نواحي قسنطينة تعتبر انفجاراً شعبياً عامّاً بين القبائل بدّعم وتشجيع من الشيوخ المرابطين بالبايلك³، ومن أبرز المرابطين الذين نصح هذا الثائر على مهاجمة قسنطينة نجد المرابط المدعو الزبوشي نواحي رجّاص بميلة⁴، لأن الباي عصمان (1803-1804م) حرّمه من كل امتيازاته المستحقّة⁵، وإلى جانبه أيضاً المرابط ابن بركات الذي وقف إلى جانب الثائر سنة 1806م، وبفضله استطاع كسب بعض قبائل سطيف إلى صفه⁶، وكذلك المرابط بغريش الذي أراد الانتقام من الباي عصمان (1803-1804م) للأسباب نفسها⁷، وممّا يُذكر أيضاً أنّ زاوية الزيتون (سيدي الزيتوني) بجيجل هي الأخرى التي انطلق منها المتمرّد بن الأحرش للمطالبة بتشكيل حكومة

¹ فايست: المرجع السابق، ص 174-176.

² نفسه، ص 201-202.

³ عمّورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج 1، مرجع سابق، ص 234.

⁴ فيرو: مرجع سابق، ص 150.

⁵ سعيدوني: وثائق جزائرية...، المرجع السابق، ص 275.

⁶ فيرو: نفسه، ص 167.

⁷ سعيدوني: وثائق جزائرية...، نفسه، ص 283، 287.

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

على بابلك الشرق، كما أمر رجاله بالتحرك لضرب الحاميات العثمانية هناك¹. وهذا دليل واضح على معاداة رجال الزاوية للسلطة ودعمها الواضح للثورات.

ومن مظاهر معاداة السّلطة للمرابطين نجد قتل الباي ابراهيم القريّتي (1821-1824م) لابن المرباط سيدي إبراهيم بن أحمد بن السعيد ناحية المعذر عند زيارته له وبدون سبب واضح، إلا أنّه ندم عن تلك الجريمة فيما بعد². وما يُبرز معاداة البايات لشيوخ الزوايا هو ما أشار إليه بن العنتري في الفريدة المنسية حول ظلم صالح باي (1771-1792م) لهم ممّا تسبّب في هلاكه حسب قوله³، فقد جلب لنفسه عداوات في نهاية حكمه حيث لم يسلم منهم نتيجة سياساته المتّبعة على الإقليم، كما كسب العداء من بعض سكّان القبائل الجزائرية بالباليك⁴، حيث ذكر العنتري ذلك بكون أنّ هذا الباي لمّا وصل وقت وفاته تغير حاله و صار يظلم شيوخ الزوايا، وقد تسبّب ذلك في هلاكه⁵، وما يُثبت ذلك أنّ صالح باي (1771-1792م) قد شنّ حملة عسكرية على زاوية القنّيس يريد من خلالها إجبار أولاد سيدي عبيد على تقديم اللزّمة التي قدرت بـ 2 فرنك لكلّ خيمة بتلك القبيلة، ممّا حثّم هجرة بعض العشائر خاصة الشابية إلى الإيالة التونسية⁶.

وقد أعدم الحاج أحمد باي 1826-1837م المرباط العربي الذي أمضى على خطاب لاستسلام أهالي مدينة قسنطينة مع شيخ المدينة، وذلك على إثر الحملة الأولى على مدينة قسنطينة التي عاشت ظروفًا صعبةً وهي تحت الحصار، حينها كان أحمد باي (1826-

¹ سعودي: المرجع السابق، ص 505. وينظر: سعيدوني: وثائق جزائرية...، المرجع السابق، ص 268.

² فايس: المرجع السابق، ص 273.

³ بن العنتري: فريدة منسية...، مصدر سابق، ص 62.

⁴ عمورة: الجزائر بوابة التاريخ...، ج 1، المرجع السابق، ص 234.

⁵ بن العنتري: فريدة منسية...، نفسه، ص 62.

⁶ فركوس: المرجع السابق، ص 46.

1837م) خارج المدينة يدافع عنها في جبهة أخرى¹، وقد أكّد لويس ريجيس (LOUIS RÉGIS) تقلّد المرابطين ورجال الزوايا مكانةً مميّزةً وخطيرةً وقت الدخول الفرنسي للجزائر².

2. غلقُ مدارسٍ تابعة للزوايا:

لقد ظلّت الزوايا في بايلك الشرق حاضنة للعلماء والفقهاء، ومكانًا أساسيًا للتعليم في المنطقة عن طريق المدارس التابعة لها، غير أنّ السّلطة العثمانية مارست سياسة خاصةً تجاه بعض المدارس، فقد تعرّض بعضها للغلق، ويرجع السبب في ذلك لشكوى بعض الأفراد من القبائل الجزائرية بالمنطقة التي تتواجد فيها، ومن بين تلك المدارس نجد مدرسةً تابعة لزاوية سيدي التواتي التي تمّ غلقها فعليًا سنة 1828م، بسبب إحدى شكاوي سكّان بجاية على أفعال طلابها ممّا استدعى غلقها بأمر من الداى حسين³. فيتضح لنا من خلال هذا القرار المبرّر عبر الشكوى المودّعة لدى السّلطة مدى اهتمامها بسمعة المدارس، ومن أجل ضمان الهدوء والأمن في منطقة بجاية، خصوصًا وأنها من المناطق التي يصعب التحكم فيها بالبايلك.

3. معاداة السّلطة للعلماء:

اتّضحت العلاقة المتوتّرة بين السّلطة العثمانية والعلماء نهاية القرن الثامن عشر، وقد أرجع ذلك الكثير من المؤرخين إلى السياسة الضّريبية التي طبّقتها السّلطة في تلك الفترة، وإلى الأحوال المعيشية التي تميزت بالسوء جرّاء سنوات القحط والجفاف التي عاشتها القبائل الجزائرية⁴، حيث نجد الورثاني يؤكّد ذلك في رحلته بأنّ العثمانيين عند

¹ فايس: المرجع السابق، ص 301.

² Régis Louis: *Constantine –voyages et séjours–*, Calmann Lévy éditeur, Paris ,1880, P20.

³ Féraud: *Histoire des villes ...*, Bougie, op.cit, p217.

⁴ منادي: مرجع سابق، ص 478.

الفصل الثالث: القطيعة والتمرد بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية (1671-1837)

دخولهم لمنطقة بسكرة أكثر من فرض الضرائب على سكانها¹، فأضحى العلماء وسيلة لتحريض القبائل على السلطة العثمانية في مناطق استقرارهم².

ومن أبرز المظاهر التي اشتملت على القطيعة في علاقة السلطة العثمانية بالعلماء نجد عزلهم من مناصبهم التي كانوا قد استفادوا منها، كما تمت مصادرة الكثير مما امتلكوا، ووصل الأمر بالسلطة إلى درجة السجن وحتى النفي، وفي بعض الأحيان درجة التصفية الجسدية³. ومن بين علماء بايلك الشرق الذين تعرضوا للإساءة من قبل السلطة العثمانية نجد أحمد البوني سنة 1106هـ / 1756م بسبب الوشاية وتحريض خصومه لباشا الجزائر ضده، لذلك طلب تدخل بن العنابي للتوسط له عند السلطة بدار السلطان، وإزاحة تلك المظلمة عنه⁴.

خلاصة الفصل:

من خلال هذا الفصل يمكن القول أنّ سلطة بايلك الشرق وقبائله المحلية جمعتهم علاقة طُبِعَتْ عليها القطيعة والتمرد في مجالات شتى وفي ظروف معينة، فالسلطة أرادت من خلال سياساتها فرض السيطرة وحكمها على كل القبائل المحلية بالبايلك، وإخضاع القبائل الممتنعة والمتمردة بشتى الطرق وفي جميع المجالات، وهذا ما أفرز ردود فعل قوية من بعض القبائل ترجمتها ثوراتها من حين إلى آخر أو بمجاهرة العداء للسلطة وعدم الاعتراف بها، وهذا ما أنتج وضعًا غير مستقر في البايك خصوصًا مع بداية القرن التاسع عشر، فكثرت التمردات والثورات و من بينها ثورة بن الأحرش التي كادت أن تُنهي الحكم العثماني في المنطقة، وتركّت آثارًا بالغة على السلطة والقبائل المحلية بالبايلك .

¹ الورثاني: الرحلة الورثانية...، المجلد 1، المصدر السابق، ص 117.

² عبو إبراهيم: الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها، مجلة متون العلوم الاجتماعية، المجلد 8، ع3، ديسمبر 2016، ص 203.

³ منادي: المرجع السابق، ص 470.

⁴ سعد الله أبو القاسم: تجارب في الأدب والرحلة، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 89-91.

خاتمة

خاتمة:

ومن خلال بحثنا هذا في موضوع علاقة السُّلطة العثمانية بالقبائل الجزائرية ببائلك الشرق ما بين 1671م-1837م توصلنا إلى استنتاجات عدّة نوردها فيما يلي:

- تباين الآراء بين المؤرخين حول امتداد بايلك الشرق غير أنّهم اتفقوا حول شساعة مساحته، ممّا أعطى لهذا الإقليم حيويّة مناخية وطبيعية واقتصادية، ومكّنه من احتلال مكانة مرموقة بين أقاليم الإيالة الجزائرية.
- خضوع معظم أراضي البائلك لسلطة الباى مباشرة على إثر حالة الاضطراب التي عاشها.
- خضوع البائلك لجهاز إداري متنوّع يلعب فيه الباى الدور المحوريّ في علاقته بمختلف القبائل الجزائرية.
- كثرة تعاقب البايات على السُّلطة وما كان له من أثرٍ على السُّلطة والقبائل، ممّا يبيّن حالة عدم الاستقرار التي عاشتها الجزائر العثمانية(الدايات).
- تنوّع الفئات المشكّلة للقوة العسكرية للبائلك، والتي أخذت القبائل الجزائرية منها القسم الأكبر ممثّلة في فئة الزّمول ودائرة المخزن.
- عاش البائلك أوضاعاً مختلفة قبل بداية عهد الدايات، ساهمت في توجيه السُّلطة نحو استخدام سياسات وأساليب معينة للحفاظ على سيطرتها على الإقليم.
- تميّز بايلك الشرق بطابعه القبلي وكثرة أعداد تلك القبائل وتباين أصولها، مع وجود تباين واضح في حصر أعدادها بين المؤرخين.
- ضمنت السُّلطة العثمانية كسب العديد من القبائل الجزائرية إلى صفّها عن طريق سياسة كسب الولاء المنتهجة من قبلها في حقّ شيوخها ومرابطيها وعلمائها في البائلك، و بالتّالي ضمنت الهدوء والأمن في المنطقة.

- يُلاحظ نجاح سياسة كسب الولاء المطبقة من قبل السلطة العثمانية على بعض القبائل المتمردة أيضا، إذ تمكنت من استقطابها فتحسنت العلاقة بينهما.
- وقوف العديد من القبائل الجزائرية إلى جانب السلطة العثمانية في حال ظهور تمرّدات عليها، ممّا يبيّن عدم وحدة القبائل في مسألة الولاء والرفض.
- سمح استعمال السلطة لسياسة الترغيب بالسيطرة على زمام الحكم في البايك.
- يُلاحظ الدّعم اللامحدود من قبل القبائل الجزائرية للسلطة بالمجندين في حملاتها ضدّ الإيالة التونسية.
- استطاعت السلطة العثمانية استخدام القبائل المخزنية لصالحها، ومن خلالها تمكّنت من بسط سلطتها ونفوذها على البايك.
- مشاركة العديد من أفراد القبائل الجزائرية إلى جانب السلطة من أجل صدّ العدوان الخارجي والتمثّل في مختلف الهجمات الأوروبية على الإيالة.
- وقوف القبائل الجزائرية بالبايك إلى جانب السلطة العثمانية في الدفاع عن عاصمة الإيالة ضد الاحتلال الفرنسي سنة 1830م ودعمها اللامحدود لها.
- دفاع القبائل الجزائرية عن عاصمة اقليمهم ووقوفهم إلى جانب سلطتهم الحاكمة ضد الفرنسيين المحتلين.
- استطاعت السلطة العثمانية توظيف أفراد من القبائل الجزائرية في جيوشها مقابل مجموعة من الامتيازات.
- ظلّت القبائل المخزنية والعديد من القبائل الموالية تمدّ السلطة بالمجندين لدعم جيوشها مقابل امتيازات عديدة.
- استخدمت السلطة العثمانية بعض شيوخ أو أفراد من القبائل الجزائرية كوفود مفاوضة مع الإيالة التونسية، كما افتدت أسرى دول أجنبية لقبائل جزائرية ممتنعة.

- ظلّ المرابطون ملاجئ آمنة لممثلي السلطة في أصعب الظروف، كما تمت الاستعانة بهم في كسب القبائل وضمان ولائهم.
- استطاعت السلطة ضمان العديد من القبائل بواسطة سياسة التحالف والاحتواء.
- وظّفت السلطة العثمانية بعض القبائل الجزائرية الموالية لها بهدف إخماد تمرّدات أو كسر شوكة بعض القبائل القويّة.
- استفادت السلطة من دعم العلماء وشيوخ القبائل والمرابطين في تثبيت الحكم بالمنطقة.
- تمكّنت السلطة العثمانية من استقطاب قبائل رعيّة أو ممتنعة لها وتحويلها إلى قبائل مخزنيّة تستفيد من خدماتها المختلفة.
- كثرة الثورات والتمرّدات نتيجة سياسة بعض البايات السلبية.
- تنوّعت أساليب و وسائل السلطة العثمانية من أجل بسط سيطرتها على الإقليم وفرض منطقتها على قبائله.
- استفادت السلطة العثمانية من كثرة الضرائب المفروضة، إلّا أنّ هذا النظام الضريبي الجائر تسبّب في تدهور علاقتها بالقبائل خاصّة الممتنعة (المستقلّة).
- تمكّنت السلطة العثمانية بواسطة سياسة الاعفاء الضريبي من ضمان الهدوء النسبيّ في الإقليم، كما كسبت أطرافاً ساهموا مساهمة كبيرة في ذلك.
- بواسطة سياسة المصاهرة حافظت السلطة على الهدوء ونوع من الأمن في الإقليم، كما استغلّتها بعض القبائل من أجل خدمة مصالحها، كما عملت السلطة على ممارسة سياسة تنظيم الأسواق وسكّ العملة من أجل إخضاع القبائل الممتنعة وضمان تحصيل المطالب المخزنيّة من مختلف القبائل.
- ساهمت سياسة ترضية الرّعاعات القبلية بالامتيازات المختلفة في كسب ولاء القبائل.

- ساهم بعض البايات في إنشاء المؤسسات التعليمية والمساجد وتنظيم الأوقاف وفي دعم الزوايا وإنشائها، مما عاد بنتائج إيجابية على السلطة العثمانية وأفراد القبائل، فقد استفادت السلطة في كثير من المناسبات من دعم الزوايا لها.
- يلاحظ وقوف السلطة العثمانية إلى جانب القبائل الجزائرية أوقت المجاعات، إذ ألغت الضرائب حينها وساعدت في تنظيم الأسواق وتوفير الحبوب من داخل الإيالة وخارجها في كثير من المرات.
- استفادت السلطة العثمانية من مختلف المواد الأولية التي حوثها مواطن القبائل الجزائرية بفضل علاقة الولاء التي تربطها بها.
- تمكنت السلطة العثمانية بواسطة ممارستها لسياسة الإخضاع والقوة عن طريق المحلات والحاميات والحملات وغيرها من إخضاع القبائل وتأديب بعضها وإحكام سيطرتها على الإقليم.
- استطاعت السلطة العثمانية المحافظة على قوتها بين القبائل عن طريق سياسة فرق تسد وعن طريق تغذية الصراعات والتحريض، فأضعفت من قوة القبائل ومنعت من اتّحادها.
- لم يسلم العلماء والمرابطون ورجال الزوايا من معاداة السلطة لهم وقد انعكس ذلك سلبا عليها.
- ساندت بعض القبائل الجزائرية الحدودية للإيالة التونسية ووقوفهم إلى جانبها ضدّ السلطة العثمانية، ويُعتبر هذا من أبرز مظاهر القطيعة في علاقة السلطة بالقبائل الجزائرية.
- جاء ردّ القبائل على مختلف السياسات السلبية الممارسة في حقهم عن طريق التّهريب الضريبي والامتناع عن دفع الضرائب ورفض المصاهرة وحركة التمردات والثورات.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة تبين أهم نوبات بايلك الشرق.



خريطة تبين أهم نوبات بايلك الشرق.

• من إنجاز الباحث.

الملحق رقم 02: خريطة تبين أبرز قبائل بايلك الشرق.



موساوي القشاعي فلة: النظام الضريبي بالريف القسطنطيني أواخر العهد العثماني

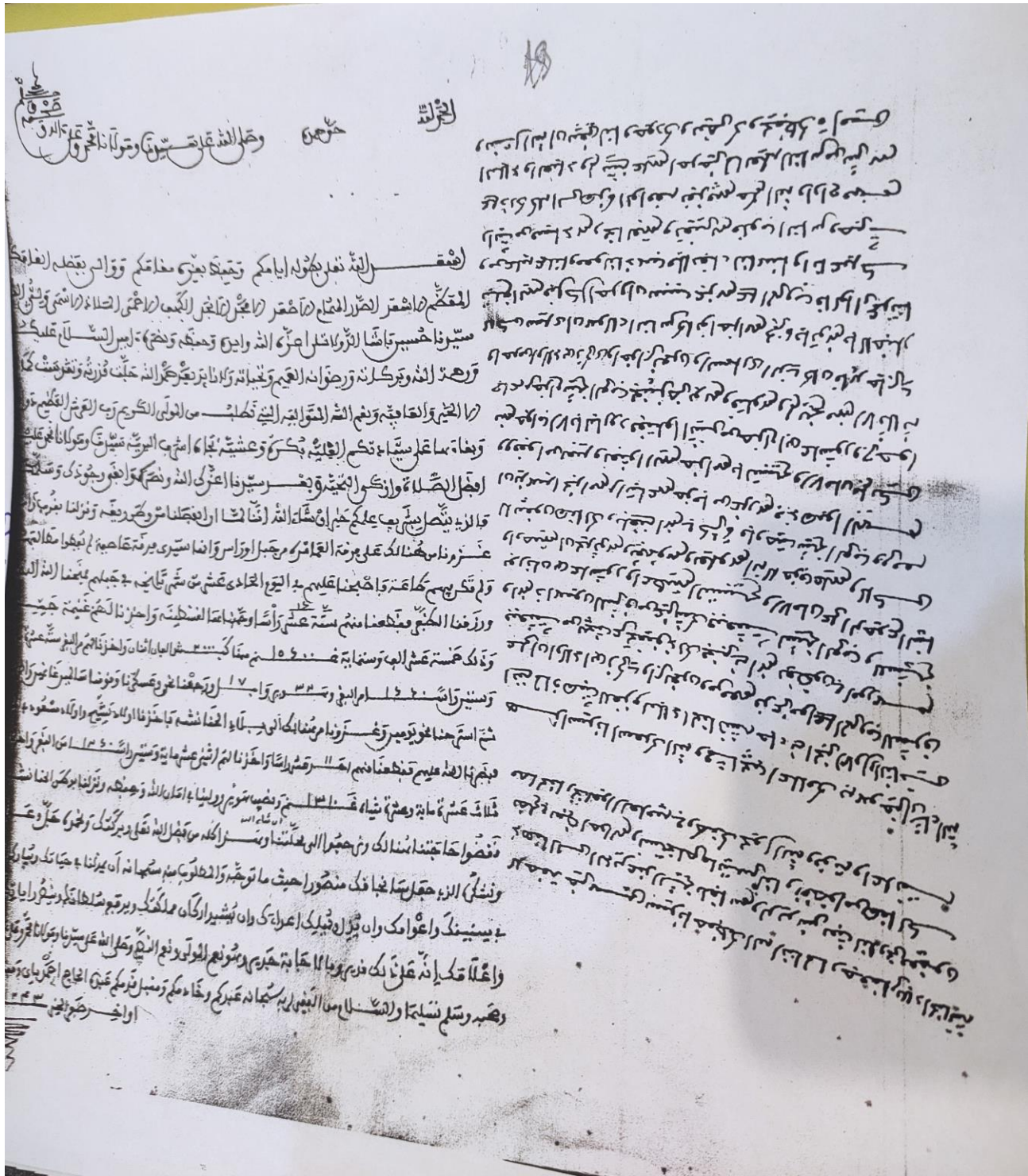
1771-1837 م، ص 243.

الملحق رقم 03: خريطة تبين مسار محلة الشرق نحو القبائل لتحصيل الضرائب.



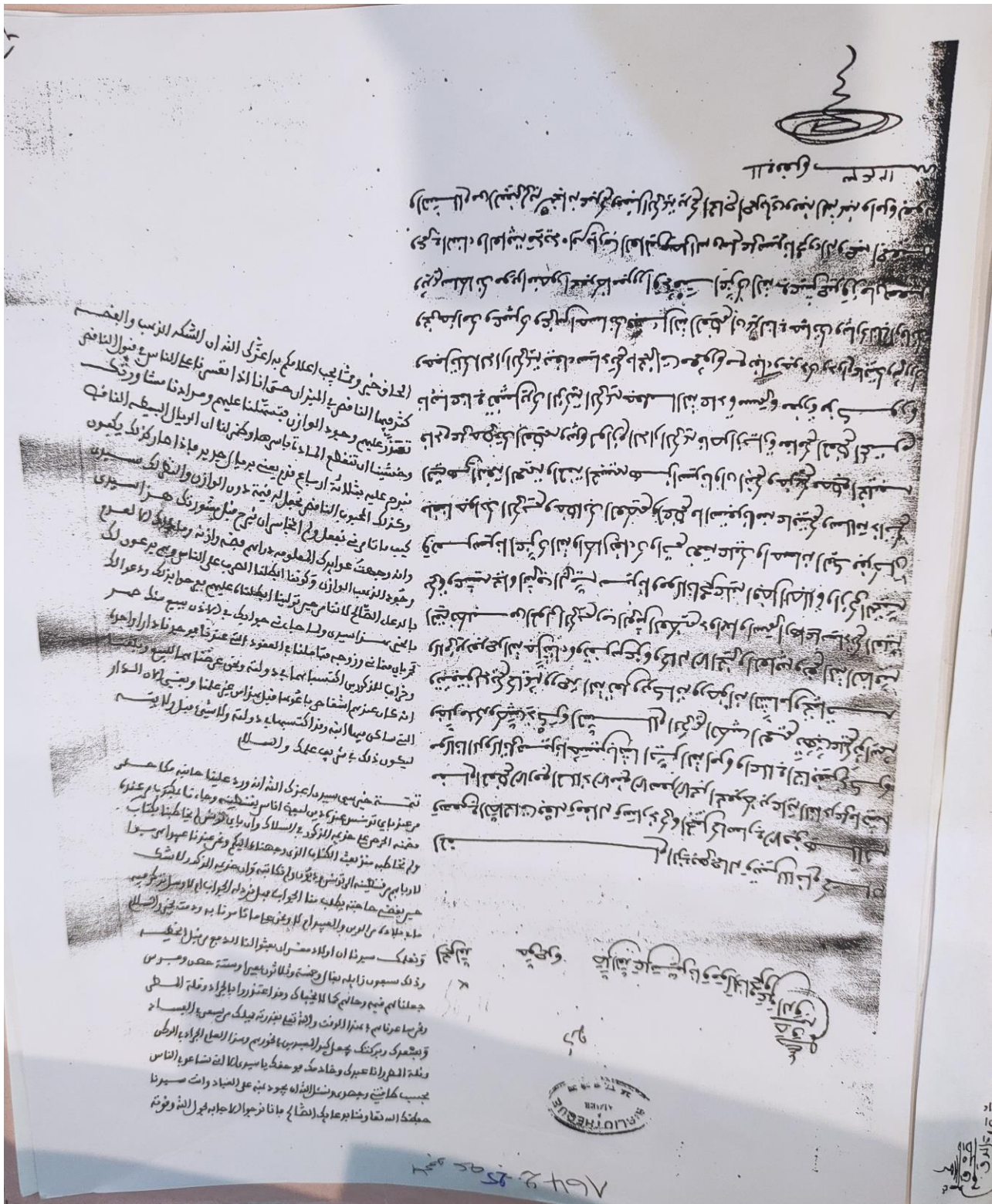
من إنجاز الباحث بالاعتماد على سعيدوني ناصر الدين: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ص439.

الملحق رقم 04: رسالة من أحمد باي (1826-1837م) إلى الداي حسين يذكر فيها إخضاعه لبعض القبائل المتمردة عليه بالأوراس والحنانشة وأيضاً تمرّد بن نعمون وأولاد بن زكري والسحاري وهي مؤرخة 1243هـ/1828م.



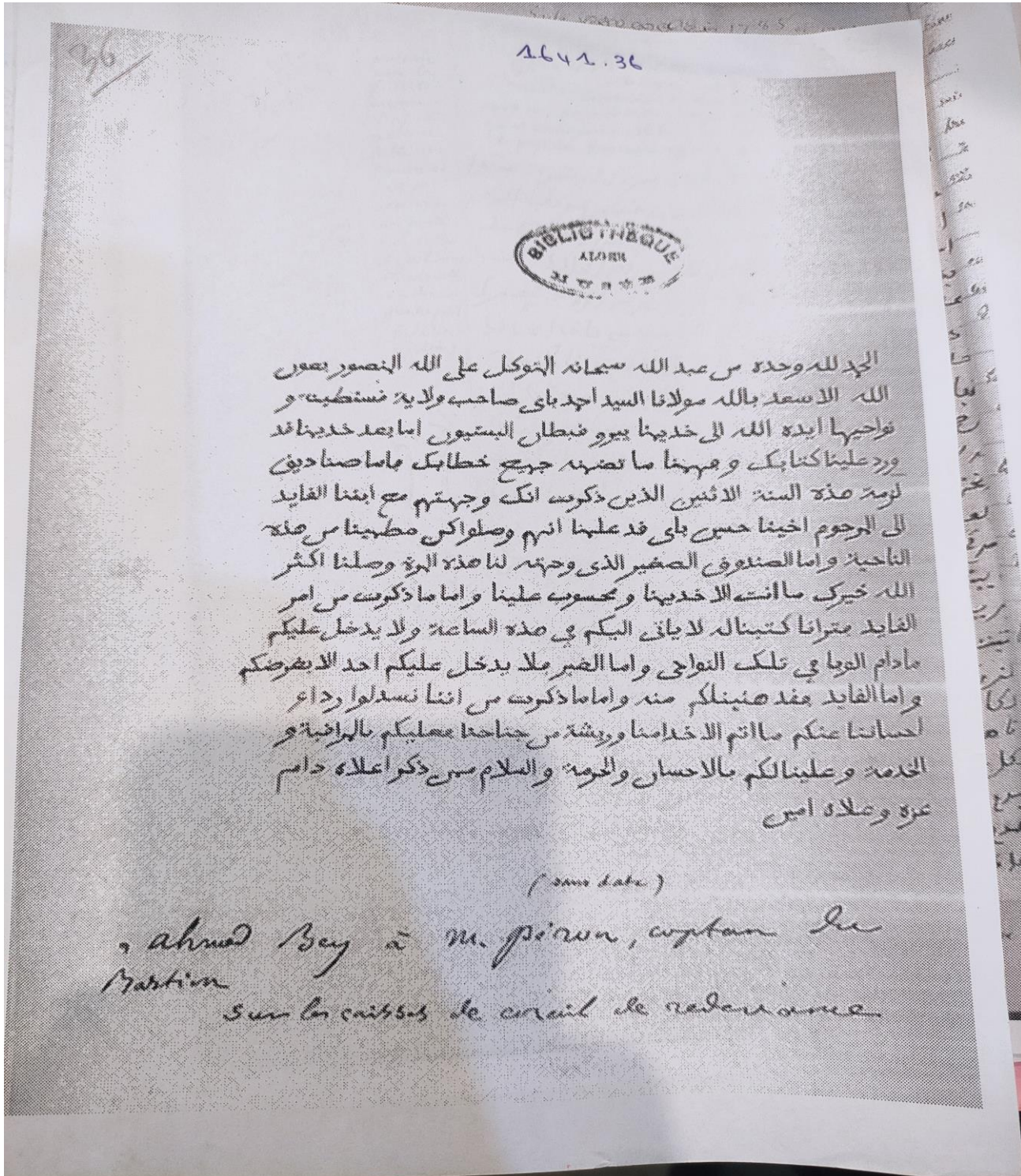
الوثيقة رقم 19 المجموعة 1642 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة.

الملحق رقم 05: رسالة من أحمد باي (1826-1837م) إلى الداوي حسين يخبره بكثرة الناقص من الذهب والفضة في البايك، وهي مؤرخة في 1243هـ/1828م.

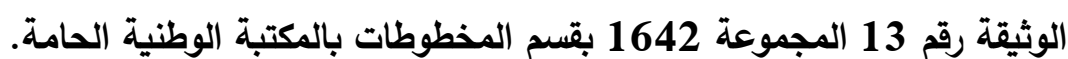


الوثيقة رقم 25 المجموعة 1642 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة.

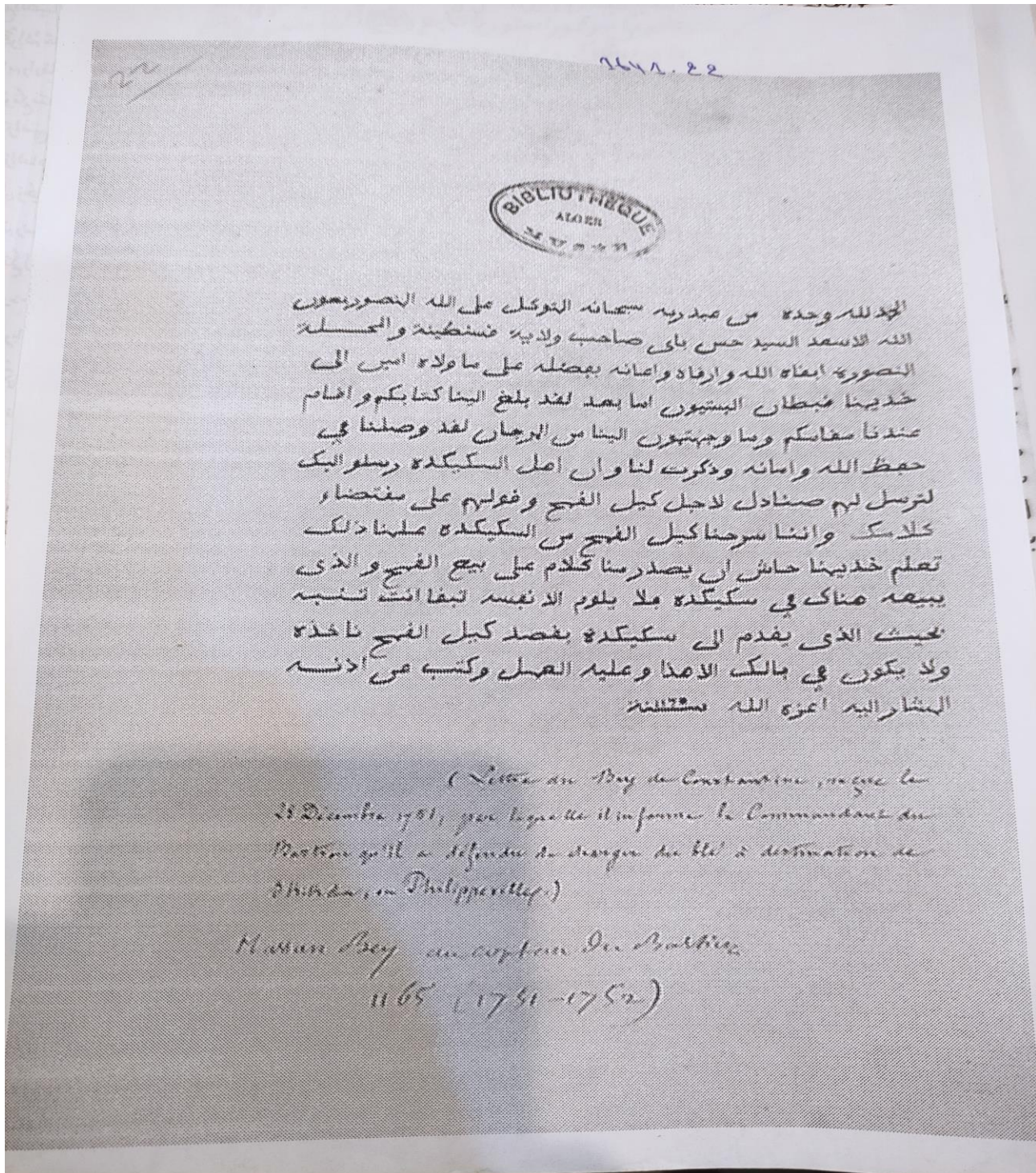
الملحق رقم 06: رسالة من أحمد باي (1826-1837م) إلى قبطان الباستيون يخبره بعدم دخول القايد عليه نظرًا لانتشار وباء الطاعون بنواحيه وهي بدون تاريخ.



الوثيقة رقم 36 المجموعة 1641 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة.

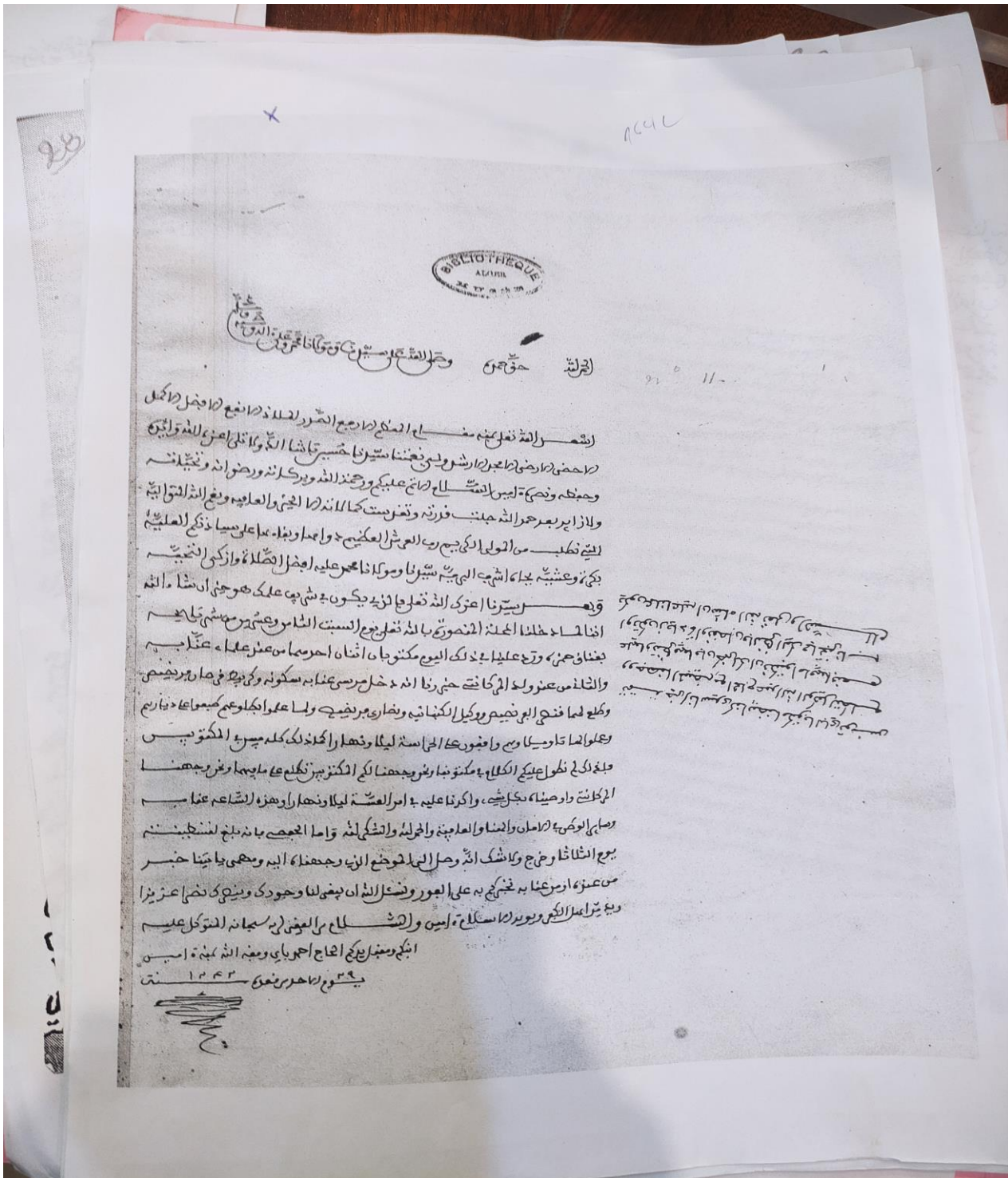


الملحق رقم 08: رسالة من حسن باي لقبطان الباستيون ينفي سماحه لبيع قمح أهل سكيكدة لقبطان الباستيون، ويمنع بيعه هناك، وهي مؤرخة في 1165هـ/1751-1752م.



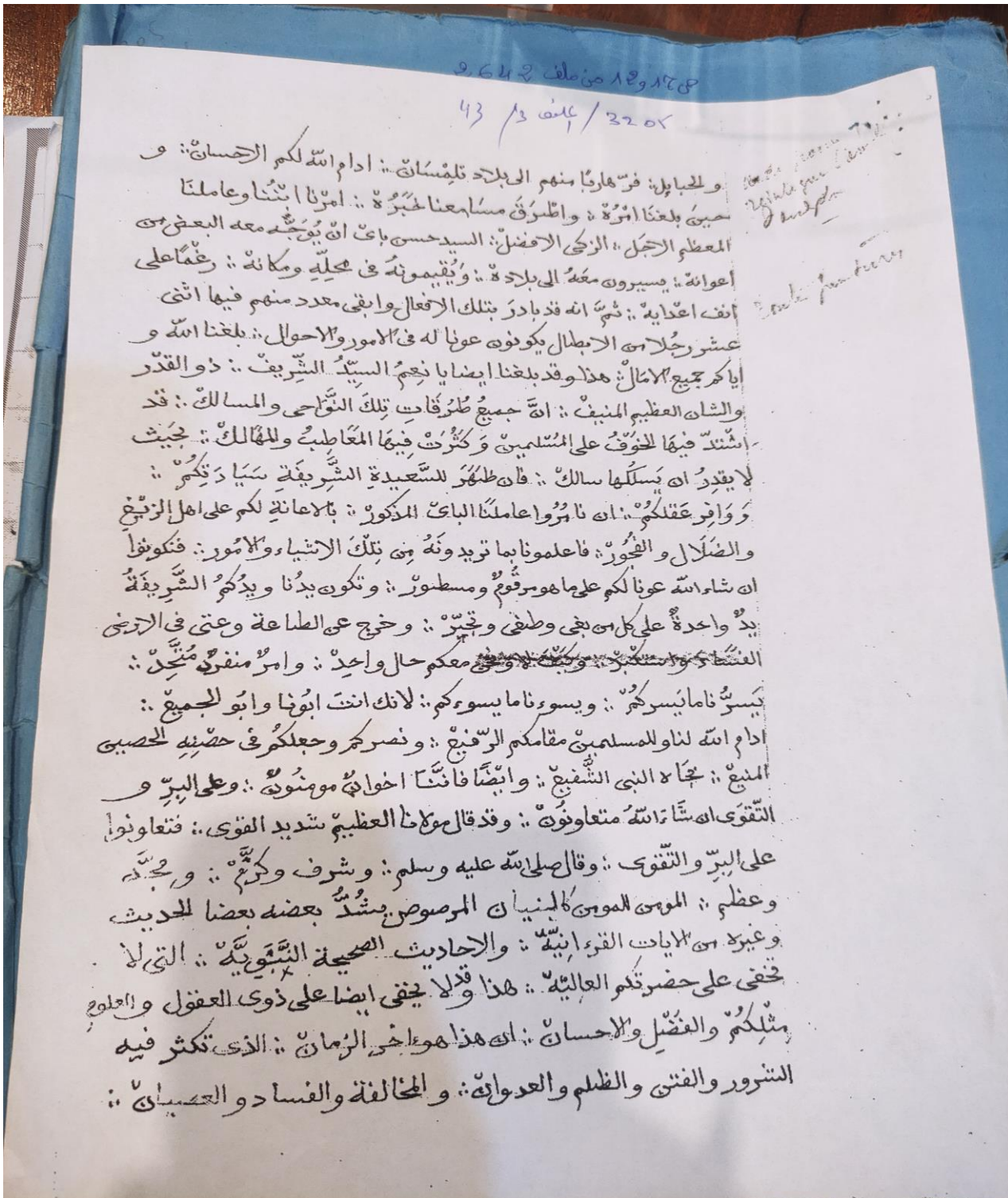
الوثيقة رقم 22 المجموعة 1641 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة.

الملحق رقم 09: رسالة من أحمد باي (1826-1837م) إلى الداوي حسين يعلمه بتواجهه بمحلته ودخوله على قنات حمزة.



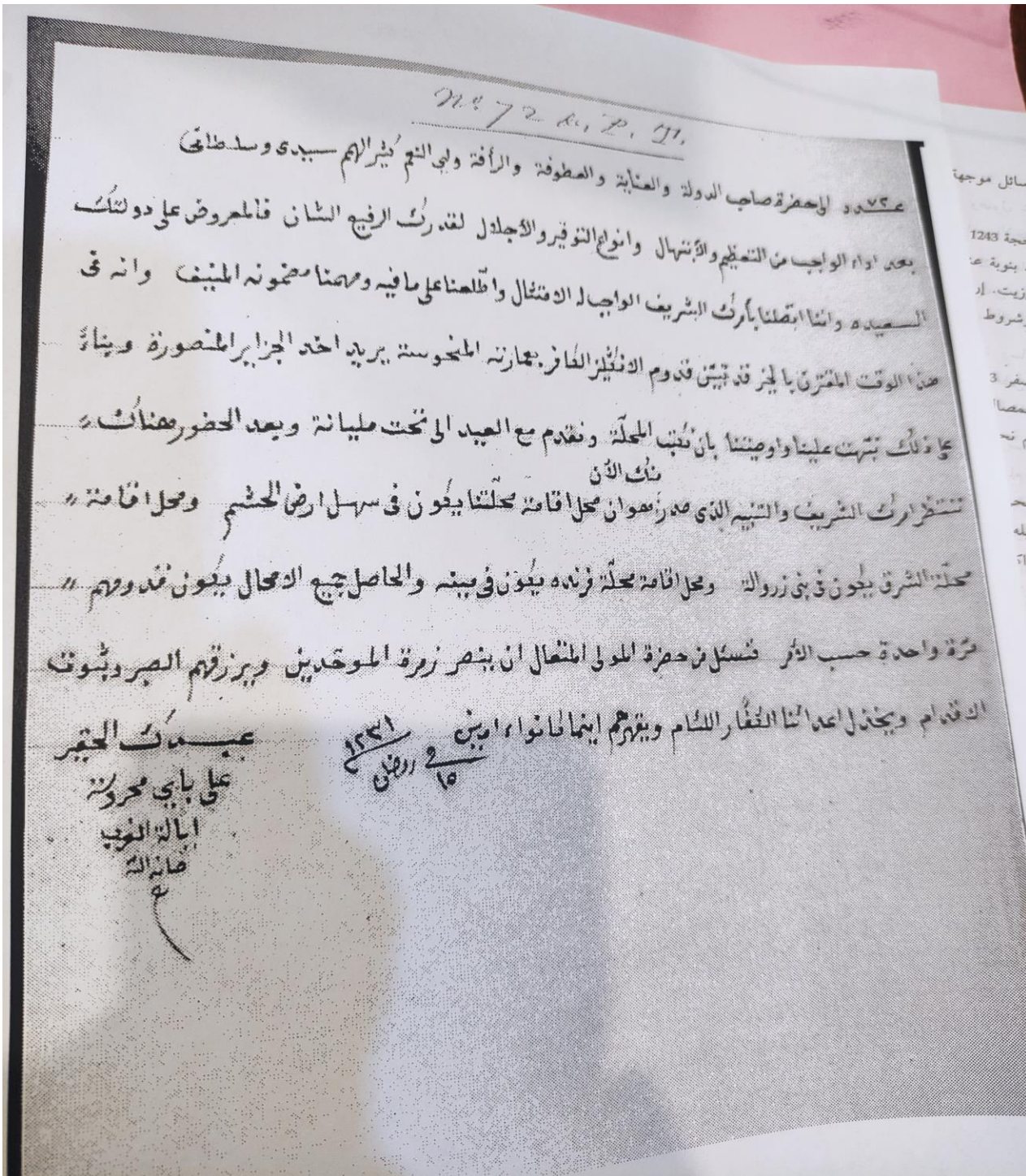
الوثيقة رقم 27 المجموعة 1642 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة.

الملحق رقم 10: رسالة تبين هروب المتمرد بن الأحرش نحو الغرب وحال طرق ومساالك البايك بعد ثورته.



الوثيقة رقم 43 المجموعة 3205 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة.

الملحق رقم 11: رسالة من علي باي بايلك الغرب تبين مكان نزول محلة الشرق بزرولة لمشاركتها في الدفاع عن الجزائر ضد جملة الانجليز سنة 1231هـ / 1816م.



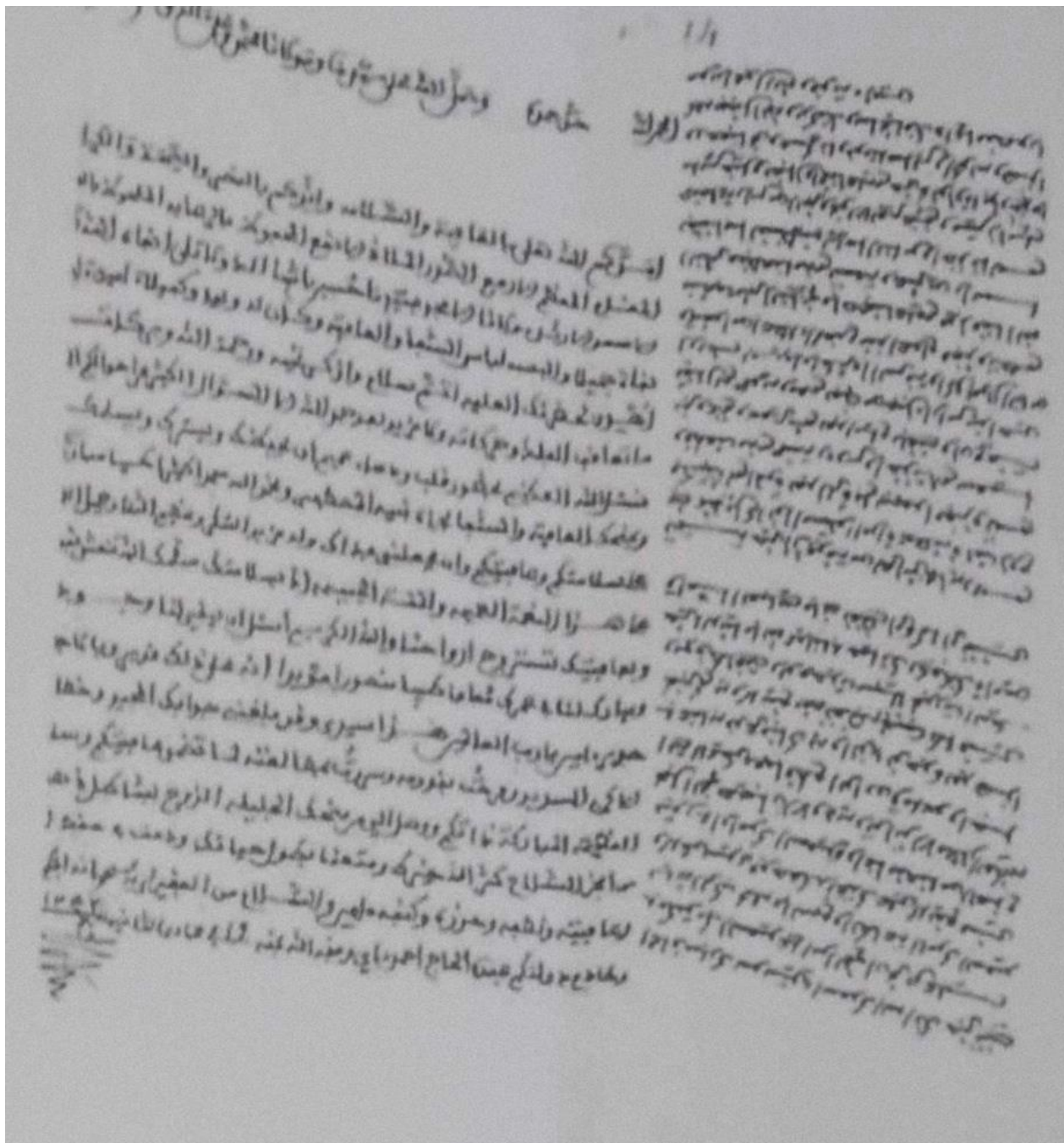
الوثيقة رقم 72 بالمجموعة 3205 بقسم المخطوطات المكتبة الوطنية بالحامة.

الملحق رقم 12: وثيقة من الداى حسين بن حسن تبين إعفاء بعض رجال الزوايا والعلماء من المطالب الضرائب مؤرخة فيه 1235هـ/1820م.

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
 يعلم الوافق عليه على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم الناقد والعليم
 شأنه وفداه من الفوائد والعمال والخاص والعام من سائر المصريين في أحوال بلادنا
 لجزائر الحمية بالله تعالى من سوء الدواير وسائر أعمالها سدد الله الجميع ووفى الكل
 في صالح القول وحسن الصنيع أما بعد فقد أتفقنا الرشد وعزمنا الصواب
 لسديد على اتسافنا على السدادات الأبرار والعلماء الأفاضل البغية
 لأجل التيقن أفضل كتاب الله عز وجل بسبيل محمد بن زبيب وسبيل العرب
 وسبيل الصواب والسبيل عابد ومجاة أولاد سيد الحاج عبد الله
 انعاماً تاماً شاملاً عاماً وحرراًهم أي رفعا عنهم أمر المكاتب الخيرية
 عليهم وأجلبها عليهم وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم حتى رث الله الأرض
 من عليها وهو خير الوارثين لأنه ثبت لدينا أنهم شرفاً النسب ووافقهم مع
 أبيهم الكريم مع التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد رفعا
 عنهم المكاتب الخيرية فلت أوجلت لانهم لذلك أهل لهم أهلية الله أصلاً
 رزقوا وأحسنهم صنعا وأوفاهم عهداً وأصدقهم وعداً فلا يسهم أحد بسوء
 قول ولا عمل ولا من تعرض لهم فقد حلت عليه مغفوتنا الشديدة ونجى عليه
 أحكامنا بحيث لا يمنع من مانع ولا يشجع له شامع وعلى هذا يكون
 أمر ولايت الأساق الباقين الخص من فاض ومعت وخلق وقد أوصينا وأكدها
 لهم بالتعظيم والاحتراع والمهبة والأجراف وقد انعمنا عليهم انعاماً تاماً شاملاً
 عاماً بحسب الوافق عليه العلم بميه ولا يخالفه أحد ولا يتعدى عليهم
 والله الموفق للصواب واليه المرجع والشاب رب غنى ولا معبود سواه والأمر
 لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسكام القاب البد والكنام
 ركتب على اذن المقطم الرابع الهام لا نفع مولانا ولا ولا تيسر حسنى بـ
 انعماء الله من الخيرات ما يشاء أمي أمي أمي أمي أمي أمي أمي أمي أمي
 الكى هو من عام ١٢٣٥
 ونفى الثاني
 الممثل على الرحمن
 عبد الحسين
 حسن

الوثيقة رقم 52 المجموعة 3206 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة.

الملحق رقم 13: رسالة من أحمد باي (1826-1837م) للداي حسين مؤرخة في سنة 1242م تبين معاقبة عرش بني هديل.



الوثيقة رقم 18 المجموعة 1642 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة.

الملحق رقم 14: رسالة من أحمد باي (1826-1837م) للداي حسين يبين فيها شكوى أهل بسكرة من السحاري وبعثه لجنود النوبة لردعهم.

فقدت حيز عيسى مسيرنا اعزك الله ان اسلم بسكي ما بعثوا العناب
 في الشهر الماضي يشكون من السحاري ما يبيع نزلوا بسعيهم وميرتس
 على زرعهم وصار سعيهم يا كل في الزرع وتضرروا من ذلك وحيز فرائش
 كتابهم وعجت قنصر شيكا بتمس وجهت رحلا عا خلا من حزامنا
 وكنتب لشيوخ العرب والسحاري ما انزجى العناب وامرهم بالي حيل
 والسحاري زرع اسلم بسكي واسرث حزمينا في كل الزرع وبعثا فيهم
 ليعرفوا غزوا ضاع منه فيهم من السحاري كلاس اسلم بسكي وكنتب اسلم
 اسلم بسكي وبلغ مكسرت لشيوخ العرب ومكسرت السحاري ومكث هناك
 كل حل الشقي في الزرع وارما كسلا ع على ما اكل منه موضع (الحياح) بسكي
 بخبرج اسلم بسكي ورحلا من السحاري فقتلوه وفكسوك ارضا اريا
 موضع الضرب من اسلم بسكي وبسر العرب السحاري ومكث من يولواش المغرب
 مع اسلم بسكي ما بخبرج من السحاري بعد موت حاجبهم انزجى بخبر
 والسبعة عشر رجلا وخبرج من السحاري كل رثلا ثة وقصوات القبتة
 شمس يوم نوب لشيوخ العرب وحزمينا ورثلوا السحاري عن الزرع
 شقي حزمينا مع اسلم بسكي واخرزوا ما ضاع من الزرع كلاس
 يرد ان هو كلاس العرب كخا خراب دولة حاجب من ياريا اكلوا زرع اسلم بسكي
 جل عنهم حتى خي حيا مع شيوخ العرب الى القتل مقرر اليه جماعة من
 بسكي ما حذرهم من العرب ما اكلوه ليم من الزرع وعاد عنهم بمكثهم
 ن فعملهم كزلك حيز مكثهم من بسكي العرب ان شاء الله تعالى
 حزم مني جميع ما اكلوه من الزرع ونفسي مع الغني الكزي بين حوسر
 نزع به عنهم وكلا في ك تمع عنوا العناب ليرا لينتسب عني لمع
 بسجاد ومرا ما وجب اعلامك به وكل ما يقع في دكتك
 في به وما انزلنا عبرك وخلا دمك كما فترك زلة كلاس المساء
 شفع مني ونفسي مع بحول الله ونوره والله يوفقنا لدا وجودك ايس
 مسيرنا اسلم بسكي فيل فترج حزمينا في منع بينهم وبسر السحاري مكسرة
 ربه اهلا وانما ومنع ذلك بينهم حزمينا واما قبل مذروهم حبل
 ليكونت لك في شربك علك
 والسلام

الوثيقة رقم 16 المجموعة 1642 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ/ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ب/ الوثائق الأرشيفية:

- قسم المخطوطات:

- الوثيقة رقم 19 المجموعة 1642.
- الوثيقة رقم 25 المجموعة 1642.
- الوثيقة رقم 36 المجموعة 1641.
- الوثيقة رقم 13 المجموعة 1642.
- الوثيقة رقم 22 المجموعة 1641.
- الوثيقة رقم 27 المجموعة 1642.
- الوثيقة رقم 43 المجموعة 3205.
- الوثيقة رقم 72 المجموعة 3205.
- الوثيقة رقم 52 المجموعة 3206.
- الوثيقة رقم 18 المجموعة 1642.
- الوثيقة رقم 16 المجموعة 1642.

ج/ المصادر بالعربية:

1- بارادي جون ميشال فونتير دو: الجزائر خلال القرن الثامن عشر، تر وتغ

لخضر بوطبة، ط1، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر،

2022.

2- باي أحمد: مذكرات أحمد باي وحمدان وبوضربة، تح وتغ وتر محمد العربي

الزبيري، ط1، منشورات السهل، الجزائر، 2009.

3- بفايفر سيمون: مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ط1، دار الأمة للطباعة

والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.

- 4- بن الدين الحاج الأغواطي: **مجموع رحلات**، تح أبو القاسم سعد الله، ط خ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- 5- بن العطار أحمد بن المبارك: **تاريخ بلد قسنطينة**، تح وتو وق عبد الله حمادي، ط.ج، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.
- 6- بن العنتري محمد الصالح: **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، مر وتو يحي بوعزيز، ط خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 7- _____: **مجايعات قسنطينة**، تح وتو رابح بونار، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م.
- 8- بن خلدون عبد الرحمن: **المقدمة**، ط1، دار الهلال، بيروت لبنان، 1988.
- 9- بن ميمون الجزائري محمد: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتو محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1981.
- 10- خوجة حمدان بن عثمان: **المرآة**، تق وتو وتو محمد العربي الزبيري وتصدير عبد العزيز بوتفليقة، منشورات ANEP، الجزائر، 2005.
- 11- الزهار أحمد الشريف: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر**، تح أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- 12- الزياني محمد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح وتو الشيخ المهدي الب عبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- 13- سبنسر وليام: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع وتق عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.
- 14- شالر وليام: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر 1816-1824**، تعر وتق وتع إسماعيل العربي، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 15- شعيب محمد المهدي بن علي: **أم الحواضر بين الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)**، تح وتق سفيان عبد اللطيف، ج2، ط1، دار الروح للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.
- 16- شلوصر فندلين: **قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837**، تر وتق أبو العيد دودو، ط خ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- 17- العدوان محمد بن محمد بن عمر: **تاريخ العدواني**، تح وتق وتع أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1996.
- 18- العياشي عبد الله بن محمد: **الرحلة العياشية 1661-1663م**، تح وتق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، المج الأول، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، 2006.
- 19- القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي: **صبح الأعشى**، ج1، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ / 1922م.
- 20- _____: **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب زمان**، تح إبراهيم الأبياري، ط 2، (دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري)، (بيروت، القاهرة)، 1982.
- 21- كاستيل بيار: **حوز تبسة**، تع وتق وتق العربي عقون، ط1، مطبعة بغيجة حسام، الجزائر، 2010.

- 22- المزمري الأغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، د.د، 1990.
- 23- مقديش محمود: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح علي الزواري ومحمد محفوظ، المج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1988.
- 24- المكناسي محمد بن عبد الوهاب: رحلة المكناسي المسماة إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب 1785م، تح وتق محمد بوكبوط، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2003.
- 25- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الإرب في فنون الأدب، تح مفيد قميحة وحسن نور الدين، ج 2-3، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004.
- 26- هابنسترايت ج او: رحلة العالم الألماني ج او هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، تق وتو ناصر الدين سعيدوني، ط2، البصائر للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، 2014.
- 27- الورثاني الحسين بن محمد: الرحلة الورثانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المج 1، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، 2006.
- 28- _____: الرحلة الورثانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المج 2، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة مصر، 2006.

29- الوزان حسن بن محمد (ليون الأفريقي): وصف إفريقيا، ج1، ط2، تر محمد

حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983.

30- _____: وصف إفريقيا، ج2، ط2، تر محمد

حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983.

د/ المصادر باللغة الأجنبية:

1-Colonel Boutin: **Reconnaissance des villes forts et batteries d'Alger 1808**, H Champion, paris, 1927.

2-Grammont H.D: **Histoire d'Alger sous de la domination turque (1515-1830)**, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1887.

3-Hachette Fourquet d: **Guerres d'Afrique. Constantine expéditions françaises (1836-1837)**, imprimerie de poussielgue, Paris, 1852.

4-Haëdo Fray Diègo de, Fromesta abbé de: **Histoire des rois d'Alger**, Traduite et annotée par H.-De Grammont, Adolphe Jourdan libraire- éditeur, Alger,1881.

5-Mercier Ernest: **Constantine avant la conquête française 1837**, Typographie L. rnolt, AD. Braham , Constantine, 1878.

6- _____:**Histoire de Constantine**, E.Marle et F.Biron imprimeurs editeurs, Constantine,1903.

- 7-Personnel et Desfontaines: **Voyages dans Les régences de Tunis et d'Alger**, publiés par Dubeau de La Malle, T1, Librairie de Gide, Paris, 1838.
- 8-Régis Louis: **Constantine -voyages et séjours-**, Calmann Lévy éditeur, Paris ,1880.
- 9-Rinn Louis: **Le royaume d'Alger sous le dernier dey**, Typographie Adolphe Jourdan, Imprimeur-libraire -éditeur, Alger, 1900.
- 10- Shaw : **Voyage dans la régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc, de cet état**, chez marlin éditeur, paris, 1830.
- 11- Tassy Laugier d :**Histoire du royaume d'Alger**, chez Henri du Sauzet, Amszerdam, S.D.

هـ/ المراجع باللغة العربية:

- 1-أبو عمران الشيخ، سعيدوني ناصر الدين، احداث زهير، الإدريسي علي، حمو جلول، علواش علي، قاهر محمد الشريف، مالحة بن براهيم: **معجم المشاهير المغاربة**، ط1، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.
- 2-الأرقش دلندة والأرقش عبد الحميد و بن الطاهر جمال: **المغرب العربي الحديث من خلال مصادر**، ط1، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، تونس، 2003.
- 3-برنيان أندري ونوشي أندري، ولاكوست إيف: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر راجح اسطنبولي ومنصف عاشور، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

- 4- بسكر محمد: أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج1، ط2، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة الجزائر، د.ت.
- 5- بن عتيق أحمد بن محمد، الأحكام الفقهية المتعلقة بالتدخين، ط1، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، 1429هـ/2008م.
- 6- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- 7- بوضرساية بوعزة: الحاج أحمد باي الشرق الجزائري رجل دولة ومقاوم 1830-1848، ط2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012.
- 8- بوطالب محمد نجيب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 2002.
- 9- بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة المحروسة في الجزائر المحروسة، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- 10- _____: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، طخ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 11- _____: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، ط1، مطبعة دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2009.
- 12- بوغفالة ودان: الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني، ج1، ط1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر 2015م.
- 13- الجمل شوقي عطالله: المغرب العربي الكبير (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)، ط1، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1977.
- 14- حرزالله محمد العربي: منطقة الزّاب مئة عام على المقاومة 1830-1930م، طخ، دار السبيل، الجزائر، 2008.

- 15- حموش مصطفى أحمد: فقه العمران الإسلامي للأرشييف العثماني الجزائري (956هـ. 1246هـ/1549م-1830م)، ط1، دار البحوث والدراسات الإسلامية للنشر، دبي الإمارات المتحدة، 1421هـ/2000م.
- 16- خلاصي علي: الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- 17- دوالي خديجة: علاقة السلطة العثمانية بالقبائل من خلال ملفات الوثائق العثمانية رقم 1642 1242 هـ-1245 هـ/1826م-1830م (بايك الشرق انموذجا)، ط1، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، جيجل الجزائر، 2022.
- 18- دودو أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830م-1855م، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م.
- 19- الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
- 20- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ج2، ط خ، دار البصائر، حسين داي الجزائر، 2007.
- 21- _____: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- 22- _____: تجارب في الأدب والرحلة، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- 23- _____: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- 24- سعيدوني ناصر الدين: الشرق الجزائري بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف ومراسلات وتقاييد ومذكرات وتقارير، ط1، البصائر للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، 2014.
- 25- _____: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792م- 1830م، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، 2012.
- 26- _____: تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويلييه ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس الغرب، ط2، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- 27- _____: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 28- سعيدوني ناصر الدين، بوعبدلي الشيخ المهدي: الجزائر في التاريخ، ج4، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 29- سعيدوني ناصر الدين وسعيدوني معاوية: ذاكرة مدينة قسنطينة من خلال النصوص التاريخية، طخ، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، 2016.
- 30- شويتم أرزقي: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 926- 1246هـ/1519-1830م، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القبة الجزائر، 2009.
- 31- _____: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800- 1830م، ط1، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع والترجمة، القبة الجزائر، 2011.
- 32- عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830 م، ط1، دار هومة، جيجل، 2012.

- 33- العسلي بسام: خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470م-1548م، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م.
- 34- عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ -الجزائر عامة-، ج1، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
- 35- _____: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانه، الجزائر، 2002.
- 36- عميراوي احميدة: علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، ط1، دار البعث، قسنطينة، 2002.
- 37- العوامر إبراهيم محمد الساسي: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع الجيلالي بن إبراهيم العوامر، ط خ، ثالثة، الأبيار الجزائر، 2007.
- 38- غطاس عائشة: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، ط خ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007.
- 39- فارس محمد خير: تاريخ الجزائر من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، ط 1، د.ن، دمشق، سوريا، 1979.
- 40- فايسست أوجان: تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1517-1837م، تر أحمد سيساوي، مر وتق هارون حمادو، ط1، كنوز يوغرطة للنشر والتوزيع، قسنطينة الجزائر، 2019.
- 41- فركوس صالح: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007.
- 42- فيرو شارل: تاريخ جيجلي، تر عبد الحميد سرحان، ط1، دار الخلدونية، القبة الجزائر، 2010.

- 43- فيلالي عبد العزيز: جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة 1830-1850م، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2011.
- 44- قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة في عهد صالح باي، ط1، ميديا بلوس، قسنطينة، 2005.
- 45- لعروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة -دراسة جغرافية العمران-، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 1984.
- 46- المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي الجزائر، 2009.
- 47- _____: هذه هي الجزائر، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي الجزائر، 2019م.
- 48- معاشي جميلة: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ (16م) إلى 13هـ (19م)، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 2014.
- 49- موساوي القشاعي فلة: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837 م، ط1، القافلة للنشر والتوزيع، باب الزوار الجزائر، 2016.
- 50- الملي مبارك بن محمد الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، ط1، مكتبة دار النهضة الجزائرية، الجزائر، د.ت.
- 51- هلايلي حنفي: بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 1428هـ/2007م.
- 52- وولف جون ب: الجزائر وأوروبا 1500-1830، تر وتعد أبو القاسم سعد الله، طخ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

و/ المراجع باللغة الأجنبية:

- 1-Esterhazy Walsin: **Notice historique sur le maghzen d'Oran**, typographie de Perrier, Oran, 1849.
- 2-Féraud Charles: **Histoire des villes province de Constantine, Bougie**, typographie et lithographie L. Arnolet, Constantine, 1869.
- 3- _____ :**Histoire des villes province de Constantine, Gigelli**, typographie et lithographie L. Arnolet, Constantine, 18.70
- 4- _____ :**Le Sahara de Constantine et de Tunis**, L. Arnolet libraire-éditeur, Constantine, 1868.
- 5-_____ :**Notice historique sur la tribu des Oulad-abd-en-nour**, typographie et lithographie Alessi et Arnolet, Constantine ,1864.
- 6-Gaid Mouloud: **Chronique des beys de Constantine**, Office des publications universitaires, Alger, S.D.
- 7-Vialatte Paul : **Des impots directs en Algérie et principalement dans la province de Constantine**, imprimerie de L. Marle, Constantine ,1879.
- 8-Voisin Georges: **L'Algérie pour les Algériens**, Michel Lévy frères libraires éditeurs, Paris, 1861.

ز/ الأطروحات والرسائل:

- 1- آل الشيخ سعاد: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ببوادي الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحالة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف أحمد الحمدي، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2019/2020.
- 2- أوجرتي محمد: الفقهاء والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830، أطروحة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، تخصص تاريخ الجزائر العثماني، إشراف محمد صاري، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2014-2015م.
- 3- بالحاج ناصر: النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة (فيما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية 1433هـ-1434هـ/ 2013م-2014م.
- 4- بحري أحمد: الحياة الاجتماعية بالجزائر في عهد الدايات 1671-1830م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف فغور دحو، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2001-2002/1422-1423.
- 5- بلبروات بن عتو: المدينة والريف بالجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بلقاسمي بوعلام، قسم

التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2008/2007.

6- بلخوص الدّراجي: **الوضعية الاجتماعية ببائك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون في القرنين 10هـ-11هـ/16م-17م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، اشراف مختار حساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2019/2018.

7-_____: **جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بايك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 10-11هـ/16و17م**، مذكرة من أجل الحصول على شهادة الماجستير، اشراف مختار حساني، فرع التاريخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2012.

8- بن جبور محمد: **صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنين 17و18م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العلاقات الدولية، إشراف غازي جاسم، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2003-2002.

9- بن سليمان فاطمة: **الإيالة التونسية بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر نشأة المجال (الجزء الأول)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، اشراف عبد الحميد هنية، تونس، 2005/2004.

10- بن عون محمد الحاكم: **أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دومة (1336-1403هـ/1918-1982م تقديم وتحقيق**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص علم المخطوط العربي، إشراف إبراهيم بكير

بحاز، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2010-2011م.

11- بن فرج حسين جيلالي: الأسواق والاقتصاد الريفي في الجزائر خلال عهد الدايات 1671-1830م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د في التاريخ الحديث تخصص مشروع السلطة الاقتصاد والمجتمع خلال العهد العثماني (1519-1830)، اشراف دحو فغرور، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 1442-1443هـ/2021-2022م.

12- بوسعيد أحمد: ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م) دراسة تاريخية اجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد حوتية، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار، السنة الجامعية 1438-1439هـ/2017-2018م.

13- بوعزيز جهيدة: الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني (1771-1837م/1185-1253هـ)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، تخصص الريف والبادية، إشراف جميلة معاشي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية 2011/2012م.

14- بولحبال رياض: أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول (دراسة وتحقيق)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا تخصص علم المخطوط العربي، إشراف إسماعيل سامعي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009/2010.

- 15- التماي عائشة: التشكيلات العسكرية الأهلية في الجزائر خلال العهد العثماني (1518م-1830م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص التاريخ الاجتماعي والثقافي المغربي عبر العصور، اشراف محفظ رموم، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 1435هـ-1436هـ/2015م-2016م.
- 16- حفيان رشيد: الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر في العهد العثماني، أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ تخصص العلاقات الاقتصادية والثقافية للجزائر ودول المغرب الكبير، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية 2020-2021.
- 17- دغموش كاميلية: قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية، (1509_1792م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف محمد دادة، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 2013-2014م.
- 18- رحموني عبد الجليل: العلاقة بين السلطة المركزية والبايلكات في الجزائر العثمانية، أطروحة مقدمة انيل دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف نصر الدين لعوج، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2019-2020.
- 19- سيساوي أحمد: البعد البايليكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون 1838-1871م، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف كمال فيلالي، قسم التاريخ، كلية

العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية 2019-2014م.

20- شاعو كمال: بايلك قسنطينة من خلال بعض وثائق المجموعة 1641 المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية 1171هـ-1757م/1207هـ-1792م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف مختار حساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004/2005.

21- شكري معمر رشيدة: السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية "1518-1830م"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، إشراف فلة موساوي القشاعي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2017-2018م.

22- طاليبي علي: الاعتبارات الجغرافية ودورها في رسم العلاقة بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية: الولاء والرفض أواخر الحكم العثماني (1730م-1830م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) تخصص تاريخ الجزائر الحديث، إشراف بن شرقي حليلي، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، 1444هـ/2023-2024م.

23- العايب كوثر: حركة القبائل الجزائرية التونسية على المناطق الحدودية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد السعيد عقيب، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة حمه لخضر، الوادي الجزائر، السنة الجامعية 2020/2021.

- 24- عبد الغفور نصر الدين: القبيلة والسلطة في الجزائر القرن 19م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ الاجتماعي للجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، إشراف فارس كعوان، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، السنة الجامعية 2021/2020.
- 25- عمراني معاذ: منطقة وادي ريغ في ظل الاحتلال = =الفرنسي 1854- 1962م دراسة سياسية، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف لزهر بديدة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2 بوزريعة، السنة الجامعية 2015-2016م.
- 26- قشوان عبد الرزاق: السلطة المحلية في بايك قسنطينة (936- 1253هـ/1837-1592م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث تخصص الدولة والمجتمع في العصر الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 1430-1431هـ/2009-2010م.
- 27- _____: الواقع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الجزائري (1219-1282هـ/1804-1871م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد المجيد قدور، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، السنة الجامعية 1438هـ-1439هـ الموافق ل 2017م-2018م.
- 28- قشي فاطمة الزهراء: قسنطينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه الدولة في التاريخ، إشراف

محمد الهادي الشريف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى،
1419هـ/1998. (غير منشورة)

29- كشرود حسان: رواتب الجند وعامة الموظفين واطواعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659م-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث تخصص التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، اشراف فاطمة الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 1428-1429هـ/2007م-2008م.

30- لعبيدي علي: الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519م-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف أرزقي شويثام، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، السنة الجامعية 2018/2019م.

31- لعربي إسمهان: الحياة الاقتصادية في بايلك الشرق خلال العهد العثماني 1713-1792، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف حنفي هلايلي، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م.

32- معاشي جميلة: الإنكشارية والمجتمع بباليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، إشراف كمال فيلاي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 1428-1429هـ/2007م-2008م.

33- يوسف صرهودة: معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد

العثماني، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف فاطمة

الزهراء قشي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد

القادر قسنطينة، السنة الجامعية 2004-2005.

ح/ موسوعات وقواميس والمعاجم:

1- ابن المنظور: لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم

محمد الشاذلي، ط ج، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

2- حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية مدن الشرق، ج3، ط خ،

دار الحكمة، الجزائر، 2007.

3- عيد عاطف، حداد حليم ميشال: قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم

تونس-الجزائر، ج21 و22، ط1، منشورات Creps.INT، بيروت، 1998-

1999.

4- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تح أنس محمد الشامي

وزكريا جابر أحمد، ط1، دار الحديث، القاهرة، 2008.

5- كتحالة محمد رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط8، مؤسسة الرسالة

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1418هـ/1997م.

6- موسنييه رولان: تاريخ الحضارات العام، القرن الثامن عشر، عهد الأنوار، تر

يوسف أسعد داغر وفريد داغر، ط2، منشورات عويدات، بيروت وباريس، 1987م.

ط/الدوريات:

1- بحري أحمد: ضرائب الجزائر العثمانية من خلال بعض الظواهر المازونية، مجلة

الجزائر للمخطوطات، المج 9، ع10، 2013.

- 2-بردي صليحة: الممارسة التعليمية في الجزائر أثناء الحكم العثماني دراسة في الواقع والمعطيات، مجلة الذاكرة، المجلد 6، ع 11، جوان 2018.
- 3-بستي محمد: الأعلام واعتناقهم الإسلام من خلال الكتابات الأوروبية 1588-1699م، مجلة جسور المعرفة، المجلد 6، ع 01، مارس 2020.
- 4-بلخوص الدراجي وقرين مولود: الحرف والصنائع بقسنطينة من خلال مخطوط نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16م، 17م، المجلة المغربية للمخطوطات، المجلد 7، ع 01، 30 ديسمبر 2011.
- 5-بن حيدة يوسف: علاقة القبيلة بالطريقة الصوفية في الجزائر وتونس خلال الفترة الحديثة (الشابية والحنانشة انموذجا)، مجلة المعيار، المجلد 24، ع 50، 2020.
- 6-بن معمر محمد: علاقة بني جلاب سلاطين تفرّت بالسلطة العثمانية في الجزائر، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد 9، ع 12، 15 جوان 2015.
- 7-بن موسى فيصل: السلطة العثمانية وعلماء الجزائر قراءة في وثيقة عثمانية في النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي، مجلة آفاق فكرية، المجلد 5، ع 11.
- 8-بن هونات يزيد: القبيلة كأفق سياسي في الجزائر، مجلة عمران، المجلد 4، ع 15، 2016.
- 9-بن واز مصطفى و حيمي عبد الحفيظ: علاقة الطرق الصوفية في الجزائر بالسلطة العثمانية بين المساندة والمعارضة، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 14، ع 01، جوان 2014.
- 10-بوديرة حياة: انعكاسات سياسة الاستيطان الفرنسي على سكان ريف ميلة خلال القرن 19م، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، ع 5، جوان 2017م.
- 11-بوطبة لخضر: غابات منطقتي بجاية وجيجل ودورها في تدعيم قوة الاسطول الجزائري خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 1، العدد 5، 2017.

- 12- بوعزيز يحيى: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، ع 80، الجزائر، 1984.
- 13- بولصباغ وهيبة وصاري أحمد: التجارة الخارجية للأغنام والماعز في بايلك الشرق خلال العهد العثماني، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، المجلد 12، ع 02، 2021.
- 14- جداوي يمينه و بوقرو ناصر: اتفاقيتي ترسيم الحدود بين الجزائر وتونس عامي 1614م و1628م، مجلة رؤية تاريخية للأبحاث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 4، ع 2، جويلية 2023.
- 15- دادة محمد: الحياة الزراعية في الريف الجزائري في أواخر الفترة العثمانية، مجلة عصور جديدة، المجلد 3، ع 7-8، 1433-1434هـ/2012-2013م.
- 16- دريدي ريمة: شخصية يحي أغا قائد الجيش الجزائري (1818م-1828م)، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، جانفي 2020م.
- 17- زية قويدر وبن عون محمد الحاكم: الحملات العسكرية ودورها في إخضاع القبائل الجزائرية المتمردة بببايلك الشرق أثناء حكم صالح باي 1185هـ- 1207هـ/1771م-1792م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 09، ع 02، جوان 2024.
- 18- سعد الله أبو القاسم: رسائل بين باشوات الجزائر وعلماء عنابة، مجلة الثقافة، ع 51، وزارة الاعلام والثقافة، مايو-جوان 1979م.
- 19- سعودي أحمد: علاقة القوى الروحية بالإدارة العثمانية في إيالة الجزائر 1519-1830م -المرابطون والطرق الصوفية انموذجا-، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 6، ع 11، جوان 2018.
- 20- سعيدوني ناصر الدين: دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر، مجلة الأصالة، ع 32، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر، أبريل 1976م.

- 21- شكري معمر رشيدة: التعليم ومناهجه في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة معارف، المجلد 16، ع 2، ديسمبر 2021.
- 22- _____: المراكز التعليمية في الجزائر العثمانية 1518م-1830م، مجلة معارف، المجلد 11، ع 20، جوان 2016م.
- 23- _____: قبيلة عبد النور بالجزائر بين العهد العثماني والاحتلال الفرنسي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، المجلد 09، ع 01، جوان 2023.
- 24- شعباني نور الدين: علاقة السلطة العثمانية بإمارات الصحراء الكبرى، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 04، ع 02، 2020.
- 25- شوقي عبد الكريم: الأوضاع السياسية بالجزائر مطلع القرن السادس عشر ميلادي، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، ع 1، أبريل 2021.
- 26- صديقي بلقاسم و بن يطو عبلة: الإدارة المركزية والإقليمية بالجزائر العثمانية (1830-1519)، مجلة المفكر، المجلد السابع، ع الأول، ذو القعدة 1444هـ/جوان 2023م.
- 27- طالي معمر سميرة وموساوي القشاعي فلة: أولاد عز الدين حكام مشيخة الزواغة، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 08، العدد 01، 27 جوان 2024.
- 28- عبو إبراهيم: الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها، مجلة متون العلوم الاجتماعية، المجلد 8، ع 3، ديسمبر 2016.
- 29- عطية محمد: ثورة ابن الصخري في الشرق الجزائري، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 7، ع 1، الأغواط، الجزائر، 2022.

- 30- عليلش حبيبة: الاستراتيجية العسكرية المباشرة لتثبيت الحكم العثماني في الجزائر 926هـ-1246هـ / 1516م-1830م، مجلة الأصالة للدراسات والبحوث، مجلد 3، عدد 6، 2021.
- 31- غراف هجيرة: مسار العلاقة بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية من خلال أنموذج إيالة الجزائر العثمانية، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 02، ع 04، 2020.
- 32- الكاملة فرحات: وباء الطاعون وتأثيره على البنية الاجتماعية خلال الحقبة العثمانية، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 6، ع 2، أكتوبر 2022.
- 33- كعوان فارس: المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات: الباشا - الدنوش - البايلك، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 1، ع خ، أبريل 2019.
- 34- لكحل الشيخ: ثورات الجزائريين ضد الاتراك العثمانيين خلال الحكم العثماني ثورة ابن الصخري أنموذجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، ع 02، 2022.
- 35- مالكي يوسف وأيت حبوش حميد: مسألة الحدود بين إيالتي الجزائر وتونس وأثرها على النشاط التجاري في القرنين 17م و18م، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 06، ع 01، 2022.
- 36- منادي عثمان: العلماء والسلطة في الجزائر العثمانية دراسة تاريخية للتقارب والقطيعة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 08، ع 01، أكتوبر 2022.
- 37- ورتي جمال: مظاهر امتداد سلطة الإيالة الجزائرية في أرياف الشرق الجزائري، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 2، ع 2، 2011/12/31.

38-وقاد محمد: ظاهرة التهرب الضريبي والتمرد ضد السياسة الجبائية العثمانية في الجزائر أواخر العهد العثماني(1700-1830م)، مجلة الابراهيمية للآداب والعلوم

الإنسانية، المجلد 2، ع1، جانفي 2021.

ط/ الدوريات باللغة الأجنبية:

- 1-Commandant Seroka : **Le sud Constantinois de 1830 - 1855**, R A, V 56, Paris, 1912.
- 2-Dournon A: **Kitab Tarik Qostantina par El-Hadj Ahmed El-Mobârak**, R A, V 57, Paris, 1913.
- 3-Féraud Charles: **Exploitation des forêts de la Karasta dans la kabilie orientale sous la domination turque (1)**, R A, V 13, Paris ,1869.
- 4- _____ :**Les Harar seigneurs des Hanencha, études historiques sur la province de Constantine**, R A, V 18, Paris, 1874.
- 5- _____ :**Un vœu d'Hessien bey. Constantine**1807, R A ,V 7, Paris ,1863.
- 6-Paradis Venture de: **Alger au VXIII siècle**, R A, V 40, Paris, 1896.
- 7-Vayssettes E : **Histoire des derniers beys de Constantine depuis 1793 jusqu'à la chute d'Hadj Ahmed (1) Braham bey El-Greitely 1822**, R A, V 7, Paris, 1863.

الفهارس

فهرس الأعلام

-أ-

180،182،192،253،221،272.....	إبراهيم القرينتي
132.....	إبراهيم الغربي
272.....	إبراهيم بن أحمد بن السعيد
217،178،131.....	إبراهيم بن الشيخ الحاج أحمد
109.....	إبراهيم بن بوعزيز
25.....	إبراهيم بن بيحمان
242،102.....	إبراهيم بن جلاب
241،131،269.....	إبراهيم بوعزيز
48.....	ابن الصخري
54.....	ابن الفكون
54.....	ابن باديس
271.....	ابن بركات
61.....	ابن عبد الله بن العباس
270.....	أحمد الزواوي
196.....	أحمد الشوثري
198.....	أحمد الطيب
133 ،255،242،240،215،101،129.....	أحمد القلي
175،174،127.....	أحمد المكي
162،150،132،123،122،141،196،180،220.....	أحمد المملوك
154،153،104،110.....	أحمد باشا
،106،105،108،107،114،115،117،116،118،119،120،121،124،129.....	أحمد باي
130،131،132،135،137،140،141،144،149،151،150،155،162،163،170،169	
132،122.....	أحمد بن الشريف
48.....	أحمد بن القاضي
117،115.....	أحمد بن بوزيد المقراني

169.....	أحمد بن علي القلي
191.....	أحمد بن فرحات
126.....	أحمد بن ناصر
169.....	أحمد بورنان
153،104،251.....	أحمد شاوش القبائلي
251،218.....	أحمد طوبال
22.....	أندري نوشي

-ب-

191.....	الباشا يوسف
192،170،132.....	الباي إبراهيم
262،252.....	الباي الوزناجي
271،178،139،190،242،252.....	الباي إنجليز
137،109.....	الباي بوجنك
111،218،259،237.....	الباي نعمان
109.....	باي زرق عينو
23،207.....	بايسونال
46،18	بربروس
56.....	بركات بن عبد المؤمن
56.....	بركات بن نعمان
138،128،130،218،190،127،249،248،256،263،274،271،290.....	بن الأحرش
115.....	بن الحملوي
197.....	بن العطار
250،248،237.....	بن عاشور
123،118،90.....	بن عز الدين
117،158،199،191.....	بن عيسى
130،236،245،257	بن فانة
226،233.....	بوتان

256	بورثان بن زكري
115,117,169.....	بوزيد المقراني
184,258,255.....	بوعزيز
119.....	بوعزيز بن فانة
133,135,134,170.....	بوعكاز
137.....	بومرزوق

-ت-

191,250,181,128.....	تشاكر باي
23.....	توماس شو

-ج-

138,226	جوزيف مورغان
81.....	جون وولف

-ح-

24,26.....	حسن الدولاتلي
20,104,185.....	حسن باشا
19.....	حسن بن خير الدين
53,109,111,110.....	حسين باي
226,155,229,264.....	حمدان خوجة
30.....	حمودة باي
123,129,220.....	الحاج الحسين
261,178,261.....	الحاج بن فانة
106	الحيوني

-خ-

30.....	خير الدين باي
102.....	الخازن بن جلاب
177.....	الخوجة

-د-

الدائي حسين	114,106,115,273,284,289,285,292.....
الدراجي بلخوص	19.....
دالي باي	103,152.....
دانكور	232,138.....
دوغرامون	68.....
دي فونتان	165,233.....
-ز-	
الزبوشي	271,263.....
-ش-	
الشريف الزهار	23,113
الشليحي	153.....
-ط-	
الطيب بوجعادة	128.....
الفضل قاسم الفكون	19.....
-ق-	
القارة مصطفى	105.....
القلقشندي	60.....
-ل-	
اللورد إكسماوث	112.....
-ن-	
النويري	61.....
-ر-	
رجب	168,118.....
رجم باي	199.....
رزقي	140,118.....
روسو	64.....

-س-

سان هيوليت	165.....
سانت آرنو	141.....
سديرة	134.....
سعيدوني	203،204،14،65،67،69،95،203،283.....
سي أحمد المعالي	180،192.....
سي الطاهر	174.....
سي محمد	159،130،90.....
سي محمد الشريف	135.....
سيدي الطاهر الشوثري	196.....
سيدي المبروك الشوثري	196.....
سيدي عبد القادر	135،181،188.....
سيدي عبد الله بن رحاب	196
سيدي عبيد	219،256.....
سيدي محمد السعيد	196.....
سيدي محمد العربي	199.....
سيدي محمد أمقران	90،134،174،182.....
سيدي يحي	94،196.....
سيمون بفايفر	108،114.....

-ش-

شלוصر	123،125،150،254،170،184،191،233،254

-ص-

صالح باي	287.....
	،270،271،269،268،258،256،109،110،113،112،124،130،143،137،149،153
	،169،172،176،177،180،186،191،199،200،214،215،237،235،240،242
	247،272
صالح رايس	19،47.....

-ع-

196	الغياشي.....
170	عبد الحق القيوم.....
48	عبد العزيز.....
56	عبد اللطيف المصباح.....
122،249	عثمان باي.....
256	عثمان بن قارة محمد.....
19	عروج.....
109،134	علي باشا.....
196	علي بن الطيب.....
177	علي بن إيصار.....
139	علي بن جيدون.....
247	علي بن حمودة.....
158،191،222	علي بن عيسى.....
240،255	علي بوعكاز.....
20	علي بوعكاز بن الصخري.....
96	علي خلاصي.....
197	عمار بن شريط.....

-ف-

206،182،179،162،152،145	فايست.....
132،184،254،222،257	فرحات بن السعيد.....
96،11	فلة موساوي القشاعي.....
81	فونتير دو بارادي.....

-ل-

95،176،135،236	لويس رين.....

-م-

191	محامد بن عيسى.....
196	محمد الزواوي.....

196.....	محمد الكتفي
144.....	محمد باي مناماني
194.....	محمد بكداش
107.....	محمد بلحاج بن قانة
178،197.....	محمد بن إبراهيم
49.....	محمد بن الصخري
118.....	محمد بن بوعزيز
196.....	محمد بن جد
191.....	محمد بن سي سعيد
250.....	محمد بن عبد الله
156.....	محمد بن عبد الوهاب المكناسي
188،152.....	محمد بن علي
68،139،134،225	محمد بن ميمون
30.....	محمد بن يوسف الزياتي
194،193،198.....	محمد ساسي البوني
170.....	محمد نعمان
118.....	مسعود بن المبارك
132،268،266.....	مصطفى الوزناجي
125،139،242	مصطفى إنجليز
250،210،258.....	مصطفى بن عاشور
182،251.....	مقورة
219،212،179.....	محمد تشاكر
67.....	المزاري

-ن-

140،177،179.....	نيال

-ه-

205،214،144،13.....	هابنسترايت

هايدو.....18

-و-

وستري.....112

وليام سبنسر.....68،152

وليام شالر.....119،298

الورثلاني.....196

-ي-

يحي البلهوان.....128

يوسف باشا.....47،18،193

فهرس الأماكن والبلدان

-أ-

إسبانيا.....112، 52،46

الأرياف.....183، 178،176

الأطلس الصحراوي.....22

ايغرغر.....24

-ب-

الباور.....262، 260، 235، 232، 220، 210، 154، 149، 92، 90،75

البحر المتوسط.....23، 22، 21،19

البويرة.....88، 87،24

البيان.....216، 85، 28،24

بايلك الشرق.....7، 8، 9، 12، 13، 16، 17، 18، 20، 21، 22، 24، 25، 26، 27، 28، 29،

36، 41، 43، 45، 47، 48، 51، 53، 60، 62، 66، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 81،

82، 83، 84، 85، 86، 94، 95، 96، 98، 99، 100، 101، 103، 104، 105، 109،

110، 111، 112، 113، 114، 115، 118، 119، 120، 121، 122، 125، 126، 130،

131، 133، 134، 135، 138، 142، 144، 149، 153، 154، 156، 162، 163، 164،

167، 168، 169، 170، 171، 173، 175، 177، 178، 179، 180، 183، 184، 186،

189، 191، 193، 197، 199، 203، 204، 205، 206، 208، 210، 211، 212، 213،

- ، 238، 237، 236، 232، 230، 229، 228، 226، 224، 221، 218، 217، 215، 214
 ، 272، 270، 269، 268، 261، 258، 257، 255، 249، 246، 244، 243، 241، 240
 339، 317، 314، 310، 306، 305، 303، 282، 281، 276، 274، 273
 ، 135، 134، 127، 103، 91، 87، 83، 81، 58، 46، 45، 28، 27، 19..... بجاية
 316، 273، 262، 252، 250، 244، 232، 227، 191، 173، 164، 163، 159
 228..... برج بوعرييج
 226..... برج حمزة
 ، 229، 227، 196، 193، 165، 158، 140، 138، 91، 88، 56، 24، 23، 22..... بسكرة
 294، 274، 268، 243
 24..... بلاد الشبكة
 221، 217، 214، 138، 137، 130، 120، 118، 93، 91..... بلزمة
 22..... بوبراك
 164، 158، 22..... بونة
 -ت-
 298، 258، 242، 222، 154، 139، 116، 89، 88، 84..... تبسة
 316، 178، 170، 165، 151، 131، 47، 46..... ثقرت
 30..... تلمسان
 ، 131، 125، 111، 110، 109، 108، 107، 96، 69، 67، 55، 48، 23، 22، 21 تونس
 ، 302، 301، 268، 259، 258، 255، 248، 163، 162، 161، 160، 150، 149
 315، 314، 309، 304
 -ج-
 ، 30، 29، 28، 27، 26، 25، 24، 22، 21، 20، 19، 18، 14، 13، 12، 8، 7.... الجزائر
 ، 64، 63، 62، 61، 58، 57، 55، 49، 48، 47، 46، 45، 43، 42، 37، 35، 34، 31
 ، 104، 103، 102، 99، 98، 96، 90، 83، 81، 80، 73، 72، 71، 70، 69، 67، 66
 ، 119، 118، 117، 116، 114، 113، 112، 110، 109، 108، 107، 106، 105
 ، 141، 140، 138، 137، 136، 133، 132، 131، 128، 127، 123، 122، 121
 ، 157، 156، 155، 154، 153، 152، 151، 150، 148، 147، 146، 145، 142
 ، 187، 186، 180، 179، 177، 171، 168، 167، 165، 163، 162، 161، 159
 ، 204، 202، 200، 198، 197، 196، 195، 194، 193، 192، 191، 190، 189

، 221، 219، 218، 217، 215، 213، 212، 211، 210، 209، 207، 206، 205
 ، 253، 252، 251، 250، 249، 248، 247، 244، 234، 232، 229، 228، 227
 ، 301، 299، 298، 297، 296، 291، 283، 274، 272، 271، 260، 259، 258
 ، 315، 314، 313، 312، 311، 310، 309، 308، 306، 305، 304، 303، 302
 339، 320، 319، 318، 317، 316

85.....جبال الجروس
 139.....جبل الأوراس
 270.....جبل وازقر
 165، 24.....جرجرة
 ، 121، 120، 115، 110، 101، 100، 99، 94، 83، 76، 75، 73، 24، 22، 13.....جميلة
 ، 170، 169، 168، 154، 142، 136، 135، 133، 131، 130، 129، 126، 122
 ، 212، 210، 208، 206، 204، 203، 191، 189، 183، 179، 178، 175، 171
 ، 238، 237، 236، 230، 229، 228، 227، 226، 225، 224، 215، 214، 213
 314، 310، 306، 270، 269، 261، 257، 255، 243، 241، 240
 ، 189، 177، 159، 128، 127، 118، 112، 101، 91، 88، 81، 28، 21، 19 جيجل
 304، 303، 248، 237، 229، 207

-ح-

218، 215، 196، 85، 47.....الحضنة

-خ-

175، 94.....خنقة سيدي ناجي

257، 216، 108، 94، 24.....ريغ

261، 246، 220، 164، 160، 118.....ريغة

-د-

94.....الدوسن

221، 210، 206، 193، 128، 109، 104، 102، 50، 27، 26، 24.....دار السلطان

81، 22.....دلس

-ذ-

124.....الذرعان

-ز-

الزاب.....302، 257، 255، 175، 107، 94، 84، 75، 22.....
 الزرارة.....147.....
 الزيبان.....240، 219، 216، 180، 176، 150، 147، 131، 94.....
 زمورة.....228، 121.....
 زواغة.....90.....
 زواوة الشرقية.....45.....
 زواوة الغربية.....45.....
 وهران....30، 62، 65، 67، 68، 148، 151، 165، 194، 196، 297، 299، 308، 309،
 311، 310

-س-

السقنية.....159.....
 ساحل سكيكدة.....118، 89، 87.....
 سطيف....21، 28، 62، 85، 87، 89، 124، 160، 175، 205، 210، 216، 218، 219،
 222، 223، 235، 249، 253، 271، 313
 سعيد....47، 85، 86، 90، 92، 109، 131، 140، 147، 157، 170، 191، 217، 219،
 223، 262، 298
 سكيكدة.....21، 92، 165، 288.....
 سهول زانا.....85.....

-ص-

الصحراء الكبرى.....23، 140، 318.....
 الصومام.....24، 77، 91.....

-ط-

طبرقة.....26.....

-ع-

الغذاورة.....219.....
 عنابة 19، 21، 28، 46، 83، 89، 110، 161، 165، 180، 182، 188، 193، 194،
 196، 209، 222، 226، 227، 228، 245، 257، 268، 317
 عين البيضاء.....83.....

عين الخشبية.....44
عين بسام.....89
عين مليلة.....306، 302، 172، 120، 116، 112، 89، 67

-ف-

الفسقية.....232
فرجيوة.....76، 83، 90، 110، 115، 118، 132، 150، 170، 182، 210، 235، 237، 250،
270، 263، 258

فرنسا 52، 79، 114، 222

-ق-

قسنطينة...8، 9، 12، 13، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 28، 29، 30، 34،
35، 36، 38، 39، 40، 41، 44، 45، 46، 47، 49، 51، 53، 54، 55، 56، 59، 62،
63، 64، 71، 74، 75، 78، 83، 84، 85، 86، 87، 89، 95، 99، 104، 105، 106،
107، 108، 110، 111، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 124،
128، 129، 130، 136، 137، 138، 140، 141، 145، 151، 153، 155، 156،
160، 161، 162، 163، 164، 165، 170، 177، 178، 179، 181، 182، 186،
190، 194، 196، 197، 199، 205، 210، 226، 228، 231، 232، 233،
237، 245، 246، 248، 249، 250، 251، 253، 254، 255، 256، 263، 264،
266، 267، 270، 271، 272، 297، 298، 304، 305، 308، 309، 310، 311،
312، 313، 314، 315، 317، 339

القالا.....26، 52، 84، 91، 144، 217، 253، 263
القل.....18، 19، 81، 92، 118

-م-

مجانة.....75، 90، 101، 119، 130، 135، 136، 154، 169، 190، 219، 228، 237
منطقة بومرزوق.....172
موية.....88
ميلة.....87، 88، 90، 118، 263

-ه-

الهضاب العليا.....51، 63، 69، 135، 176، 239، 266، 268

-و-

24.....	واحات الصحراء
189، 152، 90.....	واد الساحل
44.....	واد بوسلا
44.....	وادي الزناتي
85.....	وادي العثمانية
24.....	وادي ريغ
220، 180، 150، 108، 94، 84، 83.....	وادي سوف
22.....	وادي صراط
26، 24.....	وادي ميزاب
83، 47، 46.....	ورقلة
23.....	وطن حمزة
24.....	ونوغة
28.....	ونوغة

فهرس القبائل

-أ-

219.....	أهالي مستاوة
137، 88.....	أولاد إبراهيم
120.....	أولاد الزناتي
219.....	أولاد أوغلل
169.....	أولاد بلقاسم
149.....	أولاد بلقاسم
125، 106.....	أولاد بن زكري
234.....	أولاد بن صابر
237، 214، 83، 76، 28.....	أولاد بن عاشور
176.....	أولاد بوضياف
176.....	أولاد بوعزيز
217، 214، 118، 91، 85.....	أولاد بوعون

أولاد تبان.....	220
أولاد حركات.....	139
أولاد خطاب.....	253
أولاد خلف.....	129
أولاد خيار.....	239
أولاد دراج.....	234، 219، 128، 122
أولاد ذياب.....	152
أولاد سالم.....	189، 152
أولاد سلامة.....	219
أولاد سلطان.....	262، 210، 137
أولاد سنان.....	235
أولاد سي أحمد.....	220
أولاد سيّار.....	235
أولاد سيدي عبيد.....	272، 268، 252، 179، 149
أولاد سيدي يحي بن طالب.....	242، 139
أولاد صولة.....	215
أولاد عاشور.....	270، 216، 176
أولاد عبد الجبار.....	127، 92
أولاد عبد النور....	169، 153، 149، 139، 124، 120، 118، 107، 106، 101، 87، 85
	265، 261، 256، 253، 251، 246، 222، 219، 207، 188، 176
أولاد عز الدين.....	237، 136، 130، 116، 115، 90، 76
أولاد علي بن يحي.....	242، 217، 139
أولاد علي بن يحي العواسي.....	242، 139
أولاد عمور.....	216
أولاد عنان.....	123
أولاد عيدون.....	249، 92
أولاد فرقان.....	148
أولاد قاسم.....	176
أولاد كباب.....	88، 85

أولاد مسعود.....	222
أولاد مطلة.....	243
أولاد مقران.....	222، 219، 177، 170، 169، 124، 123، 106، 90، 86، 85، 50، 28
أولاد موسى.....	262
أولاد نائل.....	221، 216
أولاد يحيى بن طالب.....	255، 218
أولاد يعقوب.....	173، 147
الأرباع.....	147
الأعشاش.....	239، 137

-ب-

بن هارون.....	136
بني ثور.....	239
بني حطّاب.....	235
بني صالح.....	164، 149
بني عشاني.....	129
بني منصور.....	211، 92، 85، 28
بني وجانة.....	243
بلاّفو.....	235
البراغة.....	218

-ح-

الحراكتة.....	241، 240، 217، 172، 164، 159، 149، 136، 118، 86، 84، 83، 41
الحنانشة.....	135، 132، 131، 119، 118، 108، 100، 93، 91، 86، 84، 73، 48، 28
	238، 235، 220، 217، 214، 210، 207، 176، 149، 144، 141، 140، 139
	269، 261، 260، 258، 256، 252، 242، 241، 240

-د-

دريد.....	123، 89

-ز-

الزّمول.....	276، 173، 172، 109

137،136.....	الزواتنة
132، 118، 90، 83،76.....	الزواغة
150.....	زرّادة
-س-	
120.....	السراوية
-ش-	
147.....	الشعانية
-ع-	
271،207.....	العودة
-ق-	
261، 120،87.....	قبيلة التلاغمة
120.....	قبيلة الزناتية
84.....	قبيلة الطرود
141،123.....	قبيلة الوندانية
129،123.....	قبيلة أولاد سي علي
253.....	قبيلة بن نعمون
263.....	قبيلة بني عمّار
81.....	قبيلة زواوة
137،44.....	قرفة
-ك-	
232.....	الكرّش
-م-	
147.....	المخادمية
127،72.....	المزايا
-ن-	
179، 172، 160، 150، 149، 140، 116،102.....	النّمامشة

فهرس المحتويات

7	مقدمة.....
16	الفصل الأول: الإطار العام لبايك الشرق (التأسيس والمجال، التنظيمات، الأوضاع العامة، القبائل) ما بين 1671-1837م.....
17	تمهيد.....
18	المبحث الأول: تأسيس باييك الشرق ومجاله الجغرافي وتنظيماته المختلفة وأوضاعه العامة.....
18	1. تأسيس باييك الشرق.....
21	2. المجال الجغرافي لبايك الشرق.....
27	3. التقسيم الإداري للباييك.....
29	4. الجهاز الإداري في الباييك.....
29	4. 1. الباي.....
34	4. 2. ديوان الأوجاق.....
35	4. 2. 1. الخليفة.....
35	4. 2. 2. قائد الدار.....
36	4. 2. 3. المقتصد.....
36	4. 2. 4. قائد أو أغا الدائرة.....
36	4. 2. 5. الباش كاتب.....
37	4. 2. 6. الباش سيّار.....

- 37..... 4. 2. 7. باش سايس
- 37..... 4. 2. 8. باش شاوش
- 37..... 4. 2. 9. شاوشا الكرسي
- 37..... 4. 3. الموظفون
- 37..... 4. 3. 1 آغا الصبايحية
- 38..... 4. 3. 2 شاوش المحلة
- 38..... 4. 3. 3 باشا العلم (الراية)
- 38..... 4. 3. 4 باش الطبل
- 38..... 4. 3. 5 باش المكاحل
- 38..... 4. 3. 6 باش خزناجي
- 38..... 4. 3. 7 باش مانفا
- 38..... 4. 3. 8 خوجة الخيل
- 39..... 4. 3. 9 باش سراج
- 39..... 4. 4. عمال قصر الباي بقسنطينة
- 39..... 4. 4. 1 قائد المقصورة
- 39..... 4. 4. 2 باش الفراش
- 39..... 4. 4. 3 قائد الجبيرة
- 39..... 4. 4. 4 قائد السيوانة
- 39..... 4. 4. 5 قائد السبسي

40.....	4. 4. 6 قائد الطاسة
40.....	4. 4. 7 باش قهواجي
40.....	4. 4. 8 قائد الدريبة
40.....	4. 5 الموظفين في المدن
41.....	4. 6 الموظفين القائمون على الأرياف
41.....	4. 6. 1 القيّاد
42.....	4. 6. 2 الحكّام
43.....	4. 6. 3 شيوخ القبائل
43.....	5. الجهاز الشرعي والديني بقسنطينة
44.....	6. الوحدات العسكرية لبايك الشرق
45.....	7. الأوضاع العامة في بايلك الشرق قبل عهد الدايات
45.....	7. 1 الأوضاع السياسية في البايك
50.....	7. 2 الأوضاع الاقتصادية في البايك
50.....	7. 2. 1 الزراعة
51.....	7. 2. 2 الصناعة
52.....	7. 2. 3 التجارة
53.....	7. 3 الأوضاع الاجتماعية في البايك
57.....	7. 4 الأوضاع الثقافية في البايك
60.....	المبحث الثاني: القبائل الجزائرية في بايلك الشرق وأنواعها

1. مفهوم القبيلة.....	60
1. 1 لغة.....	60
1. 2 اصطلاحا.....	62
2. أنواع القبائل الجزائرية.....	64
2. 1 القبائل المخزنية.....	66
2. 2 قبائل حليفة.....	73
2. 3 قبائل رعيّة خاضعة.....	77
2. 4 القبائل الممتنعة.....	79
3. قبائل وأعراس بايلك الشرق.....	82
3. 1 القبائل والأعراس المخزنية بباليك الشرق.....	86
3. 1. 1 مجموعة المخزن المحاربة.....	86
3. 1. 2 مجموعة مخزن الفلاحين والموظفين.....	88
3. 2 قبائل وأعراس الرعية الخاضعة بباليك الشرق.....	89
3. 3 القبائل والأعراس الحليفة بباليك الشرق.....	90
3. 4 القبائل الممتنعة-المستقلة- بباليك الشرق.....	91
خلاصة الفصل.....	96

الفصل الثاني: التواصل والولاء بين السلّطة العثمانية والقبائل الجزائرية ما بين 1671-

1837م.....

تمهيد.....	98
المبحث الأول: سياسياً وعسكرياً.....	99
1. التواصل وكسب الولاء.....	99
2. إعانة القبائل الجزائرية للسلطة في حملاتها على الجارة تونس.....	108
3. مشاركة القبائل بالمجندين لصدّ الهجمات الأوروبية.....	112
4. مشاركة القبائل في صدّ الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر 1830م.....	113
5. وقوف القبائل إلى جانب الباي وقت احتلال قسنطينة.....	116
6. مشاركة أفراد القبائل في جيوش السلطة.....	119
7. إرسال الوفود للتفاوض.....	125
8. استخدام الشيوخ والمرابطين والجوء لهم.....	126
9. سياسة التحالف واحتواء القبائل.....	133
10. استعمال القبائل وتوظيفها.....	136
المبحث الثاني: اقتصادياً.....	143
1. تحصيل الضرائب المفروضة على القبائل.....	143
2. إلغاء الضرائب والمطالب المخزنية.....	151
3. تنظيم الأسواق واستغلالها.....	155
4. العملاّت المتداولة.....	161
5. ضمان المواد الأولية من مواطن القبائل.....	163
المبحث الثالث: اجتماعياً.....	167

167.....	1. المصاهرة لكسب القبائل.....
171.....	2. ترضية الزعامات القبلية بالامتيازات.....
177.....	3. تولية المناصب.....
179.....	4. سياسة التقدير والاهتمام.....
181.....	5. سياسة غض النظر عن التجاوزات.....
183.....	6. القرابة واستغلالها من طرف القبائل.....
184.....	7. التقرب بالهدايا للباي في الأعياد والمناسبات.....
186.....	المبحث الرابع: ثقافياً.....
186.....	1. إنشاء المؤسسات التعليمية.....
187.....	2. تسيير الأوقاف.....
188.....	3. إنشاء الزوايا ودعم السلطة لها.....
189.....	4. الاستفادة من الزوايا.....
190.....	5. الاهتمام بالمرابطين والعلماء والاستفادة منهم.....
195.....	6. الإنتاج العلمي.....
195.....	6. 1 العلماء.....
197.....	6. 2 المخطوطات.....
199.....	7. المساهمة في بناء المساجد.....
200.....	خلاصة الفصل.....

الفصل الثالث: القطيعة والتّمرد بين السّلطة العثمانية والقبائل الجزائرية ما بين 1671-	
1837م.....	201
تمهيد:	202
المبحث الأول: سياسيًا وعسكريًا.....	202
1. ممارسة سياسة القوة والإخضاع.....	203
1. 1 المحلّات.....	203
1. 2 الحملات العسكرية.....	213
1. 3 الحاميات والأبراج والحصون.....	224
2. سياسة فرق تسد.....	234
3. سياسة تغذية الصّراعات والتّحريض والغدر.....	239
4. دفع الفدية.....	244
5. عقد الهدنة والصّلح.....	245
6. الثّورات والتّمردات للقبائل.....	246
7. معاداة الشيوخ للسّلطة العثمانية في البايك.....	255
8. مساندة بعض القبائل الجزائرية للجارّة تونس والانحياز لها.....	258
المبحث الثاني: اقتصاديًا.....	260
1. الامتناع عن دفع الضرائب.....	260
2. إلغاء الإعفاء الضريبيّ وتهرب القبائل من دفع الضرائب.....	263
3. نزاع ملكيّة الأراضي من القبائل.....	264

المبحث الثالث: اجتماعيًا.....	267
1. تشتيت القبائل وتهجيرهم.....	267
2. رفض المصاهرة ببعض رجال السلطة.....	269
المبحث الرابع: ثقافيًا.....	270
1. معاداة الشيوخ المرابطين والزعامات الدينية للسلطة.....	270
2. غلق مدارس تابعة للزوايا.....	273
3. معاداة السلطة للعلماء.....	273
خلاصة الفصل.....	274
خاتمة.....	275-279
الملاحق.....	280-294
الملحق رقم 01: خريطة تبين أهم نوبات بايلك الشرق.....	281
الملحق رقم 02: خريطة تبين أبرز قبائل بايلك الشرق.....	282
الملحق رقم 03: خريطة تبين مسار محلة الشرق نحو القبائل لتحصيل الضرائب...283	
الملحق رقم 04: رسالة من أحمد باي (1826-1837م) إلى الداوي حسين يذكر فيها إخضاعه لبعض القبائل المتمردة عليه بالأوراس والحنانشة وأيضاً تمرّد بن نعمون وأولاد بن زكري والسحاري وهي مؤرخة 1243هـ/1828م.....	284
الملحق رقم 05: رسالة من أحمد باي (1826-1837م) إلى الداوي حسين يخبره بكثرة الناقص من الذهب والفضة في البايك، وهي مؤرخة في 1243هـ/1828م.....	285

- الملحق رقم 06:** رسالة من أحمد باي (1826-1837م) إلى قبطان الباستيون يخبره بعدم دخول القايد عليه نظرًا لانتشار وباء الطاعون بنواحيه وهي بدون تاريخ.....286
- الملحق رقم 07:** رسالة من صالح باي (1771-1792م) إلى قبطان الباستيون بعنابة يأمره بإرسال ضرائب الصيف الخاصة بمنطقة مرداس سنة 1776م.....287
- الملحق رقم 08:** رسالة من حسن باي لقبطان الباستيون ينفي سماحه لبيع قمح أهل سكيكة لقبطان الباستيون، ويمنع بيعه هناك، وهي مؤرخة في 1165هـ/1751-1752م.....288
- الملحق رقم 09:** رسالة من أحمد باي (1826-1837م) إلى الداوي حسين يعلمه بتواجهه بمحلته ودخوله على قناق حمزة.....289
- الملحق رقم 10:** رسالة تبين هروب المتمرد بن الأحرش نحو الغرب وحال طرق ومسالك البايك بعد ثورته.....290
- الملحق رقم 11:** رسالة من علي باي بايالك الغرب تبين مكان نزول محلة الشرق بزرواله لمشاركتها في الدفاع عن الجزائر ضد جملة الانجليز سنة 1231هـ/1816م.....291
- الملحق رقم 12:** وثيقة من الداوي حسين بن حسن تبين إعفاء بعض رجال الزوايا والعلماء من المطالب الضرائب مؤرخة فيه 1235هـ/1820م.....292
- الملحق رقم 13:** رسالة من أحمد باي (1826-1837م) للداوي حسين مؤرخة في سنة 1242م تبين معاقبة عرش بني هديل.....293
- الملحق رقم 14:** رسالة من أحمد باي (1826-1837م) للداوي حسين يبين فيها شكوى أهل بسكرة من السحاري وبعثه لجنود النوبة لردعهم.....294
- قائمة المصادر والمراجع.....295-320**
- الفهارس.....321**

322.....	فهرس الأعلام
329.....	فهرس الأماكن والبلدان
334.....	فهرس القبائل
338.....	فهرس المحتويات
351-348.....	ملخص الأطروحة

ملخص الأطروحة

ملخص الأطروحة:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على العلاقة بين السلطة العثمانية والقبائل الجزائرية في بايلك الشرق أكبر بايلاكات الجزائر، في فترة زمنية هامة من تاريخ الجزائر الحديث بداية من 1671م أي بداية عهد الدايات في الجزائر إلى 1837م سنة سقوط قسنطينة عاصمة هذا الإقليم، لإبراز مدى الارتباط والقطيعة في تلك العلاقة.

لذلك نركّز على تتبع مظاهر العلاقة بينهما من حيث التواصل والولاء والتي تنوعت أساليب السلطة فيها، وشملت مختلف الميادين بهدف استقطاب مختلف أفراد القبائل الجزائرية، وكسب زعاماتها وضمان ولائها في مختلف الظروف. ومن جهتها دعمت القبائل المالية بدورها السلطة العثمانية بالبايلك، وساندوها لضمان ثقتها ونيلهم للامتيازات المختلفة، فساهموا في تثبيت ركائز حكمها وتمكنت بفضلهم البقاء مدة طويلة.

كما نتتبع مظاهر تلك العلاقة من حيث القطيعة والتمرد، فقد مارست السلطة العثمانية مجموعة من السياسات والأساليب في مختلف الميادين بهدف إرادتها في إخضاع جميع مناطق البايك وتوسيع نفوذها وتأديب القبائل الممتعة عنها، وهذا ما جعل الكثير منها تنجح إلى التمرد والثورة عليها، وهذا ما انعكس سلباً على طرفي تلك العلاقة، وكادت أن تعصف ببقاء حكم السلطة العثمانية في البايك واستمراريته.

الكلمات المفتاحية: العلاقة، السلطة العثمانية، القبائل الجزائرية، بايلك الشرق، الجزائر، الاستعمار الفرنسي.

Thesis summary:

This study aims to shed light on the relationship between the Ottoman authority and the Algerian tribes in the eastern Beylik, the largest beylik of Algeria, in an important period of time in the modern history of Algeria, starting from 1671 AD, i.e. the beginning of the era of the deys in Algeria, until 1837 AD, the year of the fall of Constantine, the capital of this region, to highlight the extent of connection and estrangement. In that relationship.

Therefore, we focus on tracking the aspects of the relationship between them in terms of communication and loyalty, in which the methods of power varied and included various fields, with the aim of attracting the various members of the Algerian tribes, winning over their leaders, and ensuring their loyalty in various circumstances. For their part, the loyal tribes, in turn, supported the Ottoman authority with beyliks, and supported it to ensure its confidence and obtain various privileges. They contributed to stabilizing the foundations of its rule, and thanks to them it was able to survive for a long time.

We also trace the manifestations of that relationship in terms of estrangement and rebellion. The Ottoman authority practiced a set of policies and methods in various fields with the aim of its desire to subjugate all the beylik regions, expand its influence, and discipline

the tribes that abstained from it. This is what made many of them tend to rebel and revolt against them, and this was negatively reflected. On both sides of that relationship, it almost undermined the survival and continuity of the rule of the Ottoman authority in the beylik.

Keywords:

Relationship, Ottoman authority, Algerian tribes, Baylek East, Algeria, French colonialism.

نم بحمد الله